مكتبة المحبة

تفسير الكتاب المقدس

سفر الجامعة

القمص مرقس داود

تفسير

الكتاب المقدس

تأليف

متى هنرى

تعريب

القس مرقس داود

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦١٢ /٢٠٠٢
الترقيم الدولى 977-12-0651-6

طبع بشركة هارمونى للطباعة
ت ٦١٠٠٤٦٤ -فاكس ٦١٠٠٧٣٠



صاحب الغبطة والقداسة

البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تفســــير

(مع ملاحظات عملية)

لســفر الجامعــة

مقدمة السنة الثالثة

حرى بنا ونحن قادمون على سنة جديدة ـ وهى السنة الثالثة لنا فى هذا التفسير ـ أن نقدم وافر الشكر للعزة الالهية على ما أمدتنا من المعونة فى السنتين الماضيتين رغم ما صادفنا من الصعوبات الجمة ومثبطات العزائم العديدة التى من ضمنها عدم ثقة الكثيرين باستمرارنا فى هذا العمل العظيم الشاق نظرا لما يتطلبه من الوقت **الطويل** والمال الوافر والمجهودات الكثيرة. أما الآن وقد ترجمنا تفسير سفرين من أصعب أسفار الكتاب المقدس ـ رسالة بولس الرسول الى أهل رومية ونشيد الانشاد ـ لما يتضمنانه من "الأشياء الكثيرة العسرة الفهم" (٢ بط ٣ : ١٦) فنستطيع أن نقول مع صموئيل "الى هنا أعاننا الرب" (١ صم ٧ : ١٢).

ولا ننسى أيضا شكر جميع اخواننا الذين ساعدونا سواء باشتراكهم فى الكتاب أو بترويجه بين اخوانهم أو بأمدادنا ببعض المساعدات المالية من تلقاء أنفسهم علاوة على اشتراكاتهم السنوية أو بأى مساعدة أخرى. ونطلب من الله أن يتولى عنا مكافأتهم جميعاً وأن "يزيدهم **كل** نعمة لكى يكونوا ولهم **كل** اكتفاء **كل** حين فى **كل** شئ يزدادون فى **كل** عمل صالح" (٢ كو ٩ :٨).

ونحن نتضرع لله أن يوالى علينا مساعداته لكى نستمر فى هذه الخدمة المباركة التى أرجوه تعالى أن يجعلها واسطة لبركة حياة الكثيرين ونشر كلمته وتوسيع نطاق ملكوته فى العالم،

حافظ داود

أول يناير سنة ١٩٢٤

مقدمة السفر

اننا نستطيع أن نعد أنفسنا من أولئك القوم السعداء الذين اعتادوا الوقوف أمام سليمان لسماع حكمته (١مل ١٠ : ٨)، بل اننا نجرؤ على القول بأننا أفضل منهم، لأن أولئك كانوا يسمعون كلماته مرة واحدة وان أرادوا ترديدها مرة ثانية كانوا عرضة لنسيانها أو تحريفها فيشوهون جمالها. أما نحن فقد نقلت الينا بوحي الهى درر منتقاة من حكمته كما هى، وبذلك نستطيع أن نقرأها ونتمعن فيها ونكررها ونحفظها فى ذاكرتنا الى ما شاء الله.

ان الدور المحزن الذى مثله سليمان فى روايته هو ما نقل الينا من خبر ابتعاده عن الله فى المدة الأخيرة من حكمه (١مل ١١ : ١) ولذلك فمن المرجح أن يكون قد كتب أمثاله فى عز قوته عندما كان لا يزال حافظا لاستقامته، ولكنه كتب هذا السفر الذى نحن بصدده فى أيام شيخوخته ـ لأنه تكلم فى الاصحاح الأخير عن متاعب الشيخوخة ـ عندما رجع وتاب عن ارتداده بمساعدة نعمة الله. انه قد دون ملاحظاته فى سفر الأمثال، أما فى سفر الجامعة فقد أفضى الينا باختباراته التى لقنها له الدهر، والتى خرج بها من معترك حياته الكثيرة الأيام.

فى العدد الأول نجد اسم هذا السفر وكاتبه. ولذلك نكتفى هنا بتدوين الملاحظات الآتية :

الأولى : ان هذا السفر عظة، عظة مكتوبة. وموضوع هذه العظة هو "باطل الأباطيل الكل باطل" (ص ١ : ٢). ويمكن أن نقول أيضا عن موضوع هذه العظة أنه مذهب أو تعليم. ولقد توسع سليمان فى اقامة البرهان عليه بأن أورد كثيرا من الحجج الدامغة والاستنتاجات المعقولة، ورد على اعتراضات شتى ضد هذا المذهب. وفى آخر السفر لخص كلامه فى بعض النصائح التى تتضمن "ذكر خالقنا" و "تقواه" و "حفظ وصاياه".

صحيح انه يوجد فى هذا السفر أمور كثيرة غامضة وعسرة الفهم، وبعض أمور "يحرفها فاسدو الأذهان لهلاك أنفسهم" (٢بط ٣ : ١٦) لعدم تمييزهم بين حجج سليمان واعتراضات الملحدين. ولكن فيه أمورا كثيرة سهلة وواضحة وكافية لاقناعنا ـ ان أردنا الاقتناع ـ ببطلان هذا العالم، وعجزه التام عن منحنا السعادة الحقيقية، وبنجاسة الخطية وبان نتيجتها المؤكدة هى تعاستنا وشقاؤنا، وأن الحكمة الحقيقية تنحصر فى التدين، وبأن الراحة الكاملة والتعزية الحقيقية لا نجدهما الا فى القيام بواجباتنا نحو الله والناس. هذه يجب أن تكون الغرض من كل عظة، وما أبلغ العظة التى تنجح فى اقناع سامعيها بهذه الحقائق.

الثانية : انه عظة، غرضها التوبة والندامة، كبعض مزامير داود، ففيها يكتئب الجامعة وينوح على غباوته فى السماح لنفسه بالتنعم بأمور هذا العالم، وارضاء شهواته الفاسدة، التى وجدها وقتئذ أمر من الموت. وان

سقوطه مع رسوخ قدمه في الحكمة، بما لم يتفق ولن يتفق لشخص غيره، برهان على ضعف الطبيعة البشرية، لأنه ان كان سليمان وهو أحكم البشر قد سقط هذا السقوط المريع "فلا يفتخرن الحكيم بحكمته" (ار ٩ : ٢٣) ولا يقل انى لن أصير غبيا وأعمل هذا الأمر أو ذلك. وان كانت ثروة سليمان قد صارت شركا وفخا له، وأساءت اليه أكثر مما أساء فقر أيوب اليه "فلا يفتخر الغنى بغناه" (ار ٩ : ٢٣). وان رجوع سليمان وقيامه من سقوطه برهان على قوة نعمة الله، فهى قادرة على رد النفس لله مهما طال ابتعادها عنه كما فعلت مع سليمان، وبرهان أيضا على غنى رحمة الله فى قبوله رغما عن عظم شره وخطيته وفقا لوعده لداود أبيه أنه ان أخطأ ابنه تعوج يؤدبه قومه، ولا يتركه ولا ينزع رحمته منه (٢صم ١٧ : ١٤ و ١٥). "اذن من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كو ١٠ : ١٢) ومن سقط فليسرع للقيام ثانية ولا ييأس من أن ينال مساعدة نعمة الله له، أو قبوله اياه داخل حظيرته.

الثالثة : وهو عظة عملية نافعة. فسليمان بعد أن تاب عزم كأبيه على أن "يعلم الاثمة طرقه" (مز ٥١ : ١٣)، وحذر الجميع من السقوط على الصخور التى وقع عليها هو فرضضته ـ وهذه حقا كانت "أثمارا تليق بالتوبة" (مت ٣ : ٨). ان الغلطة الرئيسية التى يسقط فيها كل بنى البشر، والتى هى أساس ابتعادهم عن الله، هى نفس الغلطة التى سقط فيها أبوانا

+++

الأولان، وهى رغبتهما فى أن يكونا "كالله" بأكلهما مما بدا لهما أنه "جيد للأكل وشهى للنظر" ويؤدى للحكمة (تك ٣ : ٥ و ٦) وفى هذا السفر نرى أن ذلك خطأ محض وشر مستطير وان سعادتنا لا تتوقف على جعلنا آلهة لأنفسنا نملك ما نريد ونعمل ما نشاء، بل تتوقف على التصاقنا بمن خلقنا وصار الها لنا. لقد اختلف فلاسفة علم النفس والأخلاق فى طرق توفير السعادة للانسان، والخير العام للناس، وذهبوا مذاهب شتى فى توضيح كنههما، أما سليمان ففصل فى الأمر فى هذا السفر، وأثبت أن "تقوى الله وحفظ وصاياه هو الانسان كله (ص ١٢ : ١٣). لأنه قد تزود بعبر الأيام، واختبر الحوداث، وعرف مقدار ما يناله الانسان من الراحة من ثروة هذا العالم، والتمتع بملذاته، وصرح أخيرا بهذه الحقيقة : "الكل باطل وقبض الريح". ولكن رغما عن كل ذلك لا يزال الكثيرون يرفضون قبول هذه الحقيقة ويسيرون فى نفس هذا التيار الجارف فيسعون وراء حتفهم بأنفسهم.

فى هذا السفر (١) يوضح سليمان بطلان الأمور التى يتوهم الناس أن فيها سعادتهم، كالعلوم البشرية، والشهوات البهيمية، والكرامة والقوة والغنى والممتلكات الشاسعة (٢) وبعد ذلك يصف الدواء الشافى لكآبة القلب التى تلازم تلك الأمور. فمع أننا لا نستطيع أن نخلى قلوبنا من غرورها وبطلانها الا أننا نستطيع أن نريح أنفسنا من أتعابها بعدم الاستسلام لها، والانقياد

الأعمى للذاتها، وابعاد أنفسنا عن الولوع بها، والرضوخ لارادة الله فى كل أمر من أمورنا، وبنوع خاص بذكر خالقنا فى أيام شبابنا، والاستمرار فى تقوى الله وخدمته كل أيامنا واضعين الدينونة العتيدة نصب أعيننا.

++++

++

* الإصحاح الأول *

فى هذا الاصحاح نرى

١ ـ عنوان هذا السفر ع ١

٢ ـ التعليم أو المذهب العام الذى قرره سليمان عن بطلان كل المخلوقات ع٢ وتفسيره ع٣.

٣ ـ وبرهن على المذهب باثبات (أولا) قصر الحياة البشرية وكثرة المواليد والوفيات فى هذا العالم ع٤ (ثانيا) تقلبات كل المخلوقات وتطورها المستمر، وانحلالها ورجوعها لأصلها بعد الانحلال كالشمس والرياح والمياه ع ٥ ـ ٧ (ثالثا) شدة تعب الانسان من الاتصال بهذه المخلوقات وعدم ارتضائه بها ع ٨ (رابعا) عودة الأشياء العتيقة للظهور ثانية ع ٩ و ١٠ (خامسا) عرضة كل الأشياء للاندثار والطرح فى زوايا النسيان ع ١١.

٤ ـ وأول مثل لهذا البطلان هو بطلان معارف البشر وكل العلوم العالمية، وبنوع أخص الفلسفة الطبيعية والفلسفة السياسية.

وهنا لاحظ (أولا) التجربة التى أختبر بها سليمان هذه الأمور ع ١٢ و١٣ و١٦ و ١٧ (ثانيا) حكمه عليها بأن "الكل باطل" ع ١٤ لأن (أ) فى الحصول على المعرفة عناء عظيما ع ١٣ (ب) وهى لا تأتى الا بفائدة جزئية ع ١٥ (جـ) ولا شئ فيها من الراحة ع١٨.

فان كانت المعرفة باطلة وقبض الريح فالأولى جدا تكون كل الأمور الأخرى فى هذا العالم باطلة وقبض الريح، لأنها دونها فى الكرامة والقيمة. فالعالم العظيم والفيلسوف الحصيف لا يمكن أن يكون سعيدا ان لم يكن قديسا حقيقيا.

١ ـ كلام الجامعة ابن داود الملك فى أورشليم.

٢ ـ باطل الأباطيل قال الجامعة. باطل الأباطيل الكل باطل.

٣ ـ ما الفائدة للانسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس.

فى هذه الأعداد نرى :

أولا : وصف كاتب هذا السفر : انه هو سليمان لأنه لم يكن من أولاد داود ملكا على أورشليم سواه. ولكنه أخفى اسمه "سليمان" الذى معناه "فى سلام" لأنه بخطيته جلب الشقاء والتعب على نفسه وعلى مملكته، ونقض سلامه مع الله، وفقد سلام ضميره، ولم يعد مستحقا لهذا الاسم. فلسان حاله يقول : لا تدعوننى سليمان بل أدعونى مرا لأنه "هوذا للسلامة قد تحولت لى المرارة" (اش ٣٨ : ١٧). ولكنه دعا نفسه :

١ ـ « الجامعة » :

وهى تدل على صفته وقتئذ. وقد دعى بهذا الاسم لأنه على ما يبدو كان يجمع الناس ليقوم بينهم خطيبا وواعظا. ويبدو أن السبب فى اطلاق هذا الاسم على نفسه بصيغة المؤنث هو لتوبيخ نفسه على ولوعه بالنساء،

وشغفه بهن، الأمر الذى كان أكبر العوامل لارتداده وابتعاده عن الله. فهو لم يبن للآلهة الغريبة الا ارضاء لزوجاته (نح ١٣ : ٢٦). أو ربما كان السبب فى تسميته بالجامعة هو انه كان يمثل الحكمة. وكلمة "حكمة" فى كلتا اللغتين العربية مؤنثة. أو قد يكون معنى كلمة جامعة :

١ ـ النفس المجموعة أو التائبة، أى النفس التى ظلت مدة طويلة ضالة وتائهة كالنعجة الضالة. وأما الآن فقد جمعت الى مقرها وردت الى عملها. تلك النفس التى تشتت بسبب ما ارتكبته من الأمور الباطلة العديدة قد جمعت الآن واستقرت فى الله.

فالنعمة الالهية تستطيع أن ترد أشقى الخطاة وتغير حتى "الذين بعد ما عرفوا طريق البر يرتدون عنه" (٢بط ٢ :٢١) وتشفى ارتدادهم" (هو ١٤ : ٤) ولو كان ذلك من أصعب الأمور.

ان النفس التائبة هى التى يقبلها الله، والقلب المنكسر هو الذى يقبله الله وليس "الرأس المنحنية كالأسلة يوما واحدا" (اش ٥٨ : ٥)، وتوبة داود هى التى يقبلها وليست توبة آخاب. والنفس المجموعة هى النفس التائبة التى ترجع عن ضلالها، ولا تعود "تفرق طرقها للغرباء" (ار ٣ : ١٣) بل "توحد قلبها لخوف اسم الرب" (مز ٨٦ : ١١).

حقا انه "من فضلة القلب يتكلم اللسان". ففى هذا السفر نرى كلمات

++

سليمان التائب. ان سقط كبار رجال الدين فى خطية مشينة تراهم يضطرون للاعتراف بتوبتهم جهرا لشدة حرصهم على مجد الله، وتعويضا للتلف العظيم الذى أحدثوه لملكوته، ورغبة منهم فى تعريف الناس بالدواء بقدر اذاعتهم للمرض.

٢ ـ النفس الجامعة أو الكارزة. انه اذ قد جمع هو نفسه الى مصاف القديسين الذين أبعد نفسه عنهم بخطيته، واذ عاد الى أحضان الكنيسة نراه يسعى ليجمع الآخرين الذين ضلوا مثله، ويردهم اليها لأنهم ربما يكونون قد ابتعدوا عنها بسبب قدوته السيئة. فمن أتى أمرا يعثر أخاه وجب عليه أن يعمل كل ما فى وسعه ليرده لحالته الأولى.

ربما يكون قد تكلم سليمان بهذا الكلام على مسامع جمع عظيم دعاه خصيصا لهذا الغرض كالجمع الذى دعاه عند تدشين الهيكل (١ مل ٨ : ٢). فى ذلك الاجتماع تكلم سليمان لله ـ فى الصلاة ـ على لسان كل الشعب (١مل ٨ : ١٢). أما فى هذا الاجتماع فتكلم للشعب ـ فى الكرازة والوعظ ـ على لسان الله. فالله قد جعله كارزا دلالة على مصالحته اياه ومغفرته لخطيته.

وهذا كما فعل المسيح مع بطرس، فان تكليفه اياه بأن يرعى خرافه دليل قاطع وبرهان ناطق على مغفرة خطيته.

ملاحظة : ان التائبين يجب أن يكونوا كارزين، لأن من أنذرهم الله فرجعوا وعاشوا يجب أن ينذروا غيرهم حتى لا يستمروا فى ضلالهم ويموتوا. ولهذا قال الرب لبطرس "وأنت متى رجعت ـ عن زلتك ـ ثبت اخوتك" (لو ٢٢ : ٣٢). يجب أن يكون الوعاظ كارزين، لأنه لا يمكن أن يصل الى القلب الا ما يخرج من القلب، فبولس "عبد الله بروحه فى انجيل ابنه" (رو ١ : ٩).

٢ ـ **«ابن داود»** وتلقيب نفسه بهذا اللقب يدل على :

١ ـ انه اعتبره شرفا عظيما بأن يكون ابنا لشخص صالح كهذا.

٢ ـ ان ارتكابه للخطية أمر شنيع ومزر جدا، لأنه ابن ذلك الرجل الصالح، الذى رباه تربية صالحة، وغرس فيه روحا فاضلة. فكلما تأمل فى خطيته، وكم جلبت من العار والخزى على ذلك الاسم الصالح ـ داود ـ وعائلته كان قلبه يذوب فى داخله من شدة الحزن والألم. فخطية يهوياقيم قد ازدادت شناعة فى نظر الله لأنه كان ابن يوشيا (ار ٢٢ : ١٥ ـ ١٩).

٣ ـ وكونه ا بن داود شجعه على القيام من سقطته، والتوبة وانتظار الرحمة من الله، فام داود سقط فى الخطية وتاب ولذلك اتخذه سليمان مثالا فى التوبة، فتاب ونال رحمة من الله كما نال داود. وليس ذلك فقط بل انه كان ابن داود الذى قال عنه الله انه ولو "افتقد معصيته بعصا.. الا

++

أنه لا ينقض عهده معه" (مز ٨٩ : ٣٢ و ٣٤).

ولقد كان المسيح ـ وهو أعظم كارز ـ ابن داود.

٣ ـ **«الملك فى أورشليم»**. وهو يذكر هذا الوصف :

١ ـ كأنه أمر يزيد خطيته شناعة. فهو كان ملكا، والله صنع معه احسانا عظيما باجلاسه على العرش، أما هو فتمرد عليه. كذلك جعله مركزه الرفيع قدوة سيئة بخطيته، سيما وقد كان ملك أورشليم، تلك المدينة المقدسة التى فيها هيكل الله الذى بناه هو، والمدينة التى فيها الكهنة خدام الله، وأنبياؤه الذين علموه التقوى والصلاح.

٢ – كأمر يعطى قوة لكلامه لأنه "حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان" (جا ٨ : ٤). أنه لم يعتبره أمرا مشينا أو مزريا له أن يكون واعظا وهو ملك، على أن الناس يزداد احترامهم له كواعظ لأنه ملك، فلو كرس العظماء أنفسهم لعمل الخير لكان من وراء مجهوداتهم الخير الجزيل. وكم كان كلام سليمان من المنبر وهو يعظ عن بطلان العالم مقبولا ككلامه من عرشه العاجى وهو يحكم ويقضى لشعبه.

يضيف التفسير الكلدانى للعهد القديم عبارات كثيرة على هذا السفر الزيادة ايضاح معانيه. ومن ضمن هذه العبارات ما ذكر عن كتابة سليمان لهذا السفر: أنه بروح النبوة سبق فرأى تمرد الأسباط العشرة على ابنه، ثم

خراب أورشليم والهيكل وسبى الشعب، فقال بازاء كل ذلك "باطل الأباطيل الكل باطل".

ثانيا: الغرض من هذا السفر. كان الغرض الذى يصبو اليه سليمان هو أن ينزع منا حبنا للعالم، وتعلقنا بالأمور الدنيوية، وذلك لكى نصل الى طريق التدين الحقيقى العملى. ومن أجل ذلك بين لنا:

أن كل هذه الأمور العالمية باطلة ع ٢. أن القضية التى يضعها أمامنا هنا، ويقوم بالبرهان عليها هى هذه: "باطل الأباطيل الكل باطل". لم يكن هذا التعليم جديدا، فداود أبوه تكلم بهذا المعنى أكثر من مرة. أن الحقيقة التى أراد اثباتها هنا هى هذه: "الكل باطل" أى كل شئ سوى الله، وكل شئ بعيد عن الله، كل الأمور العالمية، كل أعمال العالم وملذاته، كل مافى العالم، (١يو ٢ : ١٦)، كل مايوافق طبائعنا وميولنا البشرية، كل مانشعر أن فيه لذة لأنفسنا وعظمة لأشخاصنا. "الكل باطل" ليس فقط فى اساءتنا لاستعماله وتشويهه بخطية الإنسان بل حتى فى منفعته لنا وحسن استعمالنا له.

لو قورن الإنسان نفسه بهذه الأمور لوجدنا أنه باطل (مز ٣٩: ٥، ٦) ولو لم تكن هنالك حياة عتيدة أن تأتى بعد هذه الحياة لكانت خلقة الإنسان باطلة (مز ٨٩: ٤٧)، كذلك لو قارنا هذه الأمور بالإنسان

لوجدناها كلها باطلة مهما كانت في حد ذاتها. فهى لاتصل الى النفس ولا تمسها وهى لاتزيدها أو تنقصها شيئا، وهى لاتشبع مطالبها أو تحقق آمالها. وهى غير ثابتة أو دائمة بل لابد أن تتلاشى وتفنى وتزول. وهى طالما خدعت وخيبت آمال من يتعلق بها ويضع فيها ثقته. فلنكف اذن عن أن "نحب الباطل" (مز ٤ : ٢) ولا "نحمل أنفسنا اليه" (مز ٢٤ : ٤) لئلا نتعب ونعيى أنفسنا (حب ٢ : ١٣).

ومما نلاحظه أن سليمان يعبر عن بطلان هذه الأمور بتعبير صريح وقوى، فهو لم يقل ان الكل لافائدة منه بل "الكل باطل" كأن البطلان نفسه يتخلل طبيعتها. وهى ليست "باطلا" فقط بل "باطل الأباطيل" أى باطل كل البطلان، باطل في أشد درجات البطلان، لا شئ يرى فيها سوى البطلان. وهو يكرر هذا التعبير المزدوج مرتين بل ثلاثا "باطل الأباطيل.. باطل الأباطيل.. الكل باطل" لأنه أمر محقق جدا لا ذرة من الشك فيه.

وان ذلك لمما يدل على أن قلب ذلك الرجل الحكم ـ سليمان ـ كان ممتلئا، وعقله مقتنعا بهذه الحقيقة، وعلى أنه كان يشتاق بأن يجعل الآخرين يحسون بنفس هذا الشعور الذى يتغلغل في أعماق نفسه، لكنه كان يرى أن أغلب الناس يرفضون تصديق هذا الأمر (اى ٣٣ : ١٤). وهو يدل أيضا على أننا لانستطيع أن نعبر عن بطل هذا العالم.

ومن ذا الذى قرر هذه الحقيقة يا ترى؟ أهو شخص كان يتمسك بما يقول، ولا يرفض الاعتراف به؟ نعم! فهو يسجل اسمه بجانبه "قال الجامعة". أهو شخص مقتدر للحكم؟ نعم! فهو أكفأ من عرفه البشر للحكم بين الأمور. كثيرون يتكلمون عن العالم باحتقار شديد لأنهم نساك وزاهدون فيه، لا يريدون الاستمتاع بلذاته أو لأنهم فقراء لايملكون شيئا منه. أما سليمان فقد عرفه وملكه. وقد غاص فى أعماق الطبيعة (١مل ٤ : ٣٣)، وهو قد ملك من العالم ما لم يملكه أى شخص آخر سواه، كان عقله ممتلئا بأفكار العالم، وبطنه مملوءة بذخائره (مز ١٧ : ١٤)، وأخيرا نطق عنه بهذا الحكم.

وهل تكلم بهذا الكلام كمن له سلطان؟ نعم لا لأنه ملك فقط بل لأنه أيضا نبى وجامع، فهو تكلم باسم الله وبارشاده ووحيه.

(م ٢ ـ تفسير الكتاب)

وهل قال ذلك فى حيرة أو تسرع أو تحت تأثير أى ألم بسبب أى ظرف من ظروف الحياة ومفشلاتها، وكلا! فانه قد أصدر هذا الحكم بترو وأقام الدليل والبرهان عليه، وضعه كأساس وبنى عليه ضرورة التقوى والتدين الحقيقى.

وكما يظن البعض أن القصد الوحيد الذى أراد أن يبنيه هنا هو أن

+++

الملكوت الأبدى، الذى وعد به الله داود ونسله بواسطة ناثان لابد أن يكون من عالم آخر، لأن كل الأمور فى هذا العالم خاضعة للبطل، ولذلك لايمكن أن يتحقق ويتم فيه هذا الوعد.

٢ – انها لاتستطيع أن تنيلنا السعادة. ولكى يبرهن على ذلك لجأ لضمائر البشر فسألها "ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه؟" ع ٣. لاحظ هنا:

١ – وصف مشاغل هذا العالم وأعماله: أنها "تعب" أن العمل هو الذى يعيى البشر، وكل الأعمال العالمية يصحبها تعب مستمر. وهى "تعب... تحت الشمس وهذه عبارة لم تذكر سوى فى هذا السفر حيث تكررت ثمانية وعشرين مرة. يوجد عالم فوق الشمس، عالم لايحتاج الى الشمس لأن مجد الله هو نوره، عالم فيه عمل بدون تعب بل بفائدة ولذة عظمى ـ ذلك هو عمل الملائكة. أما سليمان فهو يتكلم عن العمل الذى "تحت الشمس" أى تحت تأثير الشمس ـ تحت تأثير نورها وحرارتها، وكما نستفيد بنور النهار كذلك يجب أن نحتمل ثقل النهار وحره (مت ٢٠ : ١٢)، لذلك "يجب أن نأكل خبزنا بعرق وجهنا" (تك ٣ : ١٩). أما فى القبر المظلم الرطب فيستريح المتعبون (أى ٣ : ١٧)

٢ – منفعة هذه المشاغل والأعمال. "ما الفائدة للإنسان من كل تعبه"

قال سليمان "فى كل تعب منفعة" (أم ١٤ : ٢٣). ومع كل ذلك فهنا ينكر بأنه توجد أية منفعة. حقا اننا من جهة حالتنا الحاضرة فى هذا العالم ننال من التعب "فائدة" فنحن "نأكل تعب أيدينا" (مز ١٢٨ : ٢). ولكن بما أن ثروة هذا العالم تسمى عادة مادة ـ مع أنها ليست كذلك (ام ٢٣ : ٥) ـ فهى تسمى "فائدة". على أن المسألة التى نبحث عنها الآن هى هذه:

هل يصح بأن تعتبر هذه الثروة فائدة أم لا؟ وهنا يجيبنا سليمان عن ذلك بالنفى، يبين لنا أنها ليست فائدة حقيقية، وليست فائدة دائمة. وبالاختصار ان ثروة هذا العالم وملذاته ـ مهما عظم مقدار ما نحصل عليه منها ـ لا يمكن أن تنيلنا السعادة، ولا يليق بأن نختارها نصيبا لنا.

(أ) فمن جهة الجسد ومن جهة حياتنا الحاضرة **«ما الفائدة للانسان من كل تعبه؟»**. ان الانسان "ليست حياته من أمواله" (لو ١٢ : ١٥). فكلما كثرت خيراتنا كثر اهتمامنا بها "وكثر الذين يأكلونها" (ص ٥ : ١١)، وأى أمر صغير يلاشى بهجتها ويمرر حلاوتها، لذلك **«فما الفائدة للانسان من كل تعبه؟»**.

(ب) ومن جهة النفس والحياة العتيدة نستطيع أن نقول بحق "ما الفائدة للانسان من كل تعبه؟". فكل ما يحصل عليه منها لا يسد مطالب النفس، ولا يشبع شهواتها، ولا يكفر عن خطيتها، ولا يشفى مرضها، ولا يرد لها

خسارتها. أى فائدة منها للنفس عند الموت، ويوم الدينونة، وفى الأبدية؟ ان ثمر تعبنا فى الأمور السماوية هو "الطعام الباقى للحياة الأبدية". أما ثمر تعبنا فى العالم فما هو الا "الطعام البائد" (يو ٦ : ٢٧).

٤ ـ دور يمضى ودور يجئ والأرض قائمة الى الأبد.

٥ ـ والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق.

٦ ـ الريح تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال. تذهب دائرة دورانا والى مداراتها ترجع الريح.

٧ ـ كل الأنهار تجرى الى البحر والبحر ليس بملان. الى المكان الذى جرت منه الأنهار الى هناك تذهب راجعة.

٨ ـ كل الكلام يقصر. لا يستطيع الانسان أن يخبر بالكل. العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع.

لكى يبرهن سليمان بطل كل الأشياء، وعدم استطاعتها بأن تنيلنا السعادة بين هنا :

١ ـ أن وقت تمتعنا بهذه الأشياء قصير جدا كسرور الأجير الذى ينتهى بانتهاء يومه (أى ١٤ : ٦). نحن لا نبقى فى العالم أكثر من دور (أو جيل) واحد، وكل «**دور يمضى**» ليفسح مكانا «**لدور آخر يجئ**»، ونحن

نمضى مع هذا الدور الذى يمضى. ان كل ما نمتلكه من متاع الدنيا قد ورثناه من أسلافنا من عهد قريب جدا، وبعد عهد قريب جدا لابد أن نتركه لأعقابنا، لذلك فكل شئ باطل لنا، وهو لا يمكن أن يكون ثابتا أكثر من العالم الذى يرتكز عليه، الذى قيل عنه بأنه "بخار يظهر قليلا ثم يضمحل" (يع ٤ : ١٤).

ازاء تعاقب الأدوار والأجيال لا يسعنا الا تمجيد الله على ابقائها فى الماضى، واستعداده لابقائها فى المستقبل، ولا يسعنا كذلك الا الاعجاب بصبره وطول أناته لسماحه بابقاء هذا العالم الفاسد وبقوته وسلطانه على ابقاء هذا العالم الفانى. وان تعاقب هذه الأجيال أيضا لما يبعث فينا روح النشاط لنقضى جيلنا بكل أمانة وجد واجتهاد لأنه سيزول سريعا. وعلينا أن نراعى خير البشرية بوجه عام فى تعاقب هذه الأجيال، أما من جهة سعادتنا الشخصية فلا يصح بأن نتطلبها فى دائرة محددة كهذه بل فى الراحة الأبدية.

٢ ـ وعندما نغادر هذا العالم نترك وراءنا **«الأرض قائمة الى الأبد»** حيث هى، لذلك فالأمور الأرضية لا تفيدنا بشئ فى المستقبل. خير للبشرية بوجه عام أن تبقى الأرض الى الأبد كما هى الى أن تحترق هى وكل ما عليها فى اليوم الأخير، ولكن ماذا تفيد الأشخاص بوجه خاص عندما ينتقلون الى عالم الأرواح؟

٣ ـ وحالة الانسان من هذه الوجهة أسوأ حتى من حالة المخلوقات الدنيئة : «**فالأرض قائمة الى الأبد**» أما الانسان فلا يقوم على الأرض الا برهة قصيرة. صحيح ان الشمس تغرب كل مساء ولكنها تعود فى الصباح التالى مشرقة كما كانت. والرياح ان تركت مكانا حلت فى غيره، والمياه ان ارتفعت عن الأرض هبطت اليها ثانية. أما "الانسان فيضطجع ولا يقوم" (اى ١٤ : ٧ و ١٢).

٤ ـ وكل الأشياء فى هذا العالم متغيرة ومتقبلة وخاضعة للاضطراب والعناء، ولا تستقر على حال أبدا، ولا تعرف للراحة سبيلا، فالشمس ان أشرقت تسرع للغروب، وان غربت تسرع للشروق : «**الشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع الى موضعها حيث تشرق**» ع٥ ولم تقف فى موضعها الا مرة واحدة لوقت قصير (يش ١٠ :١٢ و ١٣)، والرياح متنقلة على الدوام من وقت لآخر ع٦ ، والمياه تدور دورة مستمرة ع٧ لأنها ان وقفت فى مكان واحد وفى حالة واحدة واحدة تفسد ويسؤ المصير كالدم ان وقف فى الجسم. وهل يستطيع الانسان أن يطلب راحة فى عالم كل ما فيه مضطرب ع٨ فى بحر يزخر وتعج أمواجه وتعصف عواصفه؟.

٥ ـ وان كانت كل الأشياء متنقلة الا أنها لا تزال فى موضعها. فالشمس تغرب ولكنها تسرع الى موضعها، والرياح تتنقل من مكانها ولكنها سرعان ما تعود اليه، وكذلك المياه فانها لا محالة راجعة الى حيث

خرجت. وهكذا الحال مع الانسان فانه بعد كل التعب والمشقات التى يتكبدها لكى يجد فى الخليقة راحة أو سعادة لابد أن يجد نفسه حيث هو، ولا يزال بعيدا عما يتطلبه بعد الأرض عن السماء.

ان قلب الانسان لا يستقر فى كل ما يطلبه، وتطمح اليه نفسه كالشمس والرياح والمياه التى لا تستقر فى حركاتها. وليس ذلك فقط بل انه لا يمكن اشباعه أو ارضاؤه. فكلما ازداد فى تحصيل أمور العالم وثروته ازداد رغبة فيها وطمعا اليها، على أنه لن يمتلئ من هذه السعادة المزعومة كالبحر الذى **«تجرى اليه كل الأنهار وليس بملآن»** بل لا يزال كما هو "مضطربا لا يستطيع أن يهدأ" (اش ٥٧ : ٢٠).

٦ ـ ان "كل شئ باق هكذا من بدء الخليقة" (٢ بط ٣ : ٤). فالأرض باقية كما كانت والشمس والرياح والأنهار لا تزال حافظة لمجراها الذى اتخذته منذ البدء. ولذلك ان كانت لم تستطيع فى الماضى أن تهب أى سعادة للانسان فهى لن تستطيع ذلك فى المستقبل، لأنها باقية وستبقى كما هى. من أجل هذا يجب علينا أن نتطلع الى ما فوق الشمس لطلب السعادة، ولطلب عالم جديد.

٧ ـ ان هذا العالم بكل ما فيه من سعادة وسرور ليس الا عالم شقاء :

"فالكل باطل" لأن "كل الأمور متعبة"(١) لقد خضعت كل الخليقة لهذا البطل منذ حكم على الانسان بأن "يأكل خبزه بعرق وجهه". فان جلنا بنظرنا الى كل الخليقة رأيناها كلها منهمكة فى عملها، وليس لديها أية فرصة لتسعد الانسان. صحيح أنها كلها تعمل لخدمته، ولكنها لم تبرهن أبدا على أنه يوجد من بينها «**معين نظير**» له (تك ٢ : ١٨). ان الانسان ليقصر عن أن يعبر عن مقدار ما يملأ العالم من التعب، فهو يعجز عن أن يحصى التعابى وعن أن يقدر ما يتجشمونه من المتاعب.

٨ ــ وكل حواسنا لا تشبع، وكل مطالبها لا تشبع. ان سليمان يخص بالذكر هنا الحواس التى تؤدى وظيفتها بكل سهولة بدون أقل تعب : «**العين لا تشبع من النظر**» بل تمل من رؤية نفس الناظر التى اعتادت رؤيتها وتريد تغيير المناظر والأشكال. «**والأذن**» ان كانت تتلذذ فى بادئ الأمر لسماع نغمة شجية أو أغنية مطربة لكنها سرعان ما تسأم منها وتطلب غيرها. فكلا هاتين الحاستين تمتلئان، ولكن ليس الى درجة الشبع أو الاكتفاء لأن ما قد تلتذان منه برهة سرعان ما تسأمانه وتملانه. فحب الاستقصاء ومعرفة كل شئ جديد غريزة لا يمكن استئصالها من النفس.

٩ ــ ما كان فهو ما يكون والذى صنع فهو الذى يصنع، فليس تحت

---

(١) هذا هو النص العبرانى للجزء الأول من ع ٨ "كل الكلام يقصر". أنظر هامش الكتاب.

الشمس جديد.

١٠ ـ ان وجد شئ يقال عنه أنظر : هذا جديد فهو منذ زمان كان في الدهور التى كانت قبلنا.

١١ ـ ليس ذكر للأولين. والآخرون أيضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم.

يوجد أمر ان طالما ظننا أن فيهما راحة وسعادة عظمى وشرفا كبيرا لأنفسنا . أما سليمان فيرينا هنا خطأنا فى هذا الظن :

١ ـ غرائب الاختراع، والظن بأن الشئ المخترع لم يكن له وجود قبلا. حسنا تفتكر أنه لم يسبقنا شخص فى التقدم فى المعرفة، والتوصل الى الاختراعات الكثيرة بواسطة هذه المعرفة، وأنه لم يستطع أحد أن ينافسنا فى توسيع التجارة وتنمية الثروة والاستفادة بأرباحها، وان كل مجهودات منافسينا ومساعيهم قد ذهبت أدراج الرياح، وأن نفتخر بالازياء الحديثة والأفكار والطرق العصرية والتعبيرات الجديدة التى تلاشى القديم ولا تبقى له أثرا. على أن سليمان يبين لنا أن ذلك كله خطأ محض : فما هو كائن وما سيكون هو نفس ما كان **«ما كان فهو ما يكون، والذى صنع فهو الذى صنع»** ذلك لأنه **«ليس جديد تحت الشمس»** ع٩ وقد كرر ذلك فى ع ١٠ قائلا **«ان وجد شئ يقال عنه أنظر. هذا جديد»** ان افتخر العلماء بالعلوم

العصرية، والمخترعون باختراعاتهم الحديثة ـ فليعلموا أن كل ذلك **«منذ زمان كان فى العصور التى كانت قبلنا»**.

أى شئ فى عالم الطبيعة نستطيع أن نقول عنه "هذا جديد؟" ان "الأعمال قد أكملت منذ تأسيس العالم" (عب ٤ : ٣) فالأشياء التى تبدو لنا جديدة ـ كما تبدو بعض الأشياء جديدة للاطفال ـ ليست كذلك فى حد ذاتها. فالسماء كانت منذ القدم، والأرض قائمة الى الأبد، وعوامل الطبيعة لا تزال كما كانت منذ البدء.

أما من جهة العالم الروحى فمع أن طرق العناية الالهية لا تتخذ مجرى خاصا، أو تسير على قواعد خاصة، كما هو الحال فى عالم الطبيعة، ومع أنها لا تسلك فى مسار واحد الا أنها بوجه عام لم تتغير. فقلوب البشر وما يملأها من الرجاسات لا تزال كما هى، وشهواتهم ومطامعهم وشكواهم لا تزال كما هى، ومعاملات الله مع البشر هى بحسب الكتاب المقدس فهى لذلك لم ولن تتغير. فلا يليق بأن ندهش مما قد نراه فى نظرنا جديدا أو غريبا لأنه قد حدثت أمور مثله سابقا، فما قد نشاهده من تقدم غريب أو فشل مدهش، وما قد نراه من تغييرات وانقلابات فجائية ـ قد حصلت لأناس آخرين قبلنا. وشقاء الحياة البشرية لم تبله مر الأيام وكر العشى، لأن الانسان يدور فى هذا العالم فى دائرة متصلة الأطراف، فمهما سار فى هذه الدائرة لابد أن يجد نفسه حيث هو : ، وما مثله فى ذلك الا مثل الشمس

والرياح. **وقصد سليمان من كل ذلك :**

١ ـ أن يظهر غباوة بنى البشر فى التأثر بالأشياء الجديدة، والظن بأنهم قد اخترعوا هذه الأشياء، وجهلهم فى الافتخار بها، نحن ميالون بطبيعتنا أن نمل الأشياء القديمة، ونسأم مما اعتدنا استعماله ورؤيته مدة طويلة، كما سئم الاسرائيليون من المن (عد ١١ : ٤ ـ ٦) ونشتاق أن نسمع أو نتحدث عن كل جديد كالاثينيين (أ ع١٧ : ٢١) ونعجت بهذا الشئ الحديث أو ذلك الجديد مع أن هذه كلها كانت فى عالم الوجود قبل الآن. قال تتيانوس الاشورى، مخاطبا اليونانيين الذين ادعوا العظمة والجاه بسبب فنونهم واختراعاتهم الكثيرة : "يا للعار! أ تدعون هذه اختراعات مع أنكم لستم الا مقلدين وناقلين؟" وأظهر لهم أن أصل هذه الأشياء جميعها يرجع الى تلك الأمم والقبائل التى دعوها متوحشة.

٢ ـ أن ينزع عنا فكرة طلب السعادة من المخلوقات. لماذا نطلبها من المخلوقات بينما لم يجدها فيها أى شخص؟ أى سبب يحملنا على الاعتقاد بأن العالم سيرق قلبه لنا ويكيل لنا بمكيال أكثر مما كال به للذين قبلنا طالما أنه لم يطرأ عليه شئ جديد وبينما أن آباءنا قد نالوا من العالم ما يستطيع الانسان أن يناله منه؟ "آباؤكم أكلوا المن ومع كل فقد ماتوا" (يو ٦ : ٤٩). أنظر أيضا (يو ٨ : ٨ و ٩).

٣ ـ أن يحيى فينا الرغبة لطلب البركات الروحية الأبدية. لأننا ان كنا نفرح بالأشياء الجديدة فلنسع للوصول الى الأمور الالهية للحصول على طبيعة جديدة، وحينئذ "تمضى الأشياء العتيقة ويصير الكل جديدا" (٢كو ٥ : ١٧). ان الانجيل "يجعل فى أفواهنا ترنيمة جديدة" (مز ٤٠ : ٣)، وفى السماء سيصير "كل شئ جديدا" (رؤ ٢١ : ٥) متباينا تبيانا كليا عن حالة الأشياء الحاضرة، لأن العالم سيصير جديدا يقينا (لو ٢٠ : ٣٥) كل شئ سيصير جديدا الى الأبد لا يبليه القدم ولا يعتريه الفساد كل هذه الاعتبارات ترغبنا فى الموت، لأن كل ما فى هذا العالم متكرر أبد الدهر، ولأننا لا يمكننا أن ننتظر فى هذا العالم شيئا أكثر أو أحسن مما حصلنا.

٢ ـ بقاء ذكر ما نأتيه من الأعمال وتحدث الناس عنه بعد مماتنا. يظن الكثيرون أنهم يجدون راحة عظمى لدى التأمل فى بقاء أسمائهم أبد الدهر فى هذا العالم، وسير الأجيال الآتية على ما نسجوه من الأعمال واختطوه من الطرق، وتمتع ذريتهم بما تركوه من الغنى والأمجاد، وبقاء "بيوتهم الى الأبد" (مز ٤٩ : ١١) ولكنهم بهذا يخدعون أنفسهم. فكم من **«الأولين»** ـ سواء الأشياء أو الأشخاص ـ كانوا فى هذا العالم، وكانوا فى عصرهم من أعظم الرجال، وعملوا أجل الأعمال، ومع كل ذلك "ليس ذكر" لهم بل قد طرحوا فى زوايا النسيان. قد يكون من حسن حظ شخص عظيم أو عمل جليل أن يدون فى صحائف التاريخ، ولكن قد يغفل ذكر أسماء أشخاص

++

آخرين لا يقلون عنه شهرة وعظمة، ومن ذلك نستنتج أن «**الآخرين أيضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر**» لأن ما نرجو أن يذكرنا به «**الذين يكونون بعدنا**» اما أن يترك فى زوايا النسيان أو يغفل عنه.

---

١٢ ـ أنا الجامعة كنت ملكا على اسرائيل فى أورشليم.

١٣ ـ ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات. هو عناء ردئ جعلها الله لنبى البشر ليعنوا فيه.

١٤ ـ رأيت كل الأعمال التى عملت تحت الشمس فاذا الكل باطل وقبض الريح.

١٥ ـ الأعوج لا يمكن أن يقوم والنقص لا يمكن أن يجبر.

١٦ ـ أنا ناجيت قلبى قائلا هانذا قد عظمت وازددت حكمة اكثر من كل من كان قبلى على اورشليم وقد رأى قلبى كثيرا من الحكمة والمعرفة.

١٧ ـ ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل. فعرفت أن هذا أيضا قبض الريح.

١٨ ـ لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علما يزيد حزنا..

بعد أن ذكر سليمان بوجه عام أن "الكل باطل"، وبعد أن قدم بعض

++

البراهين العامة عن هذه الحقيقة، نراه هنا يدقق البحث لاثباتها بأقوى البراهيم والأدلة. وقد أقام هنا على ذلك برهانين.

١ ـ من اختباره الشخصى، فهو قد اختبر كل الأمور فوجدها باطلة.

٢ ـ بذكر بعض أمور خاصة، وقد بدأ هنا بأفضلها، وبما يتوهم الجميع أن فيه سعادة البشر، وهو المعرفة والعلم. فان كان هذان الأمران باطلين تحتم أن يكون كل ما عداهما باطلا أيضا.

والآن نرى :

أولا : أن سليمان يخبرنا هنا عن اختباره عن كل الأمور العالمية، وأنه لو كان فيها أية راحة أو سعادة لكان هو أولى الناس بالتمتع بها نظرا لما كان لديه من الامتيازات النادرة المثال.

١ ـ فمركزه الرفيع أفسح له المجال للتقدم فى سائر أنواع العلوم، وبنوع أخص فى الأمور السياسية وتدبير شئون الرعية ع ١٢، فالجامعة هذا كان **«ملكا على اسرائيل»** الذين أعجب بهم كل من جاورهم من الأمم، واعتقدوا أنهم "شعب حكيم وفطن" (تث ٤ : ٦). وكانت قاعدة كرسية **«فى أورشليم»** التى فاقت أثينا بعظمتها واستحقت أن تدعى "فخر كل العالم". ان قلب الملك لا يمكن الوصول اليه لفحصه ومعرفة ما يكنه من الأسرار، على أنه طالما كان "فى شفتيه وحى" (ام ١٦ : ١٠). من واجبات

+++

الملك ومن الشرف له أن يفحص كل أمر، وسليمان قد ساعده مركزه وعظمته وغناه على أن يجعل بلاطه مركزا للعلم، ومجتمعا للعلماء، ويجهزه بأنفس الكتب والأسفار، وعلى أن يحادث ويراسل أحكم البشر وأرسخهم قدما فى الفلسفة. وبذلك كانوا يستفيدون هم منه ويستفيد هو منهم، لأن العلم كالتجارة لا تتم فائدته الا بالتبادل، لأننا ان وجدنا فى كلام الآخرين ما نستفيد منه لابد أن يجدوا هم أيضا فى كلامنا ما يستفيدون منه.

لاحظ البعض أن سليمان يتكلم عن نفسه هنا بكل تواضع. فهو لم يقل **«أنا الجامعة ملك»** بل يقول **«كنت ملكا»** بصيغة الماضى كأن ملكه قد زال، دلالة على سرعة زوال الأمجاد العالمية.

٢ ـ وهو أقام نفسه للتوسع فى الحصول على الحكمة فوجد أنها لن تصير الانسان حكيما ما لم يعطها كل قلبه **«وجهت قلبى للسؤال والتفتيش»** (عن كل ما تهمنى معرفته) **بالحكمة** ع١٣. انه قد جعل شغله الشاغل معرفة **«كل ما عمل تحت السماوات»** (أو تحت الشمس. أنظر هامش الكتاب) أى كل أعمال العناية الالهية وكل أعمال الحكمة البشرية. لقد أقام نفسه ليدخل أعماق الفلسفة والرياضيات، وليسير غور الفلاحة والتجارة والصناعة، وليقف على حقيقة أخبار الأجيال الغابرة وأحوال الممالك الأخرى الحاضرة وشرائعهم وعوائدهم وسياستهم، وليلم بطباع الناس المختلفة وكفاءاتهم وطرق قيادتهم وتدبير شئونهم. أنه يوجد قلبه

"للسؤال" فقط عن هذه الأمور بل "للتفتيش" عنها وتدقيق البحث فيها لأن الالمام بكل أطرافها يتطلب دقة البحث والتنقيب.

مع أنه كان ملكا، فقد جعل نفسه خادما للعلم، وتحمل كل مشقاته وشرب مراراته. وهو لم يفعل كل ذلك لمجرد التبحر فى العلم وسعة الاطلاع، بل لكى يهيئ نفسه لخدمة الله وشعبه، ولكى يختبر بنفسه مقدار ما تكسبه كثرة العلم من الراحة للعقل.

٣ ـ وقد نجح فى أبحاثه نجاحا لم يره شص قبله، وألم بكل أنواع العلوم الماما عجيبا. انه لم يذم العلم ولم يشجبه كما يفعل الكثيرون لعدم استطاعتهم الالمام بكل أطرافه والتغلب على كل صعوباته، كلا! فان ما كان يصوب جهوده نحوه قد فاز بالحصول عليه، انه قد "رأى كل الأعمال التى عملت تحت الشمس" ع١٤، أى أعمال الطبيعة فى العالمين العلوى والسفلى، كل منتجات الفنون وبنات القرائح الانسانية السامية فى دائرة جهودها الشخصية والعامة.

كان مستريحا ومسرورا جدا من نجاح أبحاثه، ككل انسان، فهو قد **«ناجى قلبه»** ع ١٦ ليعرف مقدار ما حصل عليه من العلم والمعرفة كما يحصى التاجر الغنى مقدار ما فى مخازنه من السلع وهو مسرور ومبتهج. انه استطاع أن يقول **«هانذا قد عظمت وازددت حكمة»** لم أمتع نفسى فقط

++

بما اقتنيته من الحكمة، بل قد نشرتها فى كل الأرجاء **«أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم»**.

ملاحظة : يليق بالعظماء أن يكدوا قرائحهم فى الدرس والتنقيب ويمتعوا أنفسهم بالمسرات العقلية. وان أعطى الله امتيازات عظمى وفرصا كثيرة لتحصيل المعرفة فهو ينتظر منا انتهاز هذه الفرص للانتفاع بها. وما أسعد ذلك الشعب الذى يتنافس أمراؤه وشرفاؤه مع نظرائهم فى تحصيل الحكمة والمعرفة، كما يتنافسون معا فى الثروة والعظمة، لأنهم بذلك يؤدون له خدمات جليلة فى رفع مستوى العلم الأمر الذى ليس فى مقدور الفقراء الوصول اليه.

لا شك فى أن سليمان يعتبر الحكم الفصل فى هذا الأمر لأنه لم يحش عقله بنظريات عن تلك الحكمة، بل كان قلبه ممتلئا بها **«وقد رأى (أو اختبر) قلبى كثيرا من الحكمة والمعرفة»**. انه لم يختبر لذتها وتسليتها فقط بل قوتها وفوائدها أيضا، لأنه عرف كيف ينتفع بما قد عرفه "فالحكمة اذ دخلت قلبه لذت لنفسه" (ام ٢ : ١٠ و ١١، ٢٢ : ١٨).

٤ ــ وحصر أبحاثه فى أحد فروع العلم، وهو أهمها وأكثرها نفعا للانسان ع ١٧ : **«وجهت قلبى لمعرفة الحكمة»** أى قوانينها ونواميسها وكيفية الوصول اليها، **«ولمعرفة الحماقة والجهل»** وكيفية تجنبها والتخلص

منهما، ولمعرفة فخاخهما وغواياتهما حتى أتجنبها وأحذر منها. فحقا أجهد سليمان نفسه وكد قريحته لتوسيع مداركه حتى تعلم كثيرا ونال ارشادات لا حصر لها من حكمة الحكماء، ومن حماقة وغباوة الجهلاء، من "حقل الكسلان وحقل المجتهد" (ام ٢٤ :٣٠ ـ ٣٢).

ثانيا : بعد ذلك أخبرنا عن نتيجة هذا الاختبار، لكي يؤيد ما سبق أن قاله من أن "الكل باطل".

١ ـ فهو أولا وجد أن أبحاثه وراء المعرفة متعبة ومنهكة، لا للقوة الجسدية فقط بل للقوى العقلية أيضا ع ١٣ : **«هو عناء ردئ»**. تلك الصعوبات الجمة التى تنجم من التفتيش عن الحق **«جعلها الله لبنى البشر ليعنوا فيها»** قصاصا لطمع أبوينا الأولين للحصول على المعرفة التى حرمت عليهما. فآدم قد حكم عليه أن "يأكل خبزه (خبز النفس والجسد) بعرق جبينه" ولو لم يخطئ لحصل على الاثنين بدون تعب ولا عناء.

٢ ـ ووجد أنه كلما رأى **«الأعمال التى عملت تحت الشمس»** ازداد اقتناعا بأن **«الكل باطل وقبض الريح»** ع١٤ :**«رأيت كل الأعمال»** التى تعمل فى عالم مملوء بالتعب والانشغالات الزائدة، وتأملت فيما يعمل بنو البشر، فاذ بى رأيت أن "الكل باطل وقبض الريح" مهما اعتقد الناس فى أعمالهم. لقد صرح فى ع ٢ أن "الكل باطل" أى بلا داع وبدون جدوى.

أما هنا فيضيف على ذلك بقوله "وقبض الريح" أو "مضايقه الروح" (حسب بعض الترجمات) أو "رعى الريح" (كهامش الكتاب. أنظر أيضا هو ١٢ :١).

١- فالأعمال نفسها التى نراها تعمل، باطلة ومتعبة لمن يتممونها. فمجرد تفكيرنا فى أعمالنا العالمية يتطلب مجهودا فكريا عظيما، واتمامنا لها يتطلب عناء لا يستهان به، وفشلنا فيها يجر علينا آلاما لا تحتمل، ومن ذلك لا يمكننا الا أن نقول بوجه الاجمال انها "مضايقة للروح".

٢ ـ والشخص العاقل الحكيم لا يرى فيها سوى البطلان ومضايقة الروح. فكلما رأيناها تحققنا مما تكسبنا اياه من عدم الراحة والجزع، وتأكدنا صحة قول هرقل بأن الانسان لا يرى كل ما فى العالم الا بعينين باكيتين. وسليمان عرف بنوع خاص أن " معرفة الحكمة والجهل قبض الريح (أو مضايقة الروح) " ع ١٧ لأنه قد آلمه جدا، وضايق روحه الطاهرة، أن يرى الكثيرين من الحكماء لا يستعملون حكمتهم لينتفعوا بها، والكثيرين من الجهلاء لا يجاهدون ضد حماقتهم وجهلهم. لقد آلمه جدا ـ عندما عرف الحكمة ـ أن يرى الحكمة بعيدة جدا عن بنى البشر، وأن يرى الجهل ناشبا أظفاره فى قلوبهم بسرعة.

٣ـ ووجد أيضا بأنه عندما حصل على المعرفة لم يستطع أن ينال منها راحة لنفسه أو يستعين بها على اتمام ما كان ينتظره من الخير للاخرين

++

ع ١٥ ، فقد اتضح له بأنها لم تجده أى نفع:

١ـ فى تخفيف هموم الحياة وأحزانها الكثيرة، واصلاح ما أعوج منها، فسليمان ينادينا بأعلى الصوت قائلا: أنى فى النهاية وجدت أن «**الأعواج لا يمكن أن يقوم**» بل سيظل كما هو. فالمعرفة نفسها معوجة ومعقدة. وان إردنا أن نلم بكل أطرافها طال بنا الطريق بلا جدوى. لذلك ظن سليمان أنه يستطيع أن يجد طريقا أقصر للوصول اليها ولكن لم يفلح. وعقول البشر وطبائعهم معوجة وفاسدة، لذلك توهم سليمان أنه بحكمته وسلطانه يستطيع أن يقوم ما أعوج فى مملكته ولكن مساعيه ذهبت أدراج الرياح. فكل فلسفة وكل سياسة فى العالم لا تستطيع أن ترد طبيعة الانسان الفاسدة الى صلاحها وبرارتها وطهارتها الأولى، والعلم لا يستطيع أن يغير طبائع الناس الفطرية أو يخلصهم من نجاستهم.

٢ ـ فى تكميل ما نقص لتعزية الانسان. «**والنقص لا يمكن أن يجبر**» (أو يعد حسب هامش الكتاب) لا يمكن أن تكمله العلوم البشرية، بل سيزال ناقصا كما هو. فكل ما توهمناه من السعادة فى هذه الحياة لا نستطيع أن نجعله كاملا، بل سيظل أبد الدهر ناقصا.

"والنقص" فى المعرفة والحكمة كثير جدا لدرجة أنه "لا يمكن أن يعد". وكلما ازددنا معرفة ازداد جهلنا وضوحا. "السهوات من يشعر بها" أو : "من

يستطيع أن يعرف سيئاته" حسب الترجمة الانكليزية (مز ١٩ : ١٢).

٤ ـ ولذلك استنتج بوجه الاجمال أن أعظم الفلاسفة وأدقهم بحثا وراء المعرفة انما يسعون وراء الهموم والأحزان : «**لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم**» ع ١٨ فالحصول عليها يسبب آلاما طائلة، والاحتفاظ بها يستلزم انشغال بال زائد، وكلما حصلنا عليها شعر بأنه ينقصنا الكثير منها ـ فيظهر لنا بأجلى وضوح أن عملنا ناقص على الدوام ـ وكلما ظهرت أمام أعيننا نقائصنا الماضية وزلاتنا السابقة، وذلك طبعا يسبب لنا "كثرة الغم". اننا كلما رأينا مشاعر الناس وآراءهم المختلفة ـ وهى ما يصبو نحوها أغلب العلم ـ ازدادت حيرتنا لمعرفة أيها الأصح.

"والذين يزيدون علما" أى يزدادون معرفة وادراكا لمصائب هذه الحياة، لأنهم ان وجدوا أمرا واحدا يسرهم قد يرون عشرة تؤلمهم وبذلك "يزيدون حزنا". على اننا لا يليق بنا أن نمتنع بسبب ذلك عن السعى وراء الحصول على المعرفة النافعة بل لنتغلب على أحزانها بالصبر، ولكن ايانا وانتظار السعادة الحقيقية من هذه المعرفة، بل علينا أن نطلبها من معرفة الله ومن تأدية واجباتنا من نحوه، لأن من يزيد حكمة سماوية ومعرفة حقيقية لقوة الحياة الروحية وسعادتها يزيد فرحاً، بل سيكمل قريبا ذلك الفرح الأبدى.

❊ الاصحاح الثانى ❊

اذ صرح سليمان فى الاصحاح الماضى بأنى "الكل باطل"، وخص بالذكر العلم والمعرفة لأنه لم يستطيع أن يجد لنفسه فيهما سعادة وسرورا، بل بالعكس وجد أنه كلما زاد تعمقا فيها ازداد حزنه وغمه، نراه فى هذا الاصحاح يستمر ليبين الأسباب التى جعلته يئن من العالم ويكرهه هو وأغلب الناس (١) فأولا يبدو أنه لا سعادة حقيقية فى الأفراح والمسرات العالمية والتنعمات الجسدية ع١ ـ ١١ (٢) وأعاد النظر والتأمل فى الحكمة فوجد أنها حقا نافعة وسامية الشأن جدا ولكنه رأى أن النقص يتغلغل فيها ولذلك لا تكفى أن تهب الانسان السعادة الحقيقية ع١٢ ـ ١٦ (٣) فتتبع آثار كل أعمال الحياة وثروتها ليعرف الى أى حد تسعد الانسان فيستنتج من اختياره بأن كل الذين يضعون قلوبهم عليها لابد أن يجدوها "باطلة وقبض الريح" ع١٧ ـ ٢٣، أما ان كان فيها أى خير فلا يتمتع به الا الذين يفرغون قلوبهم منها ع ٢٤ ـ ٢٦.

١ ـ قلت أنا فى قلبى هلم أمتحنك بالفرح فترى خيرا. واذا هذا أيضا باطل.

٢ ـ للضحك قلت مجنون، والفرح ماذا يفعل.

٣ ـ افتكرت فى قلبى أن أعلل جسدى بالخمر. وقلبى يلهج بالحكمة، وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبنى البشر حتى يفعلوه تحت السماوات مدة أيام حياتهم.

٤ ـ فعظمت عملي. بنيت لنفسي بيوتا غرست لنفسي كروما.

٥ ـ عملت لنفسي جنات وفراديس، وغرست فيها أشجار من كل نوع ثمر.

٦ ـ عملت لنفسي برك مياه تسقى بها المغارس المنبته الشجر.

٧ ـ قنيت عبيدا وجوارى، وكان لي ولدان البيت. وكانت لي أيضا قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا فى أورشليم قبلى.

٨ ـ جمعت لنفسي أيضا فضة وذهبا وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنيين ومغنيات وتنعمات بنى البشر سيدة وسيدات.

٩ ـ فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلى فى أورشليم وبقيت أيضا حكمتى معى.

١٠ ـ ومهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما لم أمنع قلبى من كل فرح. لأن قلبى فرح بكل تعبى. وهذا كان نصيبى كل تعبى.

١١ ـ ثم التفت أنا الى كل أعمالى التى عملتها يداى والى التعب الذى تعبته فى عمله فاذا الكل باطل وقبض الريح، ولا منفعة تحت الشمس.

فى هذه الأعداد نرى سليمان يتتبع آثار سعادة الانسان، ويفتش عنها فى

أبحاثه ومجلداته ومعامله ومصانعه، فى حدائقه ومتنزهاته، وينتقل بين الفلاسفة والعظماء، وبين الأبطال والنابغين فى الحكمة والذكاء، ويستبدل حاشيته بغيرها عله يعثر بينها على راحة أو سعادة حقيقية، واكن ذهبت كل مساعيه أدراج الرياح. ومما نلاحظه عنه هنا أنه بعد أن ارتفع الى السماك الأعزل فى أبحاثه اضطر أن ينزل الى الحضيض الأسفل، فهو بعد أن بحث ونقب فى المسرات واللذات العقلية السامية الشريفه هبط الى اللذات البهيمية والشهوات الجسدانية السافلة الدنيئة، على أنه رأى أنه لابد له من السلوك فى هذا الطريق الوعر ان أراد أن يبحث بحثا مستفيضا ويحصل على نتيجة مرضية، لأن أغلب البشر يتوهمون أنهم قد حصلوا على ما كان ينشده هو.

أولا : لقد عزم على أن يجرب الأفراح والمسرات العالمية، ولذة العلم والذكاء، وماذا يكون فعلها فى الانسان، وعلى أن يختبر مقدار ما يناله من السعادة ان قضى شطرا عظيما من أوقاته فى الهزل والمجون والضحك والتسلية بالتحدث أو سماع القصص والأخبار السارة والنكات الهزلية.

١ ـ فهو عمل هذه التجربة ع١ لأنه وجد "أن فى كثرة الحكمة كثرة الغم" (ص ١ : ١٨) وأن الذين يقضون كل أوقاتهم فى الجديات يميلون دائما للكآبة والسويداء، لذلك **قلت أنا فى قلبى (١) هلم أمتحنك**

(١) "لقلبى" حسب بعض الترجمات.

++

بالفرح» لأرى هل يستطيع ذلك أن ينيلك راحة. لم يكن فى طبعه الداخلى أو ظروفه الخارجية ما يمنعه من أن يكون سعيدا، ولذلك عزم على أن يخلى عنه كل اهتمام وانشغال بال ويعيش سعيدا "ليرى خيرا" لأنه قد يعيش الانسان سعيدا ويتمتع بالخير الجزيل وهو لا يملك من حطام الدنيا ما يلذذ به نفسه، اذ لا شك فى أن أغلب الفقراء سعداء. ان الأفراح الناشئة من تلذذ قوى الانسان العقلية لأفضل بكثير من تلك الناشئة من أشباع شهواته البهيمية وأهوائه الجسدية. حتى أن البعض يميز الانسان عن الحيوان لا بأنه حيوان ناطق عاقل فقط بل بأنه حيوان يضحك، لذا فذاك الذى قال لنفسه "استريحى وكلى واشربى كان له الحق أن يقول بعد ذلك "وافرحى" (لو ١٢ : ١٩) لأنه لهذا كان يأكل ويشرب.

ومن أجل ذلك أمرنا سليمان بأن نضحك لنسر أنفسنا.

٢ ـ حكمه على هذه التجربة : «**واذا هذا أيضا باطل** كباقى الأمور، لأنه لا يهب الانسان سعادة حقيقية ع٢، «**للضحك قلت مجنون**» (أو أنت مجنون) لذلك فلا شأن لى بك، «**والفرح** (أى كل أنواع التسليات) **ماذا يفعل**» (أو ماذا تفعل) ولذلك فلا شأن لى بك. ان الأفراح الخالية من كل شائبة لو استعملت بتعقل ووقار واعتدال تصير أمرا حسنا، وتعين الانسان على متابعة أعماله، وتروح عن نفسه متاعب وهموم الحياة البشرية. ولكى ان زادت عن حد الاعتدال، وخرجت عن حدود اللياقة، لا تصير غير منتجة فقط بل مضرة أيضا.

١ ـ فأولا لا يكون من ورائها أى نفع : «**ماذا تفعل**» انها لا تهدئ ضميرا مذنبا، ولا تريح نفسا أضناها الحزن والغم، لأنه لا شئ أسخف وأثقل من أن "تغنى أغانى لقلب كئيب (أم ٢٥ : ٢٠). فكل ذلك لا يشبع النفس ولا يرضيها، لأنه يعتبر الا مسكنا لآلام الزمان الحاضر. فالضحك الكثير ينتهى عادة بالغم الكثير.

٢ ـ وفوق ذلك ينجم عنها الضرر البليغ :"مجنون" أى أنها تصير الانسان مجنونا، تحمله لارتكاب كثير من الشرور التى تنافى عقليته وديانته. فان كان ينغمس فى مثل هذه الشرور، ويبتعد قلبه عن الله وعن كل أمر طاهر ألا يحسب فى عداد المجانين؟ ان الذين يحبون الفرح ينسون الجديات، فانهم ان "حملوا الدف والعود وطربوا بصوت المزمار يقولون لله ابعد عنا" (أى ٢١ : ١٢ و ١٤). اننا نستطيع كسليمان أن نمتحن أنفسنا بالفرح لنحكم على حالة نفوسنا بموقفها فيه ومقدار تأثرنا به، ولنعرف أنستطيع أن نكون فرحين وحكماء فى نفس الوقت؟ أنحن نستعمل الفرح كالفاكهة فى الطعام أم كالطعام نفسه؟ على أنه لا حاجة لنا لهذا الامتحان، لأن سليمان قد أغناها مؤونة التعب، فلنأخذ حكمه النهائى كقضية مسلمة وهو أن "الضحك مجنون، والفرح ماذا يفعل". قال السير ويليم تمبل أن الضحك والسرور أمران يختلفان عن بعضهما تمام الاختلاف، وينبعثان عن عاطفتين مختلفتين، لأنه كما أن الناس لا يضحكون على أى أمر يسرون منه كذلك

هم لا يسرون من أى أمر يضحكون عليه.

ثانيا : وهو اذا لم يجد أيه سعادة فى اللذات العقلية عزم على أن يجرب اللذات المذاقية ع٣، لأنه ان كانت معرفة المخلوقات لم تفده فقد أراد أن يعرف ماذا يكون من أمر استعمالها : «**افتكرت أن أعلل جسدى بالخمر**» أى بالطعام الشهى والشراب الجيد. يتمادى الكثيرون فى استعمال هذه الأشياء بدون افتكار ولا روية، غير ناظرين الا لاشباع شهواتهم الجسدية، أما سليمان فلم يستعملها الا بعد أن "فكر فى قلبه" أولا كشخص عاقل يتصبر فى عواقب الأمور قبل فعلها. لاحظ هنا :

١ ـ انه لم يسمح لنفسه بالتمتع باللذات الجسدية الا بعد أن أجهد نفسه فى مباحثه الدقيقة. فهو لم "يفكر أن يعلل جسده بالخمر" الا بعد أن اختبر أن "فى كثرة الحكمة كثرة الغم". عند ما تفنى قوانا فى عمل الخير. ويضنينا التعب، يحق لنا أن ننعش أنفسنا بالتمتع بخيرات الله لنروح عنا عناء التعب. فان استعملت تلك اللذات الجسدية فى وقت الحاجة اليها فقط كما رأينا هنا كما نستعمل المنبهات فلا مانع من ذلك، وحسبنا دليلا على ذلك تيموثاوس فانه شرب الخمر بسبب اعتلال صحته (اتى ٥ : ٢٣).

وردت عبارة "أعلل جسدى للخمر". فى بعض الترجمات هكذا "أقرب أو أجذب جسدى للخمر". فكل الأشخاص المولعين بالخمر قد ضغطوا على

++

عواطفهم فى أول الأمر وجذبوا أجسادهم اليها بالعنف. ولكن ليتذكروا الى أية تعاسة وشقاء قد جذبوا أنفسهم.

٢ ــ بعد ذلك نظر اليها بأنها حماقة، وأظهر بأنه لم يقرب اليها الا بعد كل اباء واحجام، وما مثله فى ذلك الا مثل بولس الذى عندما أراد أن يمدح نفسه وصف نفسه بالغباوة (٢كو١١ : ١). انه فكر **«أن يأخذ بالحماقة»** (أو يمسك بها) ليعرف الى أى حد تصير هذه الحماقة الانسان سعيدا، ولكن ما كان أحوجه للابتعاد عن هذا الطريق. لقد عزم على أن لا تأخذه الحماقة (أى تمسك به) أو تسود عليه بل على أن يأخذ هو بها (أى يمسك بها) لكى يحفظها بعيدة عن نفسه. لكن رغم كل ذلك لم يفلح فى هذه التجربة.

٣ ــ وفى نفس الوقت اهتم بأن **«يلهج بالحكمة»** أى حرص على أن يكون حكيما فى استعمال ملذاته حتى لا تسبب له أى ضرر، أو تؤثر عليه فلا يعطى عنها حكما عادلا نزيها. ففى الوقت الذى "علل جسده بالخمر جعل قلبه يلهج بالحكمة" أى استمر فى طلب المعرفة، ولم يسلك بغباوة، ولم يجعل نفسه مستعبدا لملذاته. كان يسعى فى أن يجمع بين أبحاثه وراء الحكمة وبين ملذاته وولائه ليرى هل يستطيع أن يجد فيهما ــ مجتمعين ــ تلك السعادة التى لم يجدها فيهما متفرقين. هذا ما قد توهمه سليمان، ولكنه وجده زعما باطلا، لأن الذين يريدون أن يعللوا أجسادهم بالخمر،

وفى الوقت نفسه يجعلون قلوبهم تلهج بالحكمة، يخدعون أنفسهم كمن يظنون أنهم يستطيعون أن يعبدوا الله والمال. "الخمر مستهزئة" (أم ٢٠ : ١) ومضللة ولذلك فلن يستطيع الانسان أن يقول انه سيقتصر على أن يعلل جسده بها فقط دون ، تؤثر عليه أى تأثير آخر.

٤ ـ ولم يكن غرضه من كل ذلك اشباع شهوته، بل البحث وراء سعادة الانسان، وقد اضطر أن يسلك هذا السبيل لأن الناس ادعوا أن فيه سعادتهم. لاحظ هنا ما يصف به سعادة الانسان :

«الخير لبنى البشر حتى يفعلوه تحت السماوات مدة أيام حياتهم».

١ ـ فالذى يتحتم علينا الاهتمام به والسعى وراءه ليس هو الخير الذى يجب أن نحصل عليه ـ لأن هذا يحسن أن نتركه لله ـ بل الخير الذى يجب أن "نفعله". فلنطلب من الله مع ذاك الذى سأله قائلا "أيها المعلم الصالح أى صلاح (أو خير) اعمل لتكون لى الحياة الأبدية" (مت ١٩ : ١٦). فسعادتنا تنحصر لا فى الكسل بل فى العمل، فى العمل بجد واستقامة، فى عمل الخير والصلاح. فان "فعلنا الصلاح" لا شك فى أن "يكون لنا مدح منه" (رو ١٣ : ٣).

٢ ـ وهذا الخير يجب أن نفعله "تحت السماوات" أى طالما كنا فى هذا العالم، وطالما كان نهار، وطالما وجدت لنا الفرصة للعمل. هذا العالم عالم

التعب والعمل والخدمة، أما فى العالم الآتى فيجب أن ننتظر المجازاة، اذ هناك "أعمالنا تتبعنا" (رؤ ١٤ : ١٣).

٣ ـ ويجب أن نفعله «**مدة أيام حياتنا**». ان الخير الذى يتحتم علينا فعله يجب أن نستمر فيه الى النهاية، طالما بقى لدينا وقت للعمل. "عدد أيام حياتهم" (حسب هامش الكتاب) ان عدد أيام حياتنا محصى لدى الله الذى "فى يده آجالنا" (مز ٣١ : ١٥) فهى كلها تقضى بحسب ارشاده ولكن كون الانسان يعلل جسده بالخمر ليهتدى الى أحسن السبل للسلوك فى هذا العالم ان هو الا ضرب من الجنون. ومن أجله نرى سليمان يوبخ نفسه بعنف. أمن المعقول أن يكون هذا الخير الذى يجب أن يعمله الانسان؟ كلا! فهو واضح بأنه من أسوأ الأمور.

ثالثا : واذا شعر فى الحال بأنه من الحماقة أن يعالج الأمر بولوج باب الخمر عزم على أن يجرب أفخر الملذات ومسرات الملوك والأمراء والعظماء. لقد كان مورد ثروته عظيما جدا. على أنه أنفقه كله فى ارضاء مزاجه وسد مطامعه وأمياله حتى تظهر عظمته وجاهه.

١ ـ انه قد وجه اهتمامه لبناء الأبنية الكثيرة سواء فى المدن أو القرى : «**بنيت لنفسى بيوتا**» ع٤، فهو اذا بدأ حكمه ببناء بيت فخم لله صار له الحق فى بناء بيوت لنفسه ارضاء لمزاجه لأنه عرف كيف يبدأ عمله على الوجه الحسن (مت ٦ : ٣٣) وليس كالناس الذين "سكنوا فى بيوتهم

++

المغشاة وتركوا بيت الرب خرابا" (حج ١ : ٤)، ولذلك أفلح فى عمله. ومما نلاحظه عن سليمان انه كان يستخدم الفقراء فى البناء ليحسن اليهم. عندما نقرأ عن أبنية سليمان (١مل ٩ : ١٥ ـ ١٩) نجدها كلها أعمالا عظيمة كما يقول هو «**عظمت عملى**» فقد كانت موضوع اهتمامه الوحيد وكان يعتقد أنها ستنطق بمجده وعظمته. فغلطته كانت تنحصر فى أنه سعى فى طلب "الخير الذى يجب أن يفعله" ع٣ فقاده سعيه هذا الى أن "يعظم عمله".

صحيح أن كل أعمال الخير تعد أعمالا عظيمة. ولكن لا يمكن أن تعد كل الأعمال العظيمة أعمال خير ولا الأعمال العجيبة أعمالا صالحة (مت ٧ : ٢٢ و ٢٣).

٢ـ وهو انشغل بحب الحدائق والجنات التى تسحر لب البعض كحب البناء. «**غرست لنفسي كروما**» وهى ما تنبتها أرض كنعان ويساعد على نموها طقسها الجميل. انه «**عمل لنفسه جنات وفراديس**» ع٥ وقد لا تقل صناعة الحدائق والجنات فى ذلك الوقت عما هى عليه الآن. لم يكن لدى سليمان الغابات ذات الأشجار العالية فقط التى تستعمل فى البناء بل أيضا «**أشجار من كل نوع ثمر**» غرسها هو بنفسه، وحقا أنه لو وجد فى هذا العالم عمل ينيل الانسان سعادة لكان هذا هو ما كلف بعمله آدم فى حالة برارته.

٣ ـ انفق أموالا طائلة فى عمل البرك والمجارى لا للزينة والتسلية، بل **«ليسقى بها المغارس المنبتة الشجر»** ع٦، انه لم يغرس فقط بل سقى وترك لله الانماء (١كو ٣ : ٧). ان ينابيع الماء بركة عظيمة من بركات الله (يش ١٥ : ١٩) وحيثما أوجدتها الطبيعة يجب أن يحولها الانسان الى أى جهة شاء لاستخدامها فى منفعته (ام ٢١ : ١).

٤ ـ وهو أكثر عدد أفراد عائلته. عندما عزم على أن "يعظم عمله" رأى أنه من الضرورى أن يستخدم أياد كثيرة فاقتنى **«عبيداً وجوارى»** اشتراهم بأمواله، ومن هؤلاء "كان له ولدان البيت" ع٧، وبهذه الطريقة ازدادت حاشيته فظهرت عظمته. أنظر عز ٢ : ٥٨.

٥ ـ ولم يغفل عن الأعمال القروية، بل كان يسلى نفسه بها أيضا ولم تحوله عنها أبحاثه الكثيرة وراء الحكمة والمعرفة ولا ملذاته الأخرى. " فكانت له أيضا قنية بقر وغنم " كما كان أبوه من قبله (١ أى ٢٧ : ٢٩ و ٣١). ولم ينس أن أباه كان فى أول أيامه حارسا للغنم، فليعتبر بذلك المشتغلون بالمواشى، حتى لا يحتقروا عملهم أو يملوه، ذاكرين أن سليمان كان يعتبر اقتناء البقر والغنم من ضمن أعماله العظيمة ولذاته.

٦ ـ على أن ما بناه من القصور الشامخة، والأبنية الفخمة، وما غرسه من الفراديس والجنات، لم يؤثر على ثروته كالكثيرين بل كانت رغم كل ذلك تنمو وتزداد. فهو كان "يفرق فيزداد" (ام ١١ : ٢٤). لقد ملأ خزانته

«**فضة وذهبا**» على انهما لم يستقرا هنالك، بل كانا ينتشران فى كل أرجاء مملكته، وبذلك "جعل الفضة فى أورشليم مثل الحجارة" (١مل ١٠ : ٢٧). بل أنه قد حصل أيضا على «**خصوصيات الملوك والبلدان**» وهذه كانت أثمن بكثير من الفضة والذهب، فالملوك المجاورون له والبلدان النائية كانت ترسل اليه أنفس الهدايا لترضاه وتستعطف وجهه وتنال منه قسطا من حكمته.

٧ ـ وقد توفر لديه أيضا كل ما يسحر الألباب ويشرح الأفئدة، كل أنواع الموسيقى والغناء، «**مغنين ومغنيات**» أحسن ما وجد فى ذاك الوقت من الأصوات وأرخم ما عرف من الآلات الموسيقية. لقد نبغ ابوه فى فن الموسيقى، على أنه كان يستعملها فى العبادة، خلافا لابنه الذى كان يستعملها للطرب وارضاء مزاجه. وقد أطلق على هذه «**تنغمات بنى البشر**»، لأن ارضاء الشهوات هو ما يصبو نحوه عامة البشر ويبتهجون به أشد الابتهاج. ان تنعمات بنى الله تختلف عن تلك التنعمات اختلافا بينا، فهى طاهرة روحية وسماوية، هى تنعمات الملائكة.

٨ ـ وقد تمتع أكثر من غيره باللذات العقلية والجسدية فى وقت واحد فهو من هذه الوجهة قد «**عظم وازداد اكثر من جميع الذين كانوا قبله**» لأنه احتفظ بحكمته وهو منهمك فى ملذاته التى تفوق الحصر. من الغريب جدا، ومما لم يتفق حصوله أبدا ما رأيناه فى سليمان.

+++

١ ـ فان ملذاته وتنعماته الكثيرة لم تعوج حكمه وقضاءه، ولم تدنس ضميره. ففى وسط كل هذه الملذات «**بقيت حكمته معه**» ع٩، فى وسط كل هذه التصرفات الصبيانية بقيت روحه فى حالة الرجولية، ملك زمام نفسه، وكبح جماح شهواته الجسدية. فمقدار ما حصل عليه من الحكمة كان وافرا جدا بحيث لم ينفذ فى معترك هذه الحياة، كما يحصل لحكمة الكثيرين. ولكن ليحذر كل شخص من أن يتخذ ما أتاه سليمان حجة مسلمة، واهما بأنه يستطيع أن يحتفظ بحكمته وسط تنعماته وملذاته كسليمان، لأنه مهما بلغت حكمته من القوة فهى لم ولن تبلغ قوة حكمة سليمان. بل ان سليمان قد انخدع وضل الطريق لأنه كيف يكون قد "بقيت حكمته معه" عندما ابتعد قلبه عن الله، وبنى مذابح للآلهة الغريبة، ارضاء لزوجاته الأجنبيات؟

على أن جكمته قد بقيت معه الى هذا الحد فقط، وهو انه لم يستبعد لشهواته وملذاته، بل استطاع أن يملك زمامها ويتحكم فيها. فهو لم يتجول فى أرض الأعداء هربا، بل ليتجسسها ويرى عورتها (تك ٤٢ : ٩، يش ٢ : ١).

٢ ـ على أن ضميره وحكمه الذى أصدره عن هذه الملذات والتنعمات لم يمنعانه من التمتع بها، ومن استخلاص زبدتها وخلاصتها ع ١٠.

قد يعترض البعض قائلين انه ان كانت قد "بقيت حكمته معه" فالظروف

لم تمكنه ولم تكن له الحرية الكافية للتعمق فى معرفة تلك الملذات واختبارها اختبارا دقيقا.

أما هو فيجيب عليهم بقوله : نعم! فقد تركت لنفسى مطلق الحرية لتعمل ما تشاء لأنه «**مهما اشتهته عيناى لم أمسكه عنهما**» ان كان الوصول اليه بطريقة شرعية مهما كلفنى ذلك من المشقات والنفقات. وكما انى لم أمنع عن قلبى أى فرح اشتهاه. كذلك «**لم أمنع قلبى من كل فرح**»، بل أطلقت لنفسى العنان للتمتع بكل ما اشتهته من الملذات فى حدود الحكمة، على أنه لم يكن فى ظروفه أو خلقه ما يعكر صفو هذه المذات أو يفسدها أو يعكر صفوه هو عند التمتع بها.

وبالايجاز فهو (**أولا**) قد أبهج وأسعد نفسه فى عمله : «**قلبى فرح بكل تعبى**». ولم يكن لما لقيته من التعب وانهاك القوى تأثيرا على ملذاتى ومسراتى. (**ثانيا**) لم يخسر شيئا من أرباح عمله. فلم يصادف أى أمر يثبط عزائمه، وتخور منه قواه : «**وهذا كان نصيبى من كل تعبى**». ففضلا عن تمتعه بتلك اللذات وجد أيضا بأنها لم تمنعه من أن يأكل من تعب يديه، وهذا كان طبعا كل ما ينتظره من أتعابه.

ومن كل ذلك نرى أن أعماله قد تكللت بالنجاح وتنعماته تعظمت لأنها كانت ثمار أعماله. وبالاجمال ان العالم قد أسعده أكثر من أى شخص فى عالم الوجود.

+++

٩ ـ وأخيرا أعطانا حكما عادلا عن كل ذلك ع ١١، عندما أكمل الخالق كل أعماله العظيمة أعاد عليها النظر "فاذا الكل حسن جدا" (تك ١ : ٣١) وسر منها كلها. أما سليمان فعندما أعاد نظره **«والتفت الى كل أعماله التى عملتها يداه»** وكلفته النفقات الطائلة والمجهودات العظيمة **«والى التعب الذى تعبه»** ليريح ويسعد نفسه **«فاذا الكل باطل وقبض الريح»**. لم يجد فيها شيئا يحقق آماله، لم يحصل منها على أى راحة أو منفعة **«لا منفعة تحت الشمس»** لا فى أعمال هذه الحياة، ولا فى ملذتها.

١٢ ـ ثم التفت لأنظر الحكمة والحماقة والجهل. فما الانسان الذى يأتى وراء الملك الذى قد نصبوه منذ زمان.

١٣ ـ فرأيت أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة.

١٤ ـ الحكيم عيناه فى رأسه. أما الجاهل فيسلك فى الظلام. وعرفت أنا أيضا أن حادثة واحدة تحدث لكليهما.

١٥ ـ قلت فى قلبى كما يحدث للجاهل كذلك يحدث أيضا لى أنا. واذ ذاك فلماذا أنا أوفر حكمة. فقلت فى قلبى هذا أيضا باطل.

١٦ ـ لأنه ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الأبد. كما منذ زمان كذا الأيام الآتية الكل ينسى. وكيف يموت الحكيم؟ كالجاهل.

++

بعد أن اختبر سليمان وعرف مقدار ما يحصل عليه الانسان من السعادة عن طريق العلم أولا ثم عن طريق اللذات الجسدية، وبعد أن جمع بينهما معا فى وقت واحد، نراه هنا يقارن كليهما معا، ويصدر عليهما حكما عادلا.

أولا : لقد أقام نفسه للتأمل فى الحكمة والجهل. وقد سبق له النظر فيهما (ص ١ : ١٧). ولكن، لئلا يظن أنه قد تسرع فى الحكم عليهما، نراه هنا يعيد البحث والتفكير فيهما علّه يجد فيهما راحة أكثر مما وجد فى الماضى. لقد تعب من ملذاته، وسئمها، ولذلك تحول عنها، وعاد لتأملاته السابقة. فان وجدنا بعد تكرار مساعيه واختباراته أن حكمه لم يتغير تأكدنا بأن هذا هو الحكم الفاصل لأنه **«ما الانسان الذى يأتى وراء الملك»** (أو ماذا يستطيع أن يعمل الانسان الخ)، سيما وراء ملك كهذا ملك من الدنيا ما يكفى لتعمقه فى البحث والاختبار، ومن الحكمة ما يكفى ليقارن بها كل اختباراته وأبحاثه. ان المساعى والاختبارات التى لا تنجح لا حاجة لتكرارها. لا يستطيع أحد أن يحصل على أى شئ من هذا العالم أكثر مما حصل عليه سليمان، ولا يمكنه أن ينال فكرا ثاقبا ودراية تامة بالمبادئ الأخلاقية كسليمان، لأنه مهما عمل الناس فهذا هو **«الذى قد عملوه (١) منذ زمان»**.

---

(١) حسب النص العبرانى. أنظر هامش الكتاب.

++

فلنتعلم من ذلك :

١ ـ بأن لا نغتر بأنفسنا واهمين أننا نستطيع أن نصلح ما قد عمل من قبلنا. بل لنحسب بعضنا أفضل من أنفسنا (فى ٢ : ٣)، ولنعتقد عدم مقدرتنا على اصلاح ما عمله سلفنا من ذوى العقول الراجحة والكفاءة النادرة، ولنعرف بأننا مدينون لفضلهم وأتعابهم الكثيرة (يو ٤ : ٣٧ و ٣٨).

٢ ـ بالحرى أن نذعن لحكم سليمان عن أمور هذا العالم، ولا نحاول بأن نفكر فى اعادة التجربة، لأننا لن نحلم بأن تخدمنا الظروف بمقدار ما خدمت سليمان، أو نحصل على ما حصل عليه من الامتيازات التى مكنته من التعمق فى اختباراته من غير أن يلحقه منها أى ضرر.

ثانيا : وهو فضل الحكمة عن الجهل. فلا يليق بأن يسئ الناس الظن فى سليمان، أو يتوهموا بأنه عندما قرر بطلان العلوم والحكمة والمعرفة قصد أن يمدح الجهل ويثنى عليه. كلا! فان مما نلاحظة عنه أنه كان يحترس على الدوام لئلا يسئ الناس الظن فيه عندما قرر حقائق مقدسة. فهو يقول : انى «**رأيت للحكمة منفعة أكثر من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة**». ولو لم تكف ملذات الحكمة لاسعاد الانسان الا أنها تفوق بكثير **ملذات الخمر. فالحكمة تنير النفس، وتكشف لها الطريق** لكبح جماحها وقيادة زمامها. أما الشهوات الجسدية ـ وهى المقصودة بالجهل هنا ـ فتسدل حجبها الكثيفة على العقل فيصبح فى ظلام دامس، وتضع غشاوة على العينين فيتعثر الانسان فى سيره أو يضل الطريق.

أو ـ بمعنى آخر ـ ان كانت الحكمة والمعرفة لا تستطيعان اسعاد الانسان، وبولس الرسول "يرينا طريقا أفضل" من المواهب وهو طريق النعمة (١كو ١٢ : ٣١)، الا انه خير له الحصول عليهما نظرا لما يحصل عليه بواسطتهما من السلامة والتعزية والفوائد الجمة لأن «**الحكيم عيناه فى رأسه**» ع١٤ ، حيث يجب أن يكونا، فيسهل عليه رؤية الأخطار ليتجنبها، والصالحات فينتفع بها. الحكيم ان عرض عليه أمر لا يحتاج لفحصه أو البحث فيه بل سرعان ما يرى الطريق الذى يسلكه والطريق الذى يتجنبه، «**أما الجاهل فيسلك فى الظلام**» ان سلك سبيلا اما ان يقف فيه حائرا مرتبكا لا يعرف الى أى جهة يسير ولا يستطيع التقدم الى الأمام خطوة واحدة لشدة اختبال عقله أو يسقط فى هاوية سحيقة لا قرار لها. فالعاقل يسير فى كل اعماله بحزم ونزاهة واستقامة ولا يناله أى أذى، وما مثله الا كمثل الذين يسلكون بالنهار، أما الجاهل الغبى فيقوم من عثرة ويسقط فى أخرى، كل أعماله بطياشه وأفكاره فاسدة ومشروعاته خائبة. لذلك "أقتن الحكمة أقتن الفهم" (ام ٤ : ٥).

ثالثا : على انه لا يزال يقرر بأن حكمة هذا العالم لا تفيد الا فائدة جزئية من جهة السعادة الدائمة والراحة التى لا يعتريها أى شائبة.

١ ـ لأن الحكماء والجهلاء يستوون فى نصيبهم من هذا العالم. صحيح ان الحكيم ينتفع بحكمته أكثر من الجاهل نظرا لما يتمتع به من

بعد النظر ودقة البحث، ولكن طالما طاشت سهام الجميع فى كثير من الأحوال حتى انى «**عرفت أنا**» بعد كثرة اختبارى «**ان حادثة واحدة تحدث لكليهما**» ع١٤ ، فالشديدو الحرص على صحتهم سرعان ما تصيبهم الأمراض، كما تصيب الذين لا يوجهون الى أنفسهم أقل عناية صحية، لأن كثيرى التشكك هم الذين ينخدعون.

ولقد لاحظ داود أن "الحكماء يموتون" وينجرفون فى تيار الموت من الجهال والبلداء على السواء (مز ٤٩ : ١٠) أنظر أيضا (ص٩ : ١١). نعم فقد لوحظ منذ قديم الأيام أن "الحظ يخدم الجهلاء"(١) وأن متوسطى الذكاء يفلحون فى كل طرقهم أكثر من الجهابذة والنبغاء. الحكيم والجاهل يصيبهما مرض واحد ويبتلعهما موت واحد.

وهنا (فى ع ١٥) يطبق سليمان هذه الحقيقة المؤلمة على نفسه كى يفتخر بحكمته وان كان حكيما (ار ٩ : ٢٣) **قلت فى قلبى**» (أو لقبى) عندما بدا يتعظم ويفتخر «**كما يحدث للجاهل كذلك يحدث أيضا لى أنا**»، أو لى أنا نفسى بحسب النص الأصلى دلالة على شدة التأكيد. ان كنت أنا غنيا فكم من الأغبياء والحمقى أمثال نابال (١صم ٢٥ : ٢٥) يمتلكون من ثروة هذا العالم بقدر ما أمتلك. وان كانت الأمراض والمصائب تحل بالجهال فهكذا "يحدث أيضا لى أنا" ولا تنفعنى ثروتى أو تخلصنى

---

(١) هذا مثل انكليزى نصه

+++

حكمتي. «**واذ ذاك فلماذا أنا أوفر حكمة؟**» لماذا أكلف نفسى مشقات كثيرة للحصول على الحكمة ان كانت لا تجدينى الا نفعا قليلا فى هذا العالم؟. «**فقلت فى قلبى هذا أيضا باطل**» يظن البعض ان القصد من ذلك تصحيح لما سبق أن قاله داود فى (مز ٧٧ : ١٠) "فقلت هذا ما يعلنى" أى من الحماقة أن أعتقد أن الحكماء والجهلاء يستوون. ولكن الحقيقة أنهم كذلك من وجهة ما يصيبهم من الحوادث. ولذلك فهذا تأييد لما سبق أن قرره من أن الانسان قد يكون فيلسوفا عظيما أو سياسيا محنكا ولكن لا يكون سعيدا.

٢ ـ لأن الحكماء والجهلاء ينسى ذكرهم على السواء ع ١٦ : «**ليس ذكر للحكيم ولا للجاهل الى الأبد**». لقد وعد الصديقون أن "يكونوا لذكر أبدى"، وأن يكون "ذكرهم للبركة" مز ١١٢ : ٦، ام ١٠ : ٧، وانهم سيضيئون قريبا كالكواكب الى أبد الدهور (دا ١٢ : ٣). على انه لا يوجد وعد كهذا من جهة حكمة هذا العالم لتبقى ذكر أسماء الناس فيه، لأن الأسماء التى تدوم هى فقط المكتوبة فى السماء، أما أسماء حكماء هذا العالم فهى مكتوبة مع أسماء جهلائه فى التراب.

«**كما منذ زمان كذا الأيام الآتية : الكل ينسى**» فما كان يتحدث عنه كثيرا فى جيلهم لا يكون له ذكر الجيل الذى بعده كأنه لم يكن. فالأشياء الجديدة والأشخاص العصريون يمحون ذكر ما ومن مضى لأنهم بعد قليل

ينظر اليهم بغاية الاحتقار، وبعد قليل أيضا يطرحون فى زوايا النسيان. "أين الحكيم؟ أين مباحث هذا الدهر؟" (١كو ١ : ٢٠). ولأجل هذا السبب يسأل هذا السؤال ويجيب عنه "كيف يموت الحكيم؟ كالجاهل". يوجد فرق شاسع بين موت الصالح وموت الشرير، ولكن لا فرق بين موت الحكيم وموت الجاهل، فالجاهل يدفن فينسى (ص٨ : ١٠)، و "المسكين الحكيم الذى ينجى المدينة بحكمته لا أحد يذكره" (ص٩ : ١٥)، اذ القبر هو "أرض النسيان" لكليهما، فاذا مكث فيه الحكيم والعالم قليلا واختفيا عن الأبصار يمحى ذكرهما من العقول تدريجيا حتى يأتى جيل آخر لا يعرفهما.

١٧ ـ فكرهت الحيوة ـ لأنه ردئ عندى العمل الذى عمل تحت الشمس لأن الكل باطل وقبض الريح.

١٨ ـ فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس حيث أتركه للانسان الذى يكون بعدى.

١٩ ـ ومن يعلم هل يكون حكيما أو جاهلا ويستولى على كل تعبى الذى تعبت فيه وأظهرت فيه حكمتى تحت الشمس. هذا أيضا باطل.

٢٠ ـ فتحولت لكى أجعل قلبى ييئس من كل التعب الذى تعبت

فيه تحت الشمس.

٢١ ـ لأنه قد يكون انسان تعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه نصيبا لانسان لم يتعب فيه. هذا أيضا باطل وشر عظيم.

٢٢ ـ لأنه ماذا للانسان من كل تعبه ومن اجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس.

٢٣ ـ لأن كل أيامه أحزان وعمله غم، أيضا بالليل يستريح قلبه، هذا أيضا باطل هو.

٢٤ ـ ليس للانسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه خيرا فى تعبه، رأيت هذا أيضا أنه من يد الله.

٢٥ ـ لأنه من يأكل ومن يلتذ غيرى.

٢٦ ـ لأنه يؤتى الانسان الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحا، أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويم ليعطى للصالح قدام الله. هذا أيضا باطل وقبض الريح.

يجد العقلاء لذة عظيمة فى العمل، فان وجدوا نطاق العمل متسعا أمامهم استراحت نفوسهم لأنهم يشعرون أنهم لهذا خلقوا. وان لم يجدوا أمامهم ما يعملونه ضجوا بالشكوى. صحيح أنهم فى بعض الأحيان يتعبون

+++

من العمل، ولكنهم لن يملونه ولن يحاولوا أو يفكروا فى تركه. ولذلك قد يكون من المنتظر أن يدلنا سليمان هنا عن الخير الذى يجب للناس أن يفعلوه. على أنه قد جرب هذا الطريق أيضا، فانه بعد أن قضى شطرا عظيما من حياته فى التأملات والأبحاث العقلية الكثيرة، وبعد أن أردف ذلك بأن عاش عيشة الترف والتنعم، أراد أن يجرب حياة العمل، ولكنه لم يجد فيها أى راحة أكثر مما وجد فى غيرها وما زال يتحقق بأن **«الكل باطل وقبض الريح»** كما يبرهن ذلك فى هذه الأعداد، حيث نلاحظ :

أولا : ما هو العمل الذى جربه ـ انه **«العمل الذى تحت الشمس»** (ع ١٧ : ٢٠) أى الأمور العالمية كالغنى والكرامة والملذات الحاضرة وغيرها من أعمال الملوك. يوجد عمل "فوق الشمس" عمل دائم ذو بركة دائمة، فكل ما نعمله من هذا النوع ـ اى اتمام مشيئة الله على الأرض كما فى السماء ـ وتتبعا لآثار تلك البركة، سيعود علينا بالخير الجزيل، لذلك فلن نتعب أو نيأس منه.

ولكن "العمل الذى تحت الشمس"، العمل لأجل "الطعام البائد" (يو ٦ : ٢٧ ، اش ٥٥ : ٢) هو الذى يتكلم عنه سليمان هنا بشئ قليل من الضجر.

انه تعب من أرقى وأشرف أنواع العمل، لا "احتطاب الحطب واستقاء الماء" (تث ٢٩ : ١١) فليس من الغريب أن يتعب الناس من عمل كهذا

بل من «**الحكمة والمعرفة والفلاح**» ع٢١، من العمل الذى يعزى اليه كل السبب فى حكم مملكته وتوسيع نطاقها من العمل الذى أملته عليه الحكمة والمعرفة والحق، من العمل الذى «**أظهر فيه حكمته**» ع ١٩ والذى يسمو جدا عن العمل الذى يظهر فيه الناس قوتهم بقدر ما يسمو العقل على الجسد، لأننا بالعقل نشترك مع الملائكة، أما بالجسد فنشترك مع البهائم. فالأمر الوحيد الذى يضعه أغلب البشر نصب أعينهم فى اتمام كل أعمالهم العالمية هو ان "يظهروا حكمتهم" لينالوا استحسان عظماء الرجال وعقلائهم.

ثانيا : فشله فى هذا العمل. انه تعب منه فى الحال :

١ ـ لقد «**كره كل تعبه**» غ ١٨ لأنه لم يجد فيه الراحة التى كان ينتظرها. بعد أن بنى لنفسه قصورا فخمة، وغرس جنات وفراديس غناء وأشجارا باسقة، وتمتع بها قليلا سئم منها فى الحال وبدأ ينظر اليها بعين الاحتقار كما يفعل الأطفال حينما يشتاقون الى لعبة فى مبدأ الأمر، وحالما يحصلون عليها ويلهون بها قليلا ويضربون بها عرض الحائط ويلحون فى طلب غيرها. هذه الجملة لا تعبر عن كراهية مقدسة لتلك الأشياء، الأمر الذى يتحتم علينا اتمامه كى لا نحب هذه الأشياء أكثر من الله (لو ١٤ : ٢٦)، ولا تعبر عن كراهية شريرة لها، الأمر الذى يدل على غباوتنا كأن نكره المكان (أى العالم) الذى أقامنا الله فيه، والعمل الذى وضع لنا فيه لنعمله، بل تعبر عن كراهة طبيعية لها ناشئة من السآمة منها والفشل فيها.

٢ ـ **«وجعل قلبه ييأس من كل التعب الذى تعب فيه»** ع ٢٠، لقد تعب فى اقناع نفسه ببطلان الأعمال العالمية، لأنها لم تنله الراحة التى كان ينتظرها. فقلوبنا تميل دائما لانتظار الأمور العظيمة من المخلوقات، ولكن علينا أن نبذل جهد استطاعتنا ونفرغ كل جعبتنا لاقناعها بالعدول عن هذا الطريق. ألم نشعر وقتا ما ونحن نتطلب الراحة من هذا العالم أن قوانا قد خارت وعزائمنا تضعضعت دون أن نحصل على شئ من تلك الراحة مطلقا فيئسنا أخيرا من وجودها وخلينا عنا كل اهتمام بها؟

٣ ـ وكانت النتيجة أخيرا انه **«كره الحياة» نفسها** ع ١٧ لأنها معرضة لكل هذه المتاعب والمشقات، ولا يصادف فيها الانسان الا كل فشل وخيبة أمل. لقد من الله على سليمان بقلب واسع جدا وعقل راجح حتى استطاع أن يخبر أنه لا راحة ولا سعادة فى أمور هذا العالم. والحياة نفسها ان كانت ثمينة فى نظر الانسان، وبركة عظمى للصالحين، ولكنها قد تكون عبئا ثقيلا على نفس صاحب الأعمال.

ثالثا : ما أسباب كراهيته لحياته ولعمله فاثنان :

١ ـ ان عمله كان عبئا ثقيلا على نفسه. «فالعمل الذى عمل تحت الشمس كان **رديئا عنده»** ع١٧ ، لأن تأملاته فيه، وانشغال باله واهتماماته الزائدة به، قد أتعبته وأثقلت كاهله سيما فى أيام شيخوخته. كل هذه المتاعب والآلام والمشقات التى تكبدها لم تأت الا نتيجة اللعنة التى جلبتها

+++

خطية آدم علينا وعلى كل ما نعمل، فقد قيل عن عملنا بأنه هو "تعب أيدينا من قبل (أو بسبب) الأرض التى لعنها الرب" (تك ٥ : ٢٩)، ونتيجة ضعف قوانا التى نعمل بها، ونتيجة الحكم الذى حكم به الله علينا بأن "نأكل خبزنا بعرق جبيننا". وقد قيل أيضا عن عملنا بأنه هو «**اجهاد القلب**» ع٢٢، لأن أغلب الذين يعملون يضغطون على عواطفهم للاندفاع فى العمل، وما ذلك الا لسبب ميل القلب الى الراحة.

وقد وصف رجل العمل بالتعب فى دخوله وفى خروجه ع ٢٣.

١ ـ لأنه يحرم من تنعمه بالنهار «**فكل أيامه أحزان**» ليست محزنة فقط بل هى نفسها الأحزان، أحزان متنوعة، متاعب ومشقات. ان رجال الأعمال يلتقون فى طريقهم فى كل آونة وأخرى ما يكدر ضمائرهم ويضايقهم، ومن ذلك تأتيهم الأحزان الكثيرة. والذين يميلون للسويداء، ومن طبعهم الحدة والغضب، سرعان ما يستشيطون غيظا من مؤثرات هذا العالم. والعالم ليس الا "وادى الدموع" حتى للذين امتلكوا منه الشئ الكثير. ولقد قال المسيح عن "المتعبين" بأنهم "ثقيلو الأحمال"، ولذلك دعاهم اليه للراحة (مت ١١ : ٢٨).

٢ ـ ولأنه يعدم الراحة بالليل «**بالليل لا يستريح قلبه**». فعندما يحنى ظهره من حمل أعباء النهار، وينتظر أن يجد بعض الراحة حينما يضع رأسه على وسادته بالليل، تخيب آماله وتذهب أدراج الرياح، لأن اهتماماته

++

الكثيرة "تمسك أجفان عينه" عن النوم (مز ٧٧ : ٤). وان اتفق أنه نام فقلبه يظل مستيقظا، وبذلك "لا يستريح بالليل". فما أعظم حماقة الذين يسلمون ذواتهم للعالم ليستعبدهم، ولا يجعلون الله راحتهم، ويبقون بالليل والنهار معذبين.

ومن كل ذلك نستنتج بأن «**الكل باطل**» بوجه عام ع ١٧ وبان «**هذا أيضا باطل**» بوجه خاص ع١٩ و ٢٣ بل انه «**باطل وشر عظيم**» ع **٢١**، انه "شر عظيم" لأن مرتكبه يسبب اهانة عظيمة لله وضررا بليغا لنفسه. انه باطل أن "يبكر الانسان الى القيام ويؤخر الجلوس" لطلب أى خير من هذا العالم (مز ١٢٧ : ٢) لأنه لا شئ فيه من الخير الرئيسى الذى قصده لنا الله.

٢ ـ وكل ثمار عمله لابد أن يتركها لغيره. ان البواعث التى تدفع الناس للعمل هى ما يرجونه من المنفعة، فأن خاب الامل خارت العزيمة. ولذلك شكا سليمان مر الشكوى من كل أعماله العظيمة التى تممها، لأنه لم يجد لنفسه فيها أية منفعة مستمرة وثمرة دائمة.

١ ـ فهو لابد أن يترك كل منافعها وثمارها، لأنه ان مات لا يستطيع أن يحملها معه الى القبر أو يحمل جزء منها، كما انه لا يرجع اليها (اى ٧ : ١٠) ولا ينتفع من ذكراها (لو ١٦ : ٢٥)، بل لابد أن «**أتركه للانسان الذى يكون بعدى**» ع١٨ للجيل الذى سيحل محلى. فكما انه أتى قبلنا

++

الكثيرون الذين بنوا البيوت التى نقطنها والذين قد دخلنا على أتعابهم كذلك لابد أن يأتى بعدنا الكثيرون الذين يسكنون البيوت التى نشيدها ويتمتعون بثمار أتعابنا. لأننا لم نسمع أن ثروة عدمت وارثا. والنفوس الصالحة لا ترى فى ذلك أية مضايقة أو غضاضة، لأنها لا تريد أن تحرم غيرها من أخذ دورها للتمتع بملذات هذا العالم، بل أنها ترتاح لتمتع خلفها بمزايا أفضل مما تمتعت هى به ويحصدون ثمار حكمتها وأتعابها. أما الطبيعة البشرية، التى لا تطلب الا سعادتها الشخصية، فتتألم أشد التألم عند ما ترى أنها ستترك وراءها كل ثروتها التى حصرت فيها كل محبتها.

٢ ـ ولابد أن يتركها لمن يكلف نفسه أقل مجهود للحصول عليها. فمن خلف المال لم يحصل عليه الا "بتعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح" أما من يتمتع به وينفقه «**فلم يتعب فيه**» ع ٢١، بل والأكثر من ذلك انه لن يتعب فيه، فالنحلة تتعب لتعول ذكرها.

وان ترك هذه الثروة له بهذا الحال لتكون «**نصيبا له**» يصير شركا له لأنه يعتمد على ذلك، ويخلى عنه كل اهتمام ويكف عن عمل أى مجهود، أو مسعى فتصبح حالته تعسة. فان لم تأته هذه الثروة بهذه السهولة قد يكون مجدا وتقيا على اننا يجب أن نحسن استعمال كل ما يصل لأيدينا.

٣ ـ وهو لا يعرف من ستيركها له، أو على الأقل لا «**يعلم هل يكون حكيما أو جاهلا**» ع١٩، هل يكون حكيما فينميها أو جاهلا فيبددها.

وسواء كان هذا أم ذاك فهو **«سيستولى على كل تعبى»** ويتصرف بجهل فيما اقتناه آباؤه بالحكمة. ومن المحتمل أن يكون سليمان قد كتب هذه الكلمات لشعوره بما كن سيعلمه ابنه رحبعام وشدة خوفه من سوء تصرفه.

قال أحد المفسرين عند تفسيره لهذه الأعداد أن سليمان قصد أن يتكلم عن الكتب النفيسة التى كتبها التى "أظهر فيها حكمته"، ولكنه لم يعرف فى أيدى من ستقع هذه الكتب، اذ ربما وقعت فى أيدى الجهلاء فيسيئوا استعمالها بسبب فساد قلوبهم. ولذلك يسأل أخيرا هذا السؤال بوجه الاجمال **«ماذا للانسان من كل تعبه»** ع٢٢. ماذا يستفيده لنفسه، ماذا يأخذا معه فى العالم الآتى؟

رابعاً : ولذلك فأحسن طريقة لاستعمال ثروة هذا العالم وان ينتفع ببهجتها، هى أن يستخدمها فى عمل الخير (ع٢٤ ـ ٢٦) وبهذه يختتم هذا الاصحاح. انه لا توجد سعادة حقيقية فى هذه الأمور فهى كلها باطلة، وان انتظر الانسان منها سعادة كانت خيبة آماله "كقبض الريح". على أن سليمان يرينا هنا طريقة أفضل للانتفاع بها، والابتعاد عن مضايقتها وآلامها التى صادفته هو. علينا أن لا نحمل أنفسنا فوق ما تستطيع طلبا للحصول على المزيد من هذا العالم، لأننا بذلك نحرم أنفسنا من لذة ما حصلنا عليه فى أيدينا، وفى الوقت نفسه علينا أن لا ندخر للمستقبل أكثر من اللازم لأننا بذلك نكنزه لغيرنا ونحرم أنفسنا من لذته، بل لنمتع أنفسنا به أولا.

++

لاحظ :

١ ـ ما هو ذلك الخير الذى يوصينا به هنا، وما هى أحسن السبل للانتفاع من الأعمال العالمية واستخلاص كل ثمارها والتخلص من كل بطلانها ومضايقاتها.

١ ـ علينا أن نتمم كل واجباتنا من نحوها، وفى الوقت نفسه نهتم أشد الاهتمام بالانتفاع من ثروتنا ـ لأن هذه هى الغاية التى من أجلها أؤتمنا عليها ـ أكثر من اهتمامنا بانمائها وزيادتها. وهذه نفهمها ضمنا من ع ٢٦ حيث نرى أن الذين يتمتعون بهذه الحياة هم فقط «**الصالحون قدام الله** أى الصالحون بالحق كنوح الذى "رآه الله باراً لديه" (تك٧ : ١). يجب أن نضع الله نصب أعيننا ونقوم بكل أعمالنا بجد ونشاط لنزكى أنفسنا قدامه. ويفسر التفسير الكلدانى هذه الآية على هذا الوجه : "يجب على الانسان أن يمتع نفسه بالخير بحفظ وصايا الله، والسلوك أمامه فى طريق الحق". ويفسر ع٢٥ بالقول أنه "يجب على الانسان أن يدرس كلام الناموس، ويهتم بيوم الدينونة العظيمة العتيدة ان تأتى".

٢ ـ وأن ننتفع بفوائدها. هذه الأشياء لا يوجد فيها أى سعادة للنفس، وكل ما نستطيع أن نستخلصه من الخير منها لا يمس الا الجسد. فان استطعنا أن نفيد الجسد بها ليتمكن من خدمة النفس واعانتها فى عبادة الله عادت علينا بالخير الجزيل. ولذلك «**فليس للانسان خير**» ـ من جهة هذه

الأشياء ـ من أن يسمح لنفسه بالتمتع بها بتعقل حسبما تقتضيه حالته ومركزه، أن ينال منها طعاما وشرابا لنفسه ولعائلته ولاخوانه، وبذلك يمتع **«ويرى نفسه أخيرا»** أى كل ما يمكن الحصول عليه من الخير منها، ولا يليق بأن يضيع هذا طمعا فى الحصول على ما لا يستطيع أى بشر الحصول عليه من هذه الأشياء.

على اننا يجب أن نلاحظ أن سليمان لا يريدنا بأن نكف عن عملنا ونستريح "ونأكل ونشرب"، كلا! بل يجب أن "نرى انفسنا خيرا فى تعبنا"، يجب أن لا تكون هذه الأمور سببا فى تكاسلنا، بل باعثا على نشاطنا وسرورنا فى أعمالنا العالمية.

٣ ـ وأن نعترف بالله فى هذه عالمين **«انه من يد الله»** أى **(أولا)** الخير نفسه الذى نتمتع به هو من يد الله. ليس هذا معناه أن الخيرات التى نتمتع بها هى من قدرة الله الخالق، بل هى من فضله العميم لنا وسخائه. وما أبهج تلك الأشياء وألذها لنفوسنا عندما نتناولها من يد الله كأب، ونتأمل فى حكمته التى أعطتنا أنسب الأشياء لنا، ونقبلها منه بيد الشكر والامتنان والرضى ونذوق فيها لذة محبته وصلاحه. **(ثانيا)** والقلب الذى يتمتع بهذه الأشياء هو من يد الله، وهذا هو عطية نعمة الله. فما لم يمنحنا الله حكمة لنحسن استعمال ما لدينا وما لم يكن سلام الضمير لنرى به محبة الله لنا متجلية فى بركات العالم لا نستطيع "أن نرى أنفسنا أى خير"

++

فى هذه الأشياء.

٢ ـ لماذا يجب علينا أن نضع كل ذلك نصب أعيننا فى أعمالنا العالمية:

١ ـ لأن سليمان نفسه ـ بكل ممتلكاته ـ لم يطمع فى أكثر من ذلك «**لأن من يأكل ومن يلتذ غيرى**». هذا هو كل ما كتت أطمع فيه، ولم أطلب غيره، فكل الذين حصلوا حتى على أقل مما حصلت أنا لابد أن يصلوا لهذه النتيجة بأنهم يقتنعون بما قد حصلوا عليه ويمتعون أنفسهم بلذته. على أن سليمان لم يحصل على ما قد حصل عليه بحكمته وحدها دون عناية الله الخاصة، فمن ذلك نتعلم بأن ننتظر كل خير "من يد الله" ونطلبه منه.

٢ ـ لأن الثروة اما ان تكون بركة أو لعنة للانسان. وذلك يتوقف على مقدار استعداد قلبه للانتفاع بها، أو عدم استعداده.

(أ) فالله يعطيها للانسان الصالح كبركة وجزاء حسن ان أعطاه معها «**حكمة ومعرفة وفرحا**» ليتمتع بها هو نفسه ببهجة وفرح، وليحسن بها الى الآخرين بمحبة وكرم نفس. يقول التفسير الكلدانى لهذه العبارة : ان "الصالح قدام الله" النقى القلب والمخلص الأمين الذى يخشى الله ويهتم بكل البشرية يؤتيه الله حكمة ومعرفة فى هذا الدهر، وفرحا فى الدهر الآتى. أو قد نقول بمعنى آخر أن الله يؤتى الصالح حكمة ومعرفة في الأمور

الأخلاقية والسياسية والروحية. وهذا يكون له فرحا مستمرا.

(ب) وهو يعطيها للانسان الشرير كقصاص ان لم يعطه قلبا يتمتع بلذتها، لأنها فى هذه الحالة تعذبه برجائها الكاذب وتسحق نفسه بظلمها وعدوانها : «**اما الخاطئ فيعطيه شغلا**» (تعبا) بتركه لنفسه ولأفكاره الفاسدة الشريره «**لجمع وتكويم**» ما لا يثقل كامله فقط (حب ٢ : ٥ و ٦) بل "يكون شاهدا عليه، ويأكل لحمه كنار" (يع ٥ : ٣) مع أن قصد الله من هذه الثروة التى يتعب فى جمعها وتكويمها أن يعطيها "للصالح قدامه"، ذلك لأن "ثروة الخاطئ تذخر للصديق" (ام ١٣ : ٢٢) و "تجمع لمن يرحم الفقراء" (ام ٢٨ : ٨).

ملاحظـــات :

١ ــ "التقوى مع القناعة تجارة (أو ربح) عظيمة" (١تى ٦ : ٦)، والصالحون قدام الله الذين يحصلون على ثروتهم من الله وفى الله هم فقط الذين ينالون الفرح الحقيقى.

٢ ــ أما عدم التقوى فقصاصها عادة عدم القناعة والشره والجشع. وهذه من الخطايا التى ينال مرتكبوها قصاصها من نفسها.

٣ ــ ان الله ان أعطى الأشرار ثروة فما القصد من ذلك الا حفظها فى أيديهم لأولاده حتى يضطروا للتخلى عنها لهم فى الوقت المناسب كما

++

فعل الكنعانيون فأنهم بقوا مستولين على الارض التى تفيض لبنا وعسلا حتى جاء الوقت المعين الذى فيه دخلها الاسرائيليون.

(جـ) وقرار تلك الأغنية لا يزال كما هو لم يتغير **«هذا أيضا باطل وقبض الريح»**. فكل الأمور العالمية باطلة حتى فى أسمى حالاتها ومظاهرها، بل حتى ان امتلك بناصيتها الصالحون. فهم ان امتلكوا ما قد جمعه وكومه الأشرار لا يسعدهم ان لم يكن مقرونا بشئ آخر. والأشرار ان رأوا ان ما قد تعبوا فى جمعه قد وصل لأيدى "الصالحين قدام الله" كان ذلك "قبض الريح" (أو مضايقة للروح) لهم.

فمهما غيرت وبدلت فى تلك الأمور العالمية لابد أن تجد النتيجة واحدة وثابتة (الكل باطل وقبض الريح".

++

❋ الإصحاح الثالث ❋

بعد أن أظهر سليمان بطلان العلوم والفلسفة والملذات والعمل، وأوضح بأن السعادة لن تنال من حكمة العلماء ولا من الجنات والفراديس الغناء، نراه فى هذا الاصحاح يستمر فى اثبات هذه التعاليم وتلك النتيجة التى استخلصها منها وهى اننا يجب بسبب ذلك أن نقنع بما يعطينا الله، ونلذذ أنفسنا باستعماله. وقد توصل لهذه الغاية باظهار ثلاث حقائق :

١ ـ تغير كل أحوال بنى البشر ع١ ـ ١٠.

٢ ـ عدم تغير المشورة الالهية من نحو هذه الأحوال. وعدم استطاعة الانسان هذه المشورة ع١١ ـ ١٥.

٣ ـ بطلان كل كرامة عالمية وسلطان زمنى، لأن البشر ان لم يحسنوا استعمالها بخشية الله أساءو التصرف بهما، واستخدموها لاجراء الظلم والجور ع١٦.

ولكى يصد الظالمين، ويوقفهم عند حدهم ويريهم بطلانهم، ذكرهم :

أولا : انهم سوف يعطون حسابا فى العالم الآتى عن ظلمهم ع ١٧.

ثانياً : وانهم فى هذا العالم لا يمتازون عن البهائم فى شئ ع ١٨ ـ ٢١.

وأخيرا ختم الاصحاح باظهار أنه من الحكمة أن ننتفع بما أوتينا من سلطان ولا نستخدمه فى ظلم الآخرين ع ٢٢.

++

١ ـ لكل شئ زمان ولكل أمر تحت السموات وقت.

٢ ـ للولادة وقت وللموت وقت. للغرس وقت ولقلع المغروس وقت.

٣ ـ للقتل وقت وللشفاء وقت. للهدم وقت وللبناء وقت.

٤ ـ للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت.

٥ ـ لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت. للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت.

٦ ـ للكسب وقت وللخسارة وقت. للصيانة وقت وللطرح وقت.

٧ ـ للتمزيق وقت وللتخييط وقت. للسكوت وقت وللتكلم وقت.

٨ ـ للحب وقت وللبغضة وقت. للحرب وقت وللصلح وقت.

٩ ـ فأى منفعة لمن يتعب مما يتعب به.

١٠ ـ قد رأيت الشغل الذى أعطاه الله لبنى البشر ليشتغلوا به.

الغرض من هذه الأعداد أن يظهر لنا :

١ ـ اننا نعيش فى عالم متقلب، فحوادث الأيام المختلفة وأحوال الحياة البشرية المتعددة تختلف عن بعضها اختلافا بينا، ومع ذلك فهى تمر مختلطة ببعضها بحيث لا نستطيع تمييزها. ان "دائرة الكون" (يع ٣ : ٦)،

وهى تسرع الدوران، لابد أن تستمر فيها أبد الدهر والارتفاعات والانخفاضات، المد والجزر، الزيادة والنقصان، لأن "هيئة هذا العالم" (١كو ٧ : ٣١) طالما اعتراها ويعتريها التغيير من الأزل والى الأبد.

٢ ـ ان كل التغييرات التى تتعلق بنا محددة بقوة علوية، ولذلك فعلينا أن نقبل كل ما يأتينا كما هو، لأنه ليس فى مقدورنا تغيير ما تحدد لنا.

وقد أتى الينا سليمان بهذه الحقيقة ليبين لنا بأننا ان كنا ناجحين فى طرقنا فيجب أن لا نأمن لهذا الدهر المتقلب، أن نتوهم بأن "الغد سيكون كهذا اليوم" (اش ٥٦ : ١٢) فالسهول المنخفضة سرعان ما ارتفعت وناطحت السحاب. على اننا فى الوقت نفسه يجب أن نسر كنصيحته التى أفضى الينا بها فى (ص٢ : ٢٤) "لنرى أنفسنا خيرا فى تعبنا"، وان نخضع لارادة الله وأحكامه بكل اتضاع، ولا نتشامخ بسبب آمالنا، أو نيأس بسبب مخاوفنا، بل لنتوقع كل أنواع الأحداث.

فى هذه الأعداد نرى :

أولا : ان سليمان يضع لنا قضية عامة : **«لكل شئ زمان»** ع١ .

١ ـ فالأشياء التى تختلف عن بعضها تمام الاختلاف سيلعب كل منها دوره، ويظهر فى العالم بحسب تطوراته المستمرة. فالنهار لابد أن يفسح مجالا لليل، والليل مجالا للنهار ثانية. والصيف ان حل لابد أن يعقبه

الشتاء، والشتاء لا محالة يعقبه الصيف بعد قليل. «**فلكل أمر تحت السموات وقته**». والجو الصافى لابد أن يتلبد بالغيوم. فالمثل اللاتينى يقول "ان الأفراح لابد أن يعقبها الأحزان"، وان تلبد الجو بالغيوم لابد أن يصفو بعد قليل، اذ يقول المثل اللاتينى أيضا "ان الشمس ستبزغ من وراء السحب".

٢ ـ والأشياء التى نظن أنها تحدث عرضا هى محددة من الله بسابق علمه وتدبيره، ونفس وقت حصولها محدد أيضا فلا تستطيع أن تجعلها تحدث قبل أوانها، أو بعد أوانها لحظة واحدة.

ثانيا : بعد ذلك أدلى الينا بالبرهان على هذه القضية والأمثلة الكثيرة التى توضحها. وقد ذكر من هذه الأمثلة ثمانية وعشرين، وهى بحسب أيام أوجه القمر المختلفة التى فيها يتغير تغييرا مستمرا ويلازم الازدياد أو النقصان للوصول الى حديه الأقصى والأدنى (أى البدر والمحاق). ان بعض التغييرات التى تحدث فى هذه الأمثلة يعزى كل السبب فيها لله. والبعض الآخر ينسب بعض الفضل فيها لارادة الانسان، على أنها كلها محددة بالمشورة الالهية. فكل شئ "تحت السماوات" قابل للتغيير، أما فى السماوات فتوجد حالة لا تتغير ومشورة لا تتغير من نحو هذه الأشياء.

١ ـ «**للولادة وقت وللموت وقت**» وهذان الأمران محددان بالمشورة الالهية، فكما اننا قد ولدنا فى وقت محدد كذلك ينبغى أن نموت فى

وقت محدد (أع ١٧ : ٢٦). ولقد لاحظ البعض هنا أن سليمان قال "للولادة وقت وللموت وقت" ولكن لم يذكر بأن للحياة وقتا، فكأن قصر الحياة لا يستدعى ذكرها لأننا حالما نولد نبتدئ بأن نموت. ولكن لنعلم بأنه كما أنه "للولادة وقت وللموت وقت" فكذلك سيكون للقيامة من الأموات وقت، وقت معين، فيه يتذكر الله الراقدين فى القبور (أى ١٤ : ١٣).

٢ ـ **«للغرس وقت لقلع المغروس وقت»** يوجد لله وقت لغرس الأمم كما غرس الأمة الاسرائيلية فى كنعان، ووقت لقلع المغروس كما فعل بالسبع أمم التى كانت مغروسة هنالك ليخلى السبيل لأمته، وقد وجد وقت أيضا تكلم الله فيه عن اسرائيل "بالقلع والهدم والاهلاك" (ار ١٨ : ٧ و ٩). ويوجد للناس وقت الغرس ـ وقت من السنة ووقت من حياتهم ـ ولكن ان وجد المغروس بلا فائدة وعديم الثمر يحين الوقت لقلعه.

٣ ـ **«للقتل وقت وللشفاء وقت»** يوجد لله وقت عندما ينسى الناس أحكامه ويطرحونها وراء ظهورهم، ولكن ان عاد برحمته فقد حان الوقت لشفاء من افترسهم (هو ٦ : ١و٢)، ليعزيهم بعد ما أذلهم (مز ٩ : ١٥). قد يأتى وقت يرى الحكام انه من الحكمة أن يسلكوا طرقا صارمة، ويسنوا قوانين قاسية، ولكن يأتى عليهم وقت آخر يرون أنه من الحكمة أيضا أن يستعملوا الرقة واللطف بدل الشدة والقسوة.

+++

٤ ـ «**للهدم وقت وللبناء وقت**» يوجد وقت لهدم عائلة أو عشيرة أو مملكة عندما تعد نفسها للهلاك، ولكنها ان رجعت وتابت يأتى الوقت ليعود الله فيبنيها. يوجد وقت وميعاد ليعود الرب فيبنى صهيون (مز ١٠٢ : ١٣ و ١٦). يوجد للناس وقت للسطو على المنازل واتلاف المرافق التجارية لهدمها، فعلى المهتمين ببنائها أن يتوقعوا ذلك ويستعدوا له.

٥ ـ «**للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت للرقص وقت**» يوجد وقت تنادى فيه أعمال العناية الالهية "بالبكاء والنوح" فيضطر العقلاء لاجابة النداء ويبكوا وينوحوا كوقت حلول المصائب العامة والأخطار، ومن الحماقة والجهل أن يلجأ "للضحك والرقص" والفرح فى هذه الأوقات (أنظر اشعيا ٢٢ : ١٢و ١٣، حز ٢١ : ١٠). على أنه من الوجهة الأخرى يوجد وقت ينادى فيه الله بالفرح والابتهاج : «**بالضحك والرقص**»، وفى ذاك الوقت ينتظر منا أن "نعبده بفرح وبطيبة قلب" (تث ٢٨ : ٤٧). ولنلاحظ بأن سليمان قدم وقت البكاء والنوح عن وقت الضحك والرقص، ذلك لأننا ينبغى أولا أن "نزرع بالدموع" وبعد ذلك "نحصد بالابتهاج" (مز ١٢٦ : ٥).

٦ ـ «**لتفريق الحجارة وقت**» عندما يأذن الله بالصلح والسلام وابطال الحروب فتهدم الحصون لعدم الحاجة اليها بعد، ولكن يأتى «**وقت لجمع الحجارة**» لبناء الحصون ع٥، يأتى وقت لسقوط الأبراج القديمة كذلك

++

البرج الذى فى سلوام (لو ١٣ : ٤) ولهدم الهيكل نفسه وتخريبه "فلا يبقى فيه حجر على حجر"، ولكن يأتى وقت أيضا تبنى فيه الأبراج والقلاع، وتقام علامات النصر عندما تتحسن الأحوال الداخلية فى المملكة.

٧ ـ «**للمعانقة وقت**» أى معانقة الصديق ان وجد أمينا ومخلصا، ولكن يأتى «**وقت للانفصال عن المعانقة**» ان شككنا فى اخلاصه أو نزاهته. ومن الحكمة فى هذه الحالة ان نلازم الحياد والابتعاد عنه قليلا. وهذه يطبقونها عادة على المعانقة الزيجية حيث نرى ايضاحا لذلك فى (١كو ٧ : ٣ ـ ٥ ويوئيل ٢ : ١٦).

٨ ـ «**للكسب وقت**» (أو للطلب. أنظر هامش الكتاب) لطلب الثروة والمناصب الرفيعة والغنى والكرامة. طالما أقام الله الانسان فى العالم، ووهبه عائلة كبيرة، وطالما كان فى عنفوان قوته، واتسعت أمامه أبواب الأعمال فحينئذ يكون لديه وقت للكفاح والجهاد. يحين الوقت للانسان لطلب الحكمة والمعرفة والنعمة ان كان فى استطاعته دفع ما تتطلبه من النفقات. على أنه سيأتى «**وقت للخسارة**» يتبدد فيه كل ما قد جمع، ولا يستطيع الانسان الاحتفاظ به.

٩ ـ «**للصيانة وقت**» ان كنا ننتفع بما حصلنا عليه، ونستطيع أن نحتفظ به دون أن يكون له أى تأثير سئ على سلامة ضمائرنا ولكن قد يأتى «**وقت للطرح**» عندما تضطرنا محبتنا لله أن نطرح كل ما حصلنا

عليه لأن الاحتفاظ به يكون انكارا للمسيح وايلاما لضمائرنا (مت ١٠ : ٣٧ و ٣٨) مفضلين تضحية كل شئ عن تضحية الايمان، بل عندما تضطرنا محبتنا لأنفسنا أن نطرحه لأن في ذلك خلاص أنفسنا كما فعل البحارة عندما "طرحوا الأمتعة التي في السفينة (التي كان فيها يونان) الى البحر" (يونان ١ : ٥).

١٠ ـ **«للتمزيق وقت»** أي تمزيق الثياب كما يحصل في وقت الأحزان الشديدة، **«وللتخبيط وقت»** أي تخييطها ثانية علامة على انتهاء الأحزان. يأتي وقت لاتلاف ما عملناه، ويأتي وقت لاصلاح ما قد أتلفناه. ويطبق جيروم يروينموس هذه العبارة على تمزيق الكنيسة اليهودية، وبناء الكنيسة المسيحية على أنقاضها.

١١ ـ **«للسكوت وقت»** يأتي وقت لا يليق بنا فيه الا السكوت، ويكون من الحكمة ومن الواجب علينا الصمت، وذلك عندما يكون الزمن رديئا (عاموس ٥ : ١٣)، وعندما يكون تكلمنا "كطرح الدرر قدام الخنازير" (مت ٧:٦)، وعندما نخشى ارتكاب متن الشطط ان تكلمنا (مز ٣٩ : ٢). على انه يوجد أيضا "وقت للتكلم" لمجد الله وبنيان الآخرين، عندما يكون السكوت مضللا لعقول الآخرين ومخفيا لحق الله، وعندما يكون التكلم اعترافا بالفم للخلاص (رو ١٠ : ١٠) وانه لمن الحكمة المسيحية أن نعرف متى نتكلم ومتى نصمت.

++

١٢ ـ **«للحب وقت»** لاظهار أنفسنا باشين ومحببين. وما أبهج الوقت الذى نظهر فيه بهذا المظهر. ولكن قد يأتى يوم يكون فيه **«للبغضة وقت»** فيه نضطر لقطع كل علاقة ودية، والابتعاد قليلا عن بعض أشخاص قد تعلقت نفوسنا بهم لأننا وجدنا مجالا للشك والريبة فى صداقتهم.

١٣ ـ **«للحرب وقت»** عند ما يسل الله سيف الانتقام والغضب ويسمح له بالتهام نفوس الكثيرين، وعندما يشهر البشر سيف العدل ورد الحق الى نصابه، وعندما يوجد بين الأمم ميل للحروب. ولكن لنا أن نرجو أن **«للصلح(١) وقتا»** عندما يرد سيف الرب الى غمده ويسكن الحروب (مز ٤٦ : ٩)، وعندما تحصل الأمة المتحاربة على غايتها، وعندما يوجد بين الأمم المتحاربة ميل للصلح والسلام.

هكذا جعل الله كل هذه التغييرات متعاقبة الواحد تلو الآخر حتى نفرح وكأننا لا نفرح، ونبكى وكأننا لا نبكى (١كو ٧ : ٣٠).

ثالثا : الاستنتاجات التى يستخلصها من هذه الملاحظة ان كانت حالتنا الحاضر عرضة الكل هذه التقلبات :

١ ـ فعلينا أن لا ننتظر أو نطلب منها أى نصيب لأنفسنا، لأنه لا شئ فيها من الخير، وان وجد فيها أى خير فهو الى وقت قصير ع ٩ : **«أى**

---

(١) "للسلام" حسب الترجمة الانكليزية.

++

منفعة لمن يتعب» ؟ ماذا ينتظره الانسان مما يغرسه من الجنات ويبينه من القصور ان كان ما يظن انه فد كمل سيقلع ويهدم سريعا ؟ ان كل اتعابنا واهتماماتنا لن تستطيع تغيير طبيعة الأشياء المتقلبة أو ارادة الله الثابتة من نحوها.

٢ ـ وعلينا أن نمتحن أنفسنا بهذه التقلبات على أساس أنها أتخذت هذا الوضع لامتحاننا. حقا انه لا منفعة «**مما نتعب به**» فالأشياء نفسها التى نحصل عليها لا تفيدنا الا فائدة جزئية ؟ ولكن ان أحسنا استعمال تصرفات الله من نحو هذه الأشياء استفدنا كل الفائدة ع ١٠ : «**رأيت الشغل الذى أعطاه الله بنى البشر**» لا ليحصلوا منه على أى سعادة بل «**ليشتغلوا به**» ليشتغلوا (أو يرنموا) مواهبهم المختلفة فى تقلبات الدهر المختلفة، وليختبروا مقدار اتكالهم على الله فى كل من هذه التغييرات، وليدربوا أنفسهم عليها، وليتعلموا كيف يُشبعون وكيف يجوعون، كيف يستفضلون وكيف ينقصون (فى ٤ : ١٢).

ملاحظـــات :

١ ـ ان بنى البشر يرزحون تحت أتعاب ومشقات لا حصر لها، فالعالم مملوء بالأتعاب والأحزان.

٢ ـ ان هذه المشقات والأتعاب قد خص بها الله وبنى البشر، فهو لم

يقصد أن يكون العالم موضع راحة لهم، ولذلك لم يقصد أن ينالوا راحتهم فيه.

٣ ـ قد تكون هذه المشقات للكثيرين هبه لهم. فيكون الله قد وهبها لهم كما يقدم الطبيب الدواء للمريض لفائدته. هذه المشقات تعطى لنا لكى نزداد كراهية للعالم وحيا للراحة الأبدية، ولكى نستمر فى أعمالنا لأن الله لم يضعنا فى العالم لنقضى حياتنا فى الكسل.

١١ ـ صنع الكل حسنا فى وقته وأيضا جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الانسان العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية.

١٢ ـ عرفت أنه ليس لهم خير الا أن يفرحوا ويفعلوا خيرا فى حياتهم.

١٣ ـ وأيضا أن يأكل كل انسان ويشرب ويرى خيرا من كل تعبه فهو عطية الله.

١٤ ـ قد عرفت أن كل ما يعمله الله انه يكون الى الأبد. لا شئ يزاد عليه ولا شئ ينقص منه وان الله عمله حتى يخافوا أمامه.

١٥ ـ ما كان فمن القدم هو. وما يكون فمن القدم قد كان. والله يطلب ما قد مضى.

سبق أن رأينا ما يملأ العالم من التغييرات، واننا يجب ان لا ننتظر أن

++

يثبت لنا على حالة واحدد خلافا لما كان عليه مع الآخرين. والآن نرى سليمان يظهر يد الله فى كل تلك التغييرات، وانه هو الذى يسير كل الأمور بحالتها التى نراها ولذلك وجب علينا بأن تتجة أنظارنا نحوه على الدوام.

أولا : يجب أن ننتفع بقدر استطاعتنا مما هو كائن، ونعتقد بأنه هو أنسب شئ لنا فى الوقت الحاضر، ونلائم ظروفنا بحسبه، «**صنع الكل حسنا فى وقته**» ع١١ ، فعلينا أن نرضى به، بل نسر ببهجته وجماله ولذته طالما بقى بين أيدينا.

ملاحظـات :

١ ـ كل شئ يأتينا كما وضعه الله، وبحسب قصده فى وضعه، وليس بحسب الظاهر لنا.

٢ ـ ان ما قد يظهر فى نظرنا رديئا وضارا هو من أحسن الأمور وأنفعها عندما يجئ فى وقته المناسب. فقشعريرة البرد مناسبة جدا فى الشتاء كزمهرير الحرارة فى الصيف. وظلام الليل جميل فى وقته كضياء النهار فى وقته.

٣ ـ يوجد تناسب عجيب فى أعمال العناية الالهية وتصرفاتها، فالانسان لدى تأمله فى كل ما تجريه تلك العناية من الحوادث وفى كل ظروفها ومناسباتها لابد أن يجدها كلها تؤول لمجد الله وعزاء جميع الذين يتكلمون

++

عليه. وان كنا لا نستطيع أن نرى كل جمال العناية الالهية الآن الا أننا سنراه عندما يكشف الستار عن سر الله، وعندئذ يتضح لنا أن كل شئ قد عمل فى أنسب الأوقات، ويكون ذلك موضوع اعجاب الأبدية (تث ٣٢ : ٤، حز ١ : ١٨).

ثانيا : وعلينا أن ننتظر بصبر حتى يتضح لدينا تمام الوضوح كل ما غمض عنا، معترفين بأننا «**لا ندرك العمل الذى يعمله الله من البداية الى النهاية**» ولذلك فينبغى أن لا نحكم فى شئ قبل الوقت (١ كو ٤ : ٥). ينبغى أن نعتقد أن الله قد جعل كل شئ حسنا. وكما أن كل شئ قد وجد منذ الخليقة حسنا فكل ما تجريه العناية الالهية حسن أيضا، وسنرى ذلك فى نهاية هذا العالم، أما قبل ذلك فلن نستطيع أن نرى حسنه وجماله. لأنه طالما كان المصور مشتغلا فى تنسيق صورته والمعمارى فى بناء بيته، فلن يبدو جمال هذا أو تلك، ولكن أن أتم كل منهما عمله فحينئذ يظهر كل شئ فى أبدع رونق وأتم الجمال والكمال. فنحن الآن لا نرى أعمال الله الا من منتصفها، لا من مبدأها (والا لكنا رأينا جمال وسمو الخطط التى رسمتها المشورة الالهية" ولا فى نهايتها (حيث سنراها كلها مكللة بالمجد الفائق، فعلينا بالانتظار حتى ينشق الحجاب، وعلينا أيضا عدم الاعتراض على أعمال الله أو الحكم عليها بتسرع لأن السرائر ليست لنا (تث ٢٩ : ٢٩).

++

اختلف المفسرون فى معنى هذه العبارة «**جعل الأبدية (أو العالم) فى قلبهم**» (١) فالبعض يقولون انها ترينا أن البشر قد يستطيعون انماء معرفتهم بأعمال الله، لأن الله لم يترك أعماله ونظامها البديع بلا شاهد، بل قد دونها في سفر "العالم"، وجعل هذا العالم " فى قلبهم " أى جعل فيهم رغبة شديدة، ومنحهم سلطانا عظيما لتفهم تاريخ الطبيعة ومجرى الشئون البشرية، ولذلك فان وجهوا عناية شديدة للتأمل فى ما يحيط بهم من الأشياء استطاعوا أن يروا فى معظمها نظاما عجيبا ومهارة فائقة.

٢ ـ والآخرون يقولون انها ترينا أننا لا نستطيع معرفة كل ما نريد معرفته عن أعمال الله، فالعالم يملأ قلوبنا، والاهتمامات والمشاغل العالمية تتزاحم فى عقولنا، فلا تترك لنا مجالا أو وقتا لننظر الى يد الله فى أعماله. والعالم لا يمتلك على القلب فقط بل يسدل عليه حجبا كثيفة كى لا ترى جمال أعمال الله.

ثالثا : وعلينا أن نقنع بما يعطينا الله من أشياء هذا العالم ونقبله منه بالشكر والسرور، ونرضخ لارادته من نحونا. حقا انه «**ليس خير**» فى هذه الأشياء، أى لا شئ فيها من الخير الحقيقى أو الدائم. على أن سليمان يخبرنا (فى عددى ١٢ و ١٣) عما يستطيع الانسان أن يجده من الخير فيها. وهو أن نحسن استعمالها :

١ ـ لخير الآخرين. انها ليس فيها شئ من الخير الا أن يفيد بها الانسان

عائلته وقريبه، ويحسن بها الى الفقير، ويستخدمها لخير البشرية دينيا ومدنيا. لأنه لماذا قد وجدنا فى هذا العالم، ولأى غرض أعطينا كل ما نملك من ثروة ومواهب أخرى الا لكى نخدم بها جيلنا؟ اننا نخطئ كل الخطأ أن ظننا اننا قد خلقنا لأنفسنا. فاننا قد خلقنا «**لنفعل الخير**»، ففى فعل الخير اللذة الحقيقية والسعادة الكاملة.

لاحظ بأن المطلوب من الناس «**أن يفعلوا الخير فى حياتهم**» وهى مدة قصيرة وغير محدودة، فان كنا لم نعط سوى وقت قصير لنفعل فيه الخير تحتم علينا أن نفتدى الوقت. وفعل الخير محصور أيضا «**فى هذه الحياة**»(١). فنحن فى هذه الحياة نجوز فرصة اختيار وامتحان ليرى الله أن كنا نليق لحياة أخرى أم لا. فحياة كل انسان انما هى فرصة أعطيها ليعمل فيها ما يوصله للحياة الأبدية.

٢ ـ لخير أنفسنا. فليرح كل انسان نفسه و «**ليفرح ويرى خيرا من كل تعبه**» لأن هذه هى «**عطية اله**»، وبذلك نتمتع بالله ونذوق محبته ـ حيث نراها متجسمة فى كل ما يعطينا ـ ونقدم له واجب الشكر والتسبيح، ونجعله موضوع فرحنا "فنأكل ونشرب" لمجده "ونعبده بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شئ" (تث ٢٨ : ٤٧). ان كانت كل أمور هذه الحياة غير ثابتة بل قابلة للزوال والفناء فمن الحماقة والجهل أن يبخل الناس على

(١) هكذا قرئت فى بعض الترجمات

++

أنفسهم فى الحاضر ليدخروا كل شئ للمستقبل، ومن الحكمة أن نمتع ونفرح أنفسنا بما حصلنا عليه الآن وندع الغد يهتم بما لنفسه (مت ٦ : ٣٤). فان تصرفاتنا هكذا عد "عطية من الله" بل أكبر العطايا الالهية ورأسها.

رابعا : وعلينا أن نرضخ رضوخا تاما لكل تصرفات العناية الالهية فى الأمور الخاصة والعامة، لأن الله فى جميع هذه التصرفات لا ينفذ الا ما هو معين لنا، ولا يعمل الا بحسب مشورة ارادته.

وهنا يخبرنا سليمان :

١ ـ ان تلك المشورة لا يمكن أن تتغير، ولذلك فمن الحكمة أن نخضع لها. فكل شئ لا يحصل الا بحسب ارادة الله «**قد عرفت** (وكذلك عرف كل من له المام بأعمال الله) **ان كل ما يعمله الله انه يكون الى الأبد**» ع ١٤، "أما هو فوحده (١) فمن يرده ونفسه تشتهى فيفعل" (أى٢٣ : ١٣). ان مشورته لم تبطل منذ الأزل، ولن تتغير الى الأبد، بل لا يمكن أن يحصل الا ما دبره هو، ولن يستطيع العالم بكل ما فيه من العوامل القوية أن يغير هذا الناموس أو يلغيه. فيليق بنا حينئذ أن نقول "هو الرب ما يحسن فى عينيه يفعل" لأن كل مشوراته مؤسسة على حكمته مهما كانت ضد رغائبنا أو مقاصدنا أو لا تتفق مع مصالحنا.

---

(١) ترجمة النص الانكليزى لهذه العبارة "أما هو فذو رأى واحد".

++

٢ ـ ان تلك المشورة لا تحتاج الى تغيير لأنه لا ينقصها شئ، ولا يشوبها أى عيب. فلو أتيح لنا النظر الى كل مشورات الله بنظرة واحدة لرأيناها كلها كاملة «**لاشئ يزاد عليها**» لأنها لا يتخللها أى نقص، "ولا شئ ينقص منها" لأنه لا شئ فيها عديم الفائدة. فأعمال الله ككلامه. كلها كاملة، وليس لنا أن نزيد عليها أو ننقص منها أى شئ (تث ٤ : ٢). ولذلك فمن الواجب علينا ومن مصلحتنا أن نخضع ارادتنا ورغائبنا لارادة الله ومشيئته.

خامسا : وعلينا أن نسعى لتحقيق غاية الله من كل أعمال عنايته، وهى بوجه عام أن نكون أتقياء. "ان الله يعمل (كل شئ) حتى يخاف (البشر) أمامه" ليقنعهم بأنه يوجد اله فوقهم له سلطان عليهم، وانهم جميعا هم وكل أعمالهم وطرقهم تحت تصرفه، وان فى يديه آجالهم وكل ما يصيبهم من الحوادث، وانهم لذلك يجب أن يوجهوا اليه أنظارهم على الدوام، ويعبدوه، ويعترفوا به فى أى أمر من الأمور. وهكذا فان غير الله أعماله لكنه لن يغير مشورته، وذلك لا ليوقعنا فى اليأس بل ليعلمنا واجبنا من نحوه ويرينا الطريق لاتمام ذلك الواجب. وبوجه الاجمال أن مقاصد الله فى ادارة العالم هى قيام الحياة الروحية ونشرها بين البشر.

سادسا: ويجب أن نعترف بثبات المشورة الالهية مهما رأينا من التغييرات فى هذا العالم. فالشمس تشرق وتغرب، والقمر يزيد وينقص، ومع ذلك

+++

فهما لا يزالان حيث كانا، وما تطوراتهما الا بحسب نظام ثابت منذ البدء خاضع " لسنن السماوات " (أى ٣٨ : ٣٣)، وهكذا الحال أيضا مع أعمال العناية الالهية ع ١٥ : « **ماكان فمن القدم هو** » لأن الله لم يسر على طريقته الحالية منذ زمن حديث فقط. كلا! فان الأشياء كانت منذ الأزل خاضعة للأنقلاب والتطور، كما هى الآن، وكما ستكون بعد الآن. « **وما يكون فمن القدم قد كان** ». ولذلك فما أعظمنا جهلا، وما أكثر طياشتنا ان كنا نقول ما اعتاد الناس قوله كل حين "حقا ان العالم لم يكشر عن نابه لقوم آخرين مثلنا" أو "لا شك فى أنه لم يلاق أحد من مصائب الدهر مالاقيناه نحن" أو "ان احوالنا لن تستقيم الى الأبد". كلا فانه قد يتبدل الضيق فرجا، والحزن فرحا، ولكن هذا الفرح وذاك الفرج لا يزالان خاضعين لناموس التغيير وسنة التبديل. فالعالم كان ولا يزال وسيظل أبد الدهر مستمرا فى الانقلاب والتغيير لأن «**الله يطلب ما قد مضى**» أى يكرر ما قد فعله سابقا، ويعاملنا كما عامل غيرنا ممن سبقونا لأنه "هل لأجلنا تخلى الأرض أو يزحزح الصخر من مكانه" (أى ١٨ : ٤) اننا ان كانت قد حلت بنا بعض المصائب، أو أصابتنا بعض التجارب فليست هذه كلها الا بشرية (١كو ١٠ : ١٣). فلا يليق بنا أن نطمئن أو نفتخر فى حالة السرور والنجاح لأن الله قد يعيد علينا ضيقة ماضية فتبطل أفراحنا (مز ٣٠ : ٦ و ٧ و ١١)، ولا يليق بأن نيأس فى حالة الشدة لأن الله قد يعيد لنا تعزياتنا الماضية كما فعل لأيوب. ويمكننا أن نطبق هذا على كل ما

يحل بنا من التغييرات، سواء فى ظروفنا الخارجية أو الداخلية. ان الله سيحاسبنا "عما قد مضى" ولذلك يجب علينا أن تغيرنا الى حالة جديدة أن ندقق البحث فى حالتنا ـ وبنوع أخص فى خطايانا السابقة.

١٦ ـ وأيضا رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم وموضع العدل هناك الجور.

١٧ ـ فقلت فى قلبى الله يدين الصديق والشرير. لأن لكل أمر ولكل عمل وقتا هناك.

١٨ ـ قلت فى قلبى من جهة أمور بنى البشر ان الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم.

١٩ ـ لأن ما يحدث لبنى البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم. موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للانسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل.

٢٠ ـ يذهب كلاهما الى مكان واحد. كان كلاهما من التراب والى التراب يعود كلاهما.

٢١ ـ من يعلم روح بنى البشر هل هى تصعد الى فوق وروح البهيمة هل هى تنزل الى أسفل الى الأرض.

++

٢٢ ـ فرأيت أنه لا شئ خير من أن يفرح الانسان بأعماله لأن ذلك نصيبه. لأن من يأتي به ليرى ما سيكون بعده.

لا يزال سليمان يظهر لنا أن كل شئ فى هذا العالم باطل ان لم يكن مقرونا بالتقوى وخوف الله. جرد العالم من الديانة لا تجد فيه شيئا ذا قيمة حقيقة، ولا يجد فيه الحكماء شيئا يستحق أن يعيشون فيه من أجله. فى هذه الأعداد يرينا أن القوة (وهى أسمى ما يطمح اليه الناس)، بل ان الحياة نفسها (وهى أعز ما يحب الانسان) لا شئ ان لم يتخللهما خوف الله.

أولا : هنا نجد بطلان الانسان فى قوته، وفى أحسن حالاته وأسمى مظاهره، وهو على عرش المملكة حيث يخضع الناس لسلطانه، وعلى كرسى القضاء حيث يحتمى الناس فى حكمته وعدله، بل حيث يعمل كوكيل لله على الأرض ان سار بحسب قوانينه وناموسه. نعم فانه من ضمن أولئك الذين قال لهم الله انكم آلهة (مز ٨٢ : ٦)، أما بدون خوف الله فهو باطل، لأن العالم ان تجرد منه :

١ ـ لم يحكم القاضى بالعدل، ولم يحسن استعمال ما منح من سلطان، بل استخدمه للشر والأذى، بدلا من استخدامه للخير والمنفعة، وبذا لم يصبح باطلا فقط، بل أيضا كاذبا لأنه يخدع نفسه وكل من حوله ع ١٦، لقد لاحظ سليمان مما قرأه من أخبار العصور السالفة، وما سمعه عن أخبار البلاد المجاورة، وما رآه فى بعض القضاة الفاسدين، حتى فى مملكة

+++

اسرائيل ـ رغما عن شديد حرصه بأن لا يبقى فى خدمة بلاده سوى أفضل الرجال ـ ان فى **«موضع الحق هناك الظلم»**. انه لم ير ذلك فوق الشمس لأنه حاشا لله أن يخطئ أو يغير الحق، ولكنه رآه **«تحت الشمس»** حيث طالما لقى المظلومون الأبرياء الظلم والجور ممن كان ينتظر منهم العدل والانصاف. "فالانسان الذى فى الكرامة ولا يفهم ماذا ينبغى أن يفعل يشبه البهائم التى تباد" (مز ٤٩ : ٢٠).

والظلم لم يأت من الأشخاص الذين يجلسون على كراسى الحكم والقضاء فقط، بل ان نفس "مواضع الحق ... ومواضع العدل" أى نفس الأماكن التى أقيمت لاجراء الحق والعدل والتى ينتظر منها جميع الناس الانصاف **«هناك الظلم .. وهناك الجور»** فكم من الناس لقوا أشد المساوئ والمظالم من تلك الأماكن التى التجأوا اليها لطلب العدل.

هذا باطل وقبض الريح **(أولا)** لأنه كان خيرا للبشر أن لا يكون عندهم قضاة وحكام مطلقا من أن يكون لديهم أشخاص هذه صفاتهم. **(ثانيا)** وكان خيرا للقضاة أن لا يعطوا سلطانا مطلقا من أن يعطوه ويسيئوا استعماله بهذا الشكل، وهذا نفس ما سيقولونه يوما ما.

٢ ـ وسوف يحاكم القاضى لعدم حكمه بالعدل. عندما رأى سليمان أن القضاة والحكام قد أفسدوا الحكم بين الناس تطلع الى فوق الى الحاكم الأعظم، وهو الله، وتطلع الى الأمام الى دينونته ع ١٧ : **«فقلت فى قلبى»**

ان هذا الحكم الفاسد ليس هو الحكم الفصل والنهائى، كما يظن كل من الطرفين المتحاكمين، لأنه سيعاد النظر فيه فى محكمة الاستئناف «**فالله سيدين الصديق والشرير**» ويقضى بينهما، سيقضى للصديق ويقيم له حقه ولو كان قد ديس فى هذا العالم، ويقضى ضد الأشرار ويدينهم على "قضاياهم الباطلة وجورهم الذى سجلوه" (اش ١٠ : ١).

فبعين الايمان نستطيع أن نرى قصاص الأشرار، ودينونة الظالمين من أجل ظلمهم وكبريائهم (مز ٩٢ : ٧)، ويا لعظم عزاء المظلومين حينما يرون أن قضاياهم سيعاد النظر فيها. فلينتظروا بصبر عالمين أن هنالك قاضى آخر (ديان) واقف قدام الباب (يع ٥ : ٩).

ومهما طالت أيام الشدائد فانه «**لكل أمر ولكل عمل وقتا**» معينا للنظر فيه.

أن الوقت الحاضر هو يوم البشر، أما يوم الله فآت (مز ٣٧ : ١٣) وان لله وقتا لاعادة النظر فى مظلمات البشر، وتخفيف أحزانهم، وانصافهم، مما ألم بهم من جور واجحاف، ولو أننا للان لم نره هنا (أى ٢٤ : ١).

ثانيا : وهنا نجد بطلان الانسان كشخص فان. تكلم سليمان وقتئذ بوجه عام «**من جهة أمور بنى البشر**» فى هذا العالم، من جهة حياتهم ووجودهم على الأرض، وبين أن وجودهم فى هذا العالم بدون خوف الله لا يميزهم عن البهائم. وهنا نلاحظ :

++

(١) ماذا يقصد من وصف حالة الانسان هذه :

١ ـ اكرام الله وتبريره وتمجيده. **«قلت فى قلبى من جهة أمور بنى البشر لكى يبرروا الله»** (١) حتى ان قضى بعضهم حياتهم فى التعب والشقاء فى هذا العالم لا يعزوا سبب ذلك لله بل لأنفسهم. فليبرروا الله، ولا يظنوا أنه خلق العالم سجنا لهم، أو جعل الحياة لهم قصاصا. كلا فالله خلق الانسان ـ سواء من جهة الكرامة أو الراحة "أنقص قليلا من الملائكة" (مز ٨ : ٥)، فان كان وضيعا أو شقيا فليس الذنب الا ذنبه.

أو بمعنى آخر **«قلت فى قلبى من جهة أمور بنى البشر ان الله يمتحنهم»** أى ان كلمة الله تمتحنهم، وتكشف لهم الستار عن أنفسهم، وتظهر بأنها "حية وفعالة" (عب ٤ : ١٢) ومحك لأخلاق البشر.

٢ ـ اخضاع الانسان، والحط من كبريائه : **«ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم»**. ليس من الأمر الهين اقناع المتكبرين بأنهم ان هم الا بشر (مز ٩ : ٢٠). وأصعب من هذا القناع الأشرار بأنهم يستوون مع البهائم، وأنهم "كالبهائم التى تباد، وكفرس أو بغل بلا فهم" بسبب تجردهم من التقوى (مز ٣٢ : ٩). "المتسلط الشرير والظالم كأسد زائر ودب ثائر" (ام ٢٨ : ١٥). نعم فكل من يهتم بجسده فقط ويتغافل عن روحه يجعل نفسه فى درجة البهائم، ويتمنى لو يموت موتها.

---

(١) هكذا وردت فى هامش بعض الترجمات.

++

٢ ـ الطريقة التى بها يثبت صحة هذا الوصف. ان الأمر الذى يريد اثباته هنا هو أن الشخص العالمى والجسدى «**ليس به مزية على البهيمة**» لأن كل ما تتجه اليه أنظاره، ويصبو اليه قلبه، وكل ما يضع عليه اتكاله وينتظر منه السعادة «**باطل**» ع ١٩.

يظن البعض ان هذه هى لهجة الملحدين الذين يبررون أنفسهم فى شرورهم ع١٦ والذين لا يعتقدون بالدينونة، ويتجنبون ذكرها وكل حديث عنها ع ١٧ لزعمهم بأنه لا توجد حياة أخرى بعد هذه الحياة، وان كل شئ ينتهى بموت الانسان، ولذلك يحق له أن يعمل كما يهوى ويشاء طالما كان فى هذا العالم. ولكن آخرين يظنون أن سليمان يتكلم هنا بما يعتقده، وان معنى ما قاله هنا كمعنى ما قاله أبوه "مثل الغنم يساقون للهاوية" (أو يوضعون فى القبر). (مز ٤٩ : ١٤)، وانه يقصد أن يبرهن بطلان هذا العالم من جهة ثروته وكل أمجاده، ويتوصل لهذا البرهان باظهار وجه الشبه بين الانسان والحيوان من الوجهة الجسدية فقط.

١ ـ فما يحدث لكليهما متساو تمام المساواة ع ١٩، «**ما يحدث لبنى البشر** (هو نفس ما) **يحدث للبهيمة**»، فكل من يريدون درس جسم الانسان يحصلون على أغلب معلوماتهم عن هذا الدرس بواسطة تشريح جسم الحيوان. وعندما أغرق الله العالم بالطوفان قديما بادت البهائم مع بنى البشر. والخيل تقتل مع بنى البشر على السواء فى ميادين الحروب.

٢ ـ ونهاية كليهما تظهر للعين البشرية واحدة «**نسمة واحدة للكل**» فكلاهما يتنفس هواء واحد، وكلاهما ينطبق عليه ذلك الوصف الواحد العام ان "فى أنفه نسمة روح حيوة" (تك ٧ : ٢٢) ولذلك «**فموت هذا كموت ذاك**» لا فرق منظور بينهما وقت الموت، وفوق ذلك فما يحدثه الموت من التغيير فى جسد الواحد هو نفس ما يحدثه فى الآخر.

(١) فالتغيير من جهة الجسد واحد، الا فيما يختص بما يؤدى لأحدهما من الاكرام ممن خلفه. فالانسان ان كان "يدفن دفن حمار" (ار ٢٢ : ١٩) فأية "مزية له على البهيمة"؟ بل ان الشريعة الموسوية كانت تقضى بأن الاقتراب من جثة انسان ينجس أكثر من جثة نفس البهائم أو الطيور النجسة.

وسليمان يلاحظ هنا أن "كليهما يذهب الى مكان واحد" فجثتاهما تتعفنان بشكل واحد، و «**كلاهما من التراب**» **نشأ** «**والى التراب يعود كلاهما**» بعد الفساد. فان كانت أجسادنا لا تسرع الى القبر فقط بل تشترك فيه أيضا مع البهائم وتتحد معها فى تراب واحد، فلماذا نفتخر بأجسادنا وبكل أعمالنا الجسدية؟

(ب) وأما من جهة الروح فالفرق شاسع جدا، وان لم يكن منظورا ع ٢١. صحيح ان «**روح بنى البشر تصعد**» **عند الموت**، لأنها ترتفع «**الى فوق**» عند أبى الأرواح الذى جبلها، والى عالم الأرواح الذى تتصل به،

++

فهى لاتموت مع الجسد بل "تفدى من يد (سلطة) الهاوية" (مز ٤٩ : ١٥). انها "تصعد الى فوق" للمحاسبة وتقرير المصير الى حالة لا تتغير. أما «**روح البهيمة** فمن المؤكد أنها **تنزل الى أسفل الى الأرض**» انها تموت مع الجسد وتتلاشى عند الموت، ان نفس البهيمة عند الموت تشبه الشمعة ان انطفأت، ولا يبقى لها وجود، أما نفس الانسان فتشبه عند الموت شمعة نزعت من مصباح مظلم فتركته عديم الفائدة، أما هى فازدادت اشتعالا.

هذا هو الفرق الشاسع بين روح الانسان وروح البهيمة. وهذا هو السبب الذى من أجله يجب أن "نهتم بما فوق" (كو ٣ : ٢) ونرفع اليه نفوسا ولا نهتم "بما على الأرض" أو نحط اليه نفوسنا كأنها نفوس البهائم.

ولكن «**من يعلم**» هذا الفرق؟ نحن لا نستطيع أن نرى بأعيننا البشرية صعود نفس الواحد أو هبوط نفس الآخر، ولذلك فكل من يعيش بحسب الجسد ولا يرفع أنظاره الى مستوى أرفع من مستوى الجسد "ليست له مزية على البهيمة". "من يعلم" أى من يتأمل هذا ويراعيه فى قلبه؟ (اش ٥٣ : ١) ما أقلهم. فلو راعى ذلك الكثيرون لكان العالم فى حالة أسمى من تلك بكثير من كل الوجوه، ولكن من موجبات الحزن والأسف أن الناس يعيشون كأنهم سيخلدون فى هذا العالم، أو كأنهم سينتهى كل أمرهم عند موتهم. ولذلك فليس من الغريب أن يعيش كالبهائم كل من أعتقد أنه سيموت كالبهائم.

(٣) الاستنتاج الذى يستخلصه من ذلك ع ٢٢ ، «**فرأيت انه لا شئ خير**» فى هذا العالم، من جهة ثروته وأمجاده، «**من أن يفرح الانسان بأعماله**» ، أى :

١ ـ يحفظ ضميره طاهرا، ولا يسمح مطلقا بأن يكون "هنالك الظلم موضع الحق". "ليمتحن كل واحد عمله" ويزكى نفسه أمام الله "وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط" (غل ٦ : ٤). وليمتنع عن عمل ما لا يستطيع أن يفتخر ويفرح به. أنظر (٢كو ١ : ١٢).

٢ ـ ويعيش حياة مسرة بهجة. فان كان الله قد أنجح عمل أيدينا حق علينا أن نفرح به ونتمتع ببهجته، ولا ندعه عبئا ثقيلا على كواهلنا، ونترك بهجته للآخرين «**لأن ذلك نصيبنا**» ليس نصيب أرواحنا (لأنه ما أشقى الذين ينالون نصيبهم فى هذا العالم (مز ١٧ : ١٤) وما أغبى من يطلبون نصيبهم فى هذا العالم (لو ١٢ : ١٩ و ٢٠) بل نصيب الجسد. فما نتمتع به هو وحده ما نستطيع أن نناله من هذا العالم، والسبب فى ذلك أنه لن يستطيع أحد أن «**يرينا ما سيكون بعدنا**» . فمن البديهى أننا ان غادرنا هذا العالم لا نعرف ما سيكون بعدنا، لأنه ليست هنالك صلة بين هذا العالم والعالم الآخر (أى ١٤ : ٢١) . لأن الذين ينتقلون لذلك العالم الآخر لا ينشغلون الا بما فيه، ولذلك لا يبالون بأن يروا ما يحصل فى هذا العالم، وطالما كنا نحن هنا فلن نستطيع أن "نرى ما سيكون بعدنا" سواء كان من

جهة عائلاتنا أو من جهة البشرية بوجه عام. انه لم يعط "لنا أن نعرف الأزمنة والأوقات" التى تأتى بعدنا (أع ١ : ٧). ولهذا فعلينا أن لا نهتم بهذا العالم، بل لنوجه كل اهتمامنا للعالم الآخر.

فان كان الموت هو وداع نهائى لهذا العالم فلنبحث ـ قبل أن نغادره ـ عن عالم آخر.

---

* الإصحاح الرابع *

بعد أن بين سليمان بطلان هذا العالم من وجهة ميل الحكام والقضاة لظلم رعاياهم نراه يبين هنا :

١ ـ ميل المظلومين للانين وشكواهم المتواصلة. ع ١ ـ ٣.

٢ ـ ميل الكسلان للراحة والاهمال فى أعماله خوفا من حسد الناس له ع ٤ ـ ٦.

٣ ـ غباوة الذين يجمعون الثروة العالمية الطائلة ويكتنزونها ٧ و ٨.

٤ ـ علاجا لتلك الغباوة وهو مراعاة خير البشرية العام ووجوب التعضيد المتبادل ع ٩ ـ ١٢.

٥ ـ عرضة كل مجد عالمى للفناء حتى أمجاد الملوك، ليس فقط بسبب غباوتهم ع١٣ و ١٤ بل أيضا بسبب تقلب الشعوب الذين يحكمونهم مهما عظمت حكمتهم ع ١٥ : ١٦.

فان كان الملوك أنفسهم لا يخرجون عن دائرة هذا البطلان فلا يليق بأن ينتظر أى شخص آخر أن يتخلص منه.

١ ـ ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالميهم قهر. أما هو فلا معز لهم.

٢ ـ فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء

+++

الذين هم عائشون بعد.

٣ ـ وخير من كليهما الذى لم يولد بعد الذى لم ير العمل الردئ الذى عمل تحت الشمس.

لقد أعطى سليمان قلبا رحبا (١مل ٤ : ٢٩)، ومما جاء فى هذه الأعداد، وكثير غيرها، يتضح أنه كان فوق ذلك رقيق القلب جدا نحو البائسين من بنى البشر، ويرثى لأحزانهم ومصائبهم. فى (ص٣ : ١٦ و ١٧) نراه يوبخ الظالمين، ويذكرهم بالدينونة العتيدة، ليوقفهم عند حدهم، وهنا نراه يأخذ دوره مع المظلومين أنفسهم. ولا شك فى أن قصده من الاهتمام بهم، كملك، هو انصافهم من خصمائهم لأنه كان يخاف الله ويهاب الناس (لو ١٨ : ٢ و ٣). أما هنا فانه يعالج أمرهم لا كملك بل كواعظ، كالجامعة، ويبين :

أولا : متاعبهم وضيقاتهم الشديدة ع١، وقد تكلم عن هذه بكل رقة واشفاق وحنو. لقد آلمه.

(١) أن يرى القوة تسود على الحق، أن يرى **«كل هذه المظالم التى تجرى تحت الشمس»**، فالعبيد والصناع والعمال يظلمهم سادتهم ورؤساؤهم الذين ينتهزون فرصة فقرهم واحتياجهم اليهم ليفرضوا عليهم أى شروط تهواها نفوسهم، أن يرى الدائنين يظلمون دائنيهم لشدة قساوتهم، والدائنين يظلمون من مدينيهم لشدة خيانتهم، أن يرى الفلاحين يظلمون من

أصحاب الأراضى الجشعين، واليتامى يظلمون من الأوصياء عليهم الخائنين، وأشد ما آلمه أن يرى الشعوب يظلمون من حكامهم المستبدين وقضاتهم الظالمين. "كل هذه المظالم تجرى تحت الشمس"، أما فوق الشمس فيملك البر والحق الى الأبد. والعقلاء هم الذين "يرون هذه المظالم" ويسعون لاغاثة المظلومين وانصافهم. "فطوبى للذى ينظر الى المسكين" (مز ٤١ : ١).

(٢) وأن يرى كيف أن المظلومين يرزحون ويئنون تحت المظالم التى لحقتهم. انه رأى "دموع المظلومين". وربما لم يتمالك نفسه بل اشترك معهم فى البكاء. ان العالم مقر للباكين، فمهما تطلعنا لابد أن تعترض أبصارنا المناظر الكثيرة المؤلمة، لابد نرى كثيرا من "دموع المظلومين" بالمظالم المختلفة. فهم يحزنون ويكتئبون فى قلوبهم كأيوب، لأنهم يرون ان الشكوى والصراخ بلا جدوى (أى ١٦ : ٢٠، ٣٠ : ٢٨). على أن الله لم يتركهم عند هذا الحد بل وعدهم بالبركة والعزاء قائلا "**طوبى** للحزانى لأنهم **يتعزون**» (مت ٥ : ٤).

(٣) وأن يراهم عاجزين عن اغاثة أنفسهم. «**ومن يد ظالميهم قهر**» (أو وفى فى يد ظالميهم القوة والسلطان) فان أجروا مظلمة عززوها ونفذوها بقوتهم وسلطانهم، وحمل المسكين والضعيف فى تيارهم الجارف، وعجز عن مقاومتهم أو التخلص من نيرهم القاسى. فمن المؤلم جدا أن تستعمل

القوة في غير محلها، وأن يستعمل الناس مواهبهم لفعل الشر، فى حين أنها لم تعط لهم الا لفعل الخير.

(٤) وأن يرى كل من حولهم يستهزئ بهم ويستخف بمصائبهم. فهم كانوا يبكون ويئنون ولذا كانوا يحتاجون لمعز. ولكن لم يوجد من يفعل معهم تلك الرحمة : «**لا معز لهم**». كان ظالموهم أقوياء ويتهددونهم بالخطر «**أما هم فلا معز لهم**»، فأولئك الذين كان يجب عليهم تعزيتهم لم يجسروا أن يفعلوا ذلك، اما خوفا من اغضاب ظالميهم، أو خوفا من أن يظنوا فيهم انهم شركاءهم ان رأوهم واقفين بجانبهم معزين. فياله من أمر مؤلم أن نرى الانسانية تعدم من بين الناس.

ثانيا : التجارب التى عرضتهم لها حالتهم هذه. فهم بسبب كل هذه المظالم كانوا فى خطر من أن يجربوا بكراهية الحياة واحتقارها، وحسد الذين ماتوا واستراحت عظامهم فى قبورهم. وأن يتمنوا لو لم يولدوا ويروا هذه الحياة برهة واحدة ع ٢ و ٣.

وممن يوافقهم على ذلك سليمان، لأنه بهذا يتحقق ما يريد اثباته وهو ان "الكل باطل وقبض الريح". فالحياة نفسها كثيرا ما كانت هكذا. وحقا اننا لو لو احتقرنا العالم لا لشئ آخر سوى لكى نتمتع بحضرة الله كما فعل بولس الرسول (اع ٢٠ : ٢٤، فى ١ : ٢٣) لكان ذلك فخرا لنا، ولكن ان احتقرناه لمجرد ما يعتريه من المصائب والأحزان لكان ذلك ضعفا منا ولعد

ذلك حكما حسب الجسد كما فعل أيوب (ص٣) وايليا (١مل ١٩ : ٤).

(١) فسليمان يغبط هنا الذين فارقوا هذا العالم المملوء بالمشقات والأحزان، الذين لعبوا دورهم فى هذه الحياة. «**فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان**» الذين قد أسرعوا الرحيل من هذا العالم، واختصروا الطريق فى عبور بحر هذا العالم. ولو علمت أنهم أتوا ذلك باختيارهم لأثنيت على حكمتهم لأنهم قد اكتفوا بأن ينظروا العالم برهة قصيرة ويمروا فيه مر الخيال اذ لم يجدوا به ما يحببهم فيه.

فاستخلصت من ذلك بأنهم أفضل بكثير «**من الأحياء الذين هم عائشون بعد**» الذين يعانون مصائب الحياة ويتجرعون كؤوسها المرة كل يوم بل كل لحظة. هذه لا نشبهها بما جاء فى (أى ٣ : ٢٠ و ٢١) وهو "لم يعطى لشقى نور وحيوة لمرى النفس. الذين ينتظرون الموت وليس هو ويحفرون عليه أكثر من الكنوز"، بل بما جاء فى (رؤ ١٤ : ١٣) حيث لا يقول روح الانسان البشرى، بل روح الله القدوس فى أزمنة الاضطهاد ـ التى يصفها سليمان هنا ـ "طوبى للاموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن".

ملاحظة : ان حالة القديسين الذين ماتوا وذهبوا لراحتهم عند الله أفضل بكثير من نواح كثيرة من حالة القديسين الأحياء الذين لا يزالون يجاهدون ويعانون المتاعب والمشقات.

++

(٢) وهو يغبط الذين لم يروا الحياة مطلقا، ويظن أنهم أسعد **«وخير من كليهما الذين لم يولد بعد»**. فخير للانسان لو لم يولد من أن يولد **«ويرى العمل الردئ الذى يعمل تحت الشمس»**، ويرى الآثام الكثيرة التى ترتكب، والمظالم العديدة التى تجرى، ولا يقف به الحد عند عجزه عن ايقاف كل هذه الشرور، بل انه فوق ذلك يتألم جدا فى عمل الخير. مهما اشتدت بالأتقياء المصائب فى هذه الحياة لا يجدون أى مبرر ليتمنوا لو لم يولدوا طالما كانوا يمجدون الله حتى فى النيران المشتعلة، وطالما كانت سعادتهم فى هذه الحياة لا يمكن أن تمس بسوء. بل لا يليق بأى انسان أن يتمنى ذلك طالما كان حيا، لأنه طالما بقيت الحياة فالرجاء باق، ولأن الانسان لا يمكن أن يقال عنه انه قد هلك الا اذا وصلت قدماه حافة الجحيم.

٤ ـ ورأيت كل التعب وكل فلاح عمل أنه حسد الانسان من قريبه. وهذا أيضا باطل وقبض الريح.

٥ ـ الكسلان يأكل لحمه وهو طاو يديه.

٦ ـ حفنة راحة خير من حفنتى تعب وقبض الريح.

هنا يعود سليمان للتأمل فى البطلان الذى يتخلل أعمال الحياة، والذى سبق أن تكلم عنه فى (ص ٢ : ١١).

++

أولا : ان كان الانسان ذكيا وحاذقا وناجحا فى عمله فانه لا ينال الا **«الحسد من قريبه»** ع٤ . فرغما عما يتكبده من المشقات، ويعانيه من **«كل التعب»**، ورغما عن أنه لا يحصل على ثروته بسهولة، بل كثيرا ما كلفته تضحيات طائلة، ورغما عن انه لا يحصل عليها بطرق غير شريفة، فهو لا يظلم أحدا، ولا يخدع انسانا، بل **«بكل فلاح عمل»** (أو بكل عمل قويم) بسلوك كل طريق مستقيم والسير فى أعماله بنزاهة وعدل ـ رغما عن كل ذلك تراه يحسد من قريبه، والأكثر من ذلك أنه يحسد على ما ناله من السمعة الطيبة بسبب نزاهته وأمانته. ومن ذلك نرى :

(١) ان ضمائر بعض الناس قد تكون فاسدة بل ميتة حتى انهم يحقدون على جار لهم، ويسيئون اليه اما بالكلام أو بالعمل لا لذنب عمله سوى لأنه أكثر منهم حكمة وذكاء ونشاطا ونال قسطا أوفر من بركات السماء، فقايين حسد هابيل، وعيسو حسد يعقوب، وشاول حسد داود ليس لسبب آخر سوى "لفلاح عملهم" (أو لأعمالهم القويمة). هذه كلها أعمال شيطانية محضة.

(٢)يليق بالأشخاص العقلاء والنافعين أن لا ينتظروا الا القليل جدا من الراحة فى هذا العالم. فمهما سلكوا بحذر واحتراس لا يمكن أن يتحاشوا حسد الناس لهم، ومن يستطيع الوقوف قدام الحسد (ام ٢٧ : ٤). وكلما ازداد الناس فى الفضيلة ازدادوا كراهية ممن يزدادون فى الرزيلة، الأمر الذى

+++

يجب بأن لا يكون سببا للفشل فى عمل الخير، بل يجب أن يبعثنا على انتظار المدح والجزاء، لا من الناس، بل من الله وعلى عدم انتظار أيه راحة أو سعادة من الخليقة، لأنه ان كان قد ثبت لنا أن "كل فلاح عمل (أو كل الأعمال القويمة) **باطل وقبض الريح**» فلن نجد عملا آخر تحت الشمس خارجا عن هذه الدائرة. على أن الانسان سيجد نعمة فى عينى الله من أجل كل فلاح عمل، ولذلك فلا يليق به أن يهتم بحسد الناس له، بل ليكن هذا باعثا على ازدياد احتقاره للعالم.

ثانيا : وان كان الانسان غبيا وجاهلا وغير مفلح فى عمله فهو يسئ الى نفسه ع٥ : «**الكسلان**(١)» الذى يسلك فى عمله كأنه «**طاو يديه**» الذى يتمم كل أعماله باهمال وتراخ، الذى يفضل الراحة على العمل، ويطوى يديه لتخبئتهما من البرودة لأنهما ترفضان العمل ـ هذا «**يأكل لحمه**» يعمل على هلاك نفسه، يجلب على نفسه الفقر المدقع فلا يجد ما يأكله سوى جسده، والمصائب الشديدة حتى يكاد يأكل جسده من شدة الغيظ والغضب. وما مثله الا مثل الكلاب التى تحب الراحة والجوع. انه يعمل كل شر، ويسلك طرق الفساد لأنه يرى أن العاملين المجدين يحسدون من أقرانهم.

---

(١) "الجاهل" حسب ترجمة اليسوعيين، والترجمة الانكليزية.

ملاحظة : الكسل خطية تحمل قصاصها فى طياتها.

أما ما جاء فى ع٦ «**حفنة راحة خير من حفنتى تعب وقبض الريح**».

(١) فقد يكون احتجاج الكسلان عن نفسه ليبرر كسله فهو «**يطوى يديه**» ويبرر عمله هذا بالارتكان على حقيقة ولكنه يعكسها، اذ يظن (أو يدعى) ان القليل مع الكسل خير من الكثير مع العمل الشريف لأن "لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام" (أم ١٧ : ١) وبذلك فهو "أوفر حكمة فى عينى نفسه" (ام ٢٦ : ١٦).

(٢) والأرجح انه نصيحة يقدمها لنا سليمان لنتوسط بين الأمرين، بين التعب الذى يجعل الانسان محسودا من أقرانه وبين الكسل الذى يجعله يأكل لحمه. فلنجد فى عملنا ولنسلك أشرف الطرق حتى نمسك حفنة واحدة فقط تسد أعوازنا فى هذه الحياة. أما ان ملأنا حفنتينا فلا تسببان لنا سوى "قبض الريح" (أو تعب ومضايقة الروح). فخير الأمور الوسط سواء فى الراحة أو فى النصب. قد ينال الانسان "حفنة" واحدة من هذا العالم ويلتذ بها ويتمتع "براحة" عظيمة، براحة الفكر وسلام الضمير ومحبة الآخرين، بينما أن أغلب الذين ملأوا كلتا أيديهما ونالوا "حفنتين" وحصلوا على أكثر من حاجات القلب فلا يجدون منها سوى التعب والشقاء. ان الذين لا يستطيعون أن يعيشوا بالقليل يعرضون أنفسهم لخطر الجشع وعدم الاكتفاء.

٧ ـ ثم عدت ورأيت باطلا تحت الشمس.

++

٨ ـ يوجد واحد ولا ثانى له وليس له ابن ولا أخ ولا نهاية لكل تعبه ولا تشبع عينه من الغنى. فلمن أتعب أنا وأحرم نفسى الخير. هذا أيضا باطل وأمر ردئ هو.

٩ ـ اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة.

١٠ ـ لأنه ان وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده ان وقع اذ ليس ثان ليقيمه.

١١ ـ أيضا ان اضطجع اثنان يكون لهما دفء. أما الواحد فكيف يدفأ.

١٢ ـ وان غلب أحد على الواحد يقف مقابلة الاثنان، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعا.

فى هذه الأعداد يبين لنا سليمان مظهرا آخر من مظاهر بطلان هذا العالم، ألا وهو أن الناس كلما ازدادوا فى الحصول على الأشياء العالمية ازدادوا طمعا فيها.

أولا : ان محبة الذات هى أصل هذا الشر ع٧و ٨. **«يوجد واحد»** وحيد لا يهتم الا بنفسه، ولا يعمل للآخرين حسابا، بل يود لو استطاع أن يبقى وحده وسط هذا العالم، **«ولا ثانى له»** ولا يود أن يكون له ثان، بل يظن أنه يكفى أن يوجد فى البيت واحد فقط، ويبغض كل ما ومن عداه.

لاحظ هنا كيف يصف سليمان ذلك البخيل :

(١) فهو يجعل نفسه مجرد عبد لعمله، رغم انه ليس له من يعوله اذ **«ليس له ابن ولا أخ»** ليس لديه من يهتم به سوى نفسه، ليس له أقارب فقراء ليعولهم، ولا يكفر فى الزواج خوفا من أن يثقل كاهله، كل ذلك **«فلا نهاية لكل تعبه»** بل يواصل فيه الليل بالنهار، مبكرا ومتأخرا، ويضن على نفسه ـ وعلى من يستخدمهم ـ بالراحة الضرورية. وهو لا يحصر مجهوده فى العمل الذى قد خص به بل يعمل فى كل ما تستطيع يده الوصول اليه. أنظر (مز ١٢٧ : ٢).

(٢) وهو لا يخطر بباله أبدا انه قد حصل على كفايته **«لا تشبع عينه من الغنى»**. عبر الكتاب المقدس عن الطمع بأنه هو "شهوة العيون" (١يو ٢ : ١٦) لأن كل ما يطمع فيه رجل العالم هو "أن يرى بعينه ما اشتهاه" (جا ٥ : ١١). انه قد يكتفى بما يلبس، وبما يأكل، وبما يقدم لعائلته، ولكنه لن يكتفى الا بما تراه عيناه. ومع انه يستطيع أن يرى ما يحصل عليه ويحصى ثروته وأمواله، ولكنه لا يحصل على شئ من الراحة لأنه لا يجد شيئا أكثر ليمتع به عينيه.

(٣) وهو يحرم نفسه لذة التمتع بما قد حصل عليه، اذ **«يحرم نفسه الخير»**، فان حرمت نفوسنا من الخير فلنعرف بأننا نحن الذين حرمناها منه.

قد يحرمنا الآخرون من الخير الخارجي، ولكنهم لن يستطيعوا أن يلبسوا منا نعم الروح وتعزياتها وخيراتنا الروحية. فان لم نمتع أنفسنا فنحن المسئولون. وكم من الناس يفتحون كل قلوبهم للعالم فيحرمون أنفسهم من الخير هنا وفي الأبدية، يضحون الايمان ويدنسون ضمائرهم الطاهرة، يحرمون أنفسهم لا من الله والحياة الأبدية فقط بل ومن لذات الحياة الحاضرة أيضا. وأهل العالم، الذين يدعون انهم حكماء في أنفسهم، ليسوا الا أعداء لأنفسهم.

(٤) وهو ليس له عذر فى كل ما يعمل، اذ «**ليس له ابن ولا أخ**»، ليس له من يهتم بأمره، ليس له من ينفق عليه ثروته التى يكد فى الحصول عليها، أو من يتمتع بعد موته بما اكتنزه وادخره.

(٥) ليس له عقل أو ادراك ليبين له جهله وغباوته. انه لا يخطر على باله أن يسأل نفسه هذا السؤال «**لمن أتعب أنا**» ؟ هل أتعب لمجد الله كما ينبغى أن أفعل وللحصول على ما أسد به حاجة الفقراء؟ هل اعتبرانى لا أتعب الا للجسد الفانى؟ وهل أتذكر انى أتعب للاخرين، ولا أعرف من هم أولئك الاخرون، فقد يكونون أغبياء فيبددون فى برهة وجيزة ما قد تعبت فى جمعه، وقد يكونون أعدائى فلا يحفظون لى جميلا ولا يبقون لى اسما.

ملاحظة : من الحكمة أن يتأمل الذين يهتمون بهذا العالم فى من يتعبون له، وهل يستحق الأمر بأن يحرموا أنفسهم من الخير حتى يعطوه

++

للغريب. وان لم يراعوا ذلك **«فهذا أيضا باطل وأمر ردئ هو»** هم يخجلون أنفسهم، ويضايقون ذواتهم بلا مبرر.

ثانيا : وان عشرة الناس والائتناس بهم هى الدواء لهذا الشر. فالبخل لا ينشأ الا من رغبة الانسان فى أن يعيش لنفسه. والآن يبين لنا سليمان هنا بأمثال كثيرة انه "ليس جيدا أن يكون الانسان وحده" (تك ٢ : ١٨)، وقصده من ذلك أن يحبب لنا الزواج وصداقة الناس وهما أمران طالما أحجم عنهما البخلاء لما يتطلبانه من النفقات الطائلة. لكن لو سلك الانسان فيهما بحكمة وتعقل لما فكر فى تلك النفقات. عندما وضع الانسان فى الجنة نفسها لم يستطع أن يكون سعيدا بدون "معين ونظير" ولذلك حالما خلق أوجد الله له "معينا ونظيرا" :

(١) لقد وضع سليمان لنا هنا قاعدة عامة وهى **«اثنان خير من واحد»** لأنهما يتمتعان بسعادة لا يمكنهما الحصول عليها لو افترقا، ويخدمان مصالح بعضهما البعض بقوة اتحادهما، **«لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة»** فكل خدمة يتممانها لابد أن تعود على كليهما بالمنفعة.

أن من يخدم نفسه فقط يكافئ نفسه بنفسه، ولا يمكن أن يكون عادلا فى مكافأة نفسه كما لوكافأه غيره، بل انه طالما لم ينل أجرة لتعبه لأنه رغما عن أنه "لا نهاية لكل تعبه" فهو "يحرم نفسه الخير".

أما من يخدم الآخرين **«فله أجرة (أو أجر) صالحة»** فثمار المحبة الطاهرة

++

ولذاتها هى أعظم جزاء لعمل وتعب المحبة (١تس ١ : ٣، عب ٦ : ١٠).

ومن ذلك يستنتج سليمان أن الوحدة شر عظيم على الانسان «**ويل لمن هو وحده**» فهو يعرض نفسه لأخطار داهمة كان ممكنا أن يدفعها عنه أصدقاؤه ورفقاؤه المخلصون، ويدرأوا شرها عنه، ويحرم نفسه من امتياز سام هو انتقادات الأصدقاء له واظهارهم له عيوبه ونقائصه. "فالحديد بالحديد يحدد، والانسان يحدد وجه صاحبه" (ام ٢٧ : ١٧). فأولئك الذين يعيشون لنفسهم فقط والذين لا يفسحون لغيرهم مكانا فى قلوبهم لا يمكن أن نعدهم أنهم يحبون الله.

(٢) وقد أقام البرهان على تلك القاعدة بايراد كثير من الأمثلة التى تتضح فيها فوائد الصداقة والمعاشرات الجيدة.

١ ــ فحاجة الانسان للمعاونة المستمرة تستلزم وجود الصداقة. انه خير لشخصين أن يرافقا بعضهما بعضا فى السفر، لأنه ان تصادف «**ان وقع أحدهما**» ولم يستطع القيام «**يقيمه رفيقه**» فالمثل يقول "الصديق لوقت الضيق"، فى حين أنه ان سافر الواحد وحده وسقط فقد يفقد الحياة لاحتياجه لمن يقيمه. ان سقط انسان فى زلة أصلحه صديقه بروح الوداعة غل ٦ : ١، وان وقع فى ضيق أعانه رفيقه وعزاه وخفف عنه أحزانه.

٢ ــ التدفئة المتبادلة. فكما ينفع الرفيق صديقه فى وقت السفر كذلك ينفعه فى وقت الرقاد. «**ان اضطجع اثنان يكون لهما دفء**». كذلك

++

تشتد حرارة المحبة الطاهرة والغيرة المقدسة، ويحمو وطيسهما بالمعاشرات الصالحة، فالمسيحيون تشتد حرارتهم اشتعالا عندما "يحرضون بعضهم البعض على المحبة والأعمال الحسنة" (عب ١٠ : ٢٤).

٣ ـ القوة المتحدة. ان وجد العدو انسانا وحده كان من السهل عليه أن يغلبه. «**ان غلب أحد على الواحد**» فبقوته الشخصية لا يستطيع أن يعزز جانبه، ولكن ان وجد له رفيق «**يقف مقابله الاثنان**». فقد كان الاتفاق الذى أبرم بين يوآب وأبيشاى أن يساعد كل منهما الآخر على عدوه (٢صم ١٠ :١١)، وبذلك استطاع كل منهما الوقوف أمام عدوه والانتصار عليه، مع أنهما لو كانا منفصلين لأنهزما، كما قيل عن البريطانيين القدماء وقد غزو الرومانيين لهم انهم عندما كانوا ينزلون الى ساحة الوغى متفرقين شيعا وأحزابا كانوا ينهزمون. وكذلك الحال فى شأن حروبنا الروحية فاننا نستطيع أن نعاون بعضنا البعض، فان بركة الشركة مع الله يليها مباشرة بركة الشركة مع القديسين.

وأخيرا يستخلص هذا المثل «**الخيط المثلوث لا ينقطع**» بسهولة كما ينقطع كل من الثلاثة منفصلين، كحزمة العصى التى لا تنكسر بالسهولة التى تنكسر بها كل عصى منفصلة. لاحظ بأن سليمان يشبه الاثنين المتحدين بالخيط المثلوث، ذلك لأنهما ان اتحدا قلبا وقالبا بربط المحبة الطاهرة القوية حل فى وسطهما المسيح بروحه القدوس وصار ثالثا لهما كما

++

حل وسط التلميذين اللذين كانا مسافرين الى عمواس، وحينئذ يصير الخيط مثلوثا ولا ينقطع. فأولئك الذين "يثبتون (أو يسكنون) فى المحبة يثبتون (أو يسكنون) فى الله والله فيهم" (١يو ٤ : ١٦).

---

١٣ ـ ولد فقير وحكيم خير من ملك شيخ جاهل الذى لا يعرف أن يحذر بعد.

١٤ ـ لأنه من السجن خرج الى الملك والمولود ملكا قد يفتقر.

١٥ ـ رأيت كل الأحياء السائرين تحت الشمس مع الولد الثانى الذى يقوم عوضا عنه.

١٦ ـ لا نهاية لكل الشعب لكل الذين كان أمامهم. أيضا المتأخرين لا يفرحون به. فهذا أيضا باطل وقبض الريح.

كان سليمان ملكا ولذلك حق له أكثر من غيره أن يتكلم عن مراكز الملوك وعظمتهم، ويبين أنها غير ثابتة كما وضح هنا. وقد سبق له أن قال فى (ام ٢٧ : ٢٤) "ان التاج ليس بدائم الى دور فدور". وهذا ما وجده ابنه، لأنه ليس أسرع الى الزوال من المراكز الرفيعة ان لم تكن معززة الجانب بالحكمة ومؤيدة بمحبة الشعب.

أولا : فالملك لا يمكن أن يكون سعيدا ان لم يكن حكيما ع ١٣ و ١٤ ان من كان «**حكيما**» حقيقيا وحازم الرأى وتقيا مهما كان «**فقيرا**» فى العالم وصغير السن أو «**ولدا**» ومحتقرا ومزدرى به فهو «**خير**»، أفضل

+++

وأعظم شأنا وأكثر نفعا لنفسه ولجيله **«من ملك شيخ»** وأكثر وقارا واحتراما منه ان كان **«جاهلا»** ولا يعرف كيف يدبر أمور رعيته بنفسه **«ولا يعرف أن يحذر بعد»** أى لا يقبل النصح والارشاد والمشورة أو لا يجسر أحد ممن حوله أن يخالف رأيه أو يبدى له رأيا جديدا. فان ظن الملوك برفضهم النصح والمشورة أنهم يحفظون كرامتهم وشرفهم الرفيع فهذا زعم باطل لأنهم بذلك يعملون على تحقير ذواتهم. ان الجهل والعناد يتمشيان عادة جنبا الى جنب، وأولئك الذين يحتاجون الى التحذير ان رفضوه قاسوا من ورائه أمر الآلام. ولنعلم بأنه لا المراكز الرفيعة ولا تقدم السن تكسب الانسان احتراما أن لم يكن متحليا بالفضيلة والحكمة الحقيقية، فى حين أن الفضيلة والحكمة تنيلان الانسان شرفا عظيما مهما كان فقيرا أو حديث السن.

ولكى يبرهن أن "الولد الحكيم خير من الملك الجاهل" نراه يبين مصير كل منهما ع ١٤.

(١) فالفقير يرقى الى ذروة المجد بحكمته، كما نرى فى يوسف الذى وهو شاب صغير السن **«خرج من السجن»** ليصير ثانيا للملك الأمر الذى قد يشير اليه سليمان هنا. ان العناية الالهية فى بعض الأحيان "تقيم المسكين من التراب وترفع البائس من المزبلة لتجلسه مع الأشراف" (مز ١١٣ : ٧ و ٨). والحكمة لم تمنح الناس الحرية فقط بل رفعتهم أيضا لأرفع المناصب، من الأكواخ الى قصور الملوك.

++

(٢) والملك بغباوته وعناده «**قد يفتقر**». فرغما عن انه «**مولود ملكا**» ونال مركزه بالوراثة، ورغما عما كان يملأ به خزائنه من الأموال التى لا حصر لها، فانه لابد أن يفتقر وتنفذ ثروته، وربما يضطر للتخلى عن عرشه ان سلك طرقا معوجة "ولم يعرف أن يحذر بعد" ظنا منه أنه لن تؤثر عليه أية قوة عالمية.

ثانيا : والملك لن تثبت مملكته ان لم يكن مؤيدا بمحبة شعبه، وهذه يستنتج بكيفية غامضة من العددين الأخيرين.

(١) فالملك يجب أن يكون له خلف أو «**ثان، وهو الولد الذى يقوم عوضا عنه**» واما أن يكون ابنه هو هذا الولد، أو ذلك الولد الفقير الحكيم" الذى تكلم عنه فى ع ١٣. عندما يتقدم الملك فى السن لابد من أن يروا ذلك المنظر المؤلم لنفوسهم، الا وهو رؤيتهم لأولئك الذين سيحلون محلهم.

(٢) من عادة الناس أن يعظموا الشمس وقت شروقها. «**فكل الأحياء السائرين تحت الشمس يكونون مع الولد الثانى**» يخدمون مصالحه ويظهرون له علامات الاخلاص والولاء، ويهتمون به أكثر من اهتمامهم بأبيه الذى ينظرون اليه كظل مائل ويزدرون به لأن أيامه الأولى قد انقضت. ويبدو أن سليمان لم يقل ذلك الا عن اختباره الشخصى لحالة شعبه وميلهم من نحوه، الأمر الذى قد ظهر بعد موته مباشرة من شكواهم من ملكه وطلبهم من ابنه تغيير تلك الخطة التى كان يسير عليها أبوه.

++

(٣) والشعوب لا تطول مدة رضائهم عن أى أمر سيما عن رؤسائهم وحكامهم **«لا نهاية لكل الشعب»** فهم يميلون على الدوام الى التغيير، ولا يعرفون النافع من الضار.

(٤) وليس هذا بالأمر الجديد بل هذا طريق سلكه "**كل الذين كانوا أمامهم**» (أو قبلهم)" لقد حصلت أمثلة من هذا القبيل فى كل العصور، فصموئيل وداود نفسهما لم يستطيعا أن يرضيا الشعب على الدوام.

(٥) وكما حصل فى الماضى كذلك سيحصل فى المستقبل. **«فالمتأخرون أيضا»** ستكون فيهم نفس الروح التى كانت فيمن سبقهم **«ولا يفرحون به»** أى لا يفرحون بمن كانوا ملتفين حولهم فى بادئ الأمر. وهكذا فعل اليهود بمخلصنا فانهم فى يوم هتفوا له قائلين "أوصنا"، وبعد خمسة أيام صرخوا قائلين "اصلبه".

(٦) ومن المؤلم جدا لنفوس الولاة والأمراء أن يروا أنفسهم محتقرين ممن كانوا يسعون لارضائهم ويتكلمون على تعضيدهم ومساعدتهم. فالانسان بطبيعته لا يثبت على حال واحدة. "فهذا باطل وقبض الريح".

++

* الاصحاح الخامس *

فى هذا الاصحاح يبحث سليمان فى أمرين :

الأول : عبادة الله. ويصفها كدواء لكل ما يجده الانسان من البطلان فى الحكمة والعلم والعمل وملذات الحياة وأمجادها ومناصبها الرفيعة. فان أردنا أن لا ننخدع بأباطيل تلك الأمور، وأن لا تتضايق أرواحنا مما نصادفه فيها من مثبطات العزائم، فلنتمم واجبنا من نحو الله، ونحفظ شركتنا معه. وفضلا عن ذلك يحذرنا سليمان بشدة من الأباطيل الكثيرة التى طالما وجدت فى الفرائض الدينية التى تلاشى بهجتها وعظم قيمتها وتضعفها عن مقاومة الأباطيل الأخرى. لأنه ان كانت ديانتنا باطلة فكم يكون البطلان نفسه.

لذلك فلنحذر من البطلان :

(١) فى سماع الكلمة وتقديم الذبائح ع ١.

(٢) فى الصلاة ع٢ و ٣.

(٣) فى الزام أنفسنا بأى نذر ع٤ ــ ٦.

(٤) فى التظاهر بالأحلام الروحية ع٧.

والآن :

(أ) نراه يصف لنا خوف الله كدواء لكل تلك الأباطيل ع٧.

(ب) ويطلب منا توجيه أنظارنا لله وقت حلول المصائب والضيقات بنا كى لا

نركب الشطط فى هذه الظروف الصعبة ع٨.

الثاني : ثروة هذا العالم وما يرافقها من البطلان. صحيح أن ثمار الأرض وخيراتها ضرورية لقوام الحياة ع٩ على أن الفضة والذهب والثروة :

(١) لا تشبع النفس ع ١٠.

(٢) ولا تنفعها ع ١١.

(٣) ومقلقة للراحة ع ١٢.

(٤) وطالما برهنت على أنها ضارة بل مهلكة ع ١٣.

(٥) وزائلة ع ١٤.

(٦) ولابد أن نتركها وراءنا عند الموت ع ١٥ و ١٦.

(٧) وان لم نعرف كيف نستعملها سببت لنا حزنا وألما ع١٧. ولهذا فهو يدعونا الى التعقل فى استعمال ما وهب لنا الله من الخيرات، موجهين أنظارنا الى الله معطى هذه الخيرات، ويبين لنا أن هذه خير وسيلة لتحقيق غاية الله من اعطائنا ما ملكنا وتجنب ما يرافق الثروة من المساوئ والشرور ع ١٨ ــ ٢٠.

فان استطعنا أن نتعلم من هذا الاصحاح كيف نسلك فى أعمالنا الدينيج وأعمالنا العالمية ــ وهما جل ما نقضى فيه حياتنا ــ تعلمنا درسا نافعا ونلنا خيرا جزيلا.

+++

١ ـ احفظ قدمك حين تذهب الى بيت الله، فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال، لأنهم لا يبالون بفعل الشر.

٢ ـ لا تستعجل فمك، ولا يسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله، لأن الله فى السموات وأنت على الأرض. فلذلك لتكن كلماتك قليلة.

٣ ـ لأن الحلم يأتى من كثرة الشغل، وقول الجهل من كثرة الكلام.

ان قصد سليمان من محاولته ابعادنا عن العالم باظهاره لنا بطلانه هو تقريبنا من الله، كى لا نسلك فى طريق العالم، بل فى طريق الحق، ولا نتكل على ثروة العالم بل على البركات الروحية ولذلك :

أولا : فهو يأمرنا هنا أن "نذهب الى بيت الله"، الى مكان العبادة الجمهورية، الى الهيكل الذى بناه هو بنفسه وكلفه النفقات الطائلة. وهو عندما تأمل فى كل أعماله الأخرى (أى أعمال سليمان) (ص٢ : ٤) لم يأسف على هذا التأمل، بل تأمل فيها بسرور، ومع لذلك لم يذكرها لئلا يظن فيه أحد أنه يذكرها بروح الفخر والكبرياء، لكنه لفت اليها أنظار الذين يربدون أن يستزيدوا من معرفة بطلان هذا العالم، ويطلبون تلك السعادة التى لن تنال من المخلوقات. عندما وقع داود فى حيرة شديدة وقصد التخلص منها "دخل مقادس الله" (مز ٧٣ : ١٧). فان صادفنا الفشل وخيبة الأمل من المخلوقات فلنوجه أنظارنا للخالق. لنستشر كلمة الله فى كل أمورنا،

ولنبسطها أمام عرش نعمته. ففى كلمة الله والصلاة شفاء كامل لكل جرح.

ثانيا : ويطلب منا أن نتصرف بحكمة وترو اذا ما ذهبنا الى بيت الله، حتى لا نخسر الغاية التى من أجلها ذهبنا. ليست الفرائض والطقوس الدينية أمورا باطلة ولكننا ان أسأنا استعمالها صارت لنا باطلة. ولذلك :

(١) يجب أن نمارسها بكل عناية وحذر. "احفظ قدمك". وليست هذه معناها أن تجعل رجلك عزيزة فى بيت الله (ام ٢٥ : ١٧) أو تسير اليه ببطء كمن لا يريد الاقتراب من الله، بل أن "تنتبه الى خطواتك، وتمهد سبيل رجلك" (ام ١٤ : ١٥، ٤ : ٢٦) لئلا تخطو خطوة فى غير موضعها. أهب نفسك لعبادة الله بكل ترو وامهال، واصرف وقتا طويلا فى الاستعداد لها، ولا تأتها بعجلة وتسرع لأن ذلك يعد "استعجالا بالرجلين" (ام ١٩ : ٢). احفظ عقلك من أن ينشغل بأفكار العالم، وعواطفك من أن تتسرب بكل أفكاره وحواسه.

ويظن البعض ان هذه تشير الى أمر الله لموسى ويشوع أن يخلعا حذاءهما من رجليهما (خر ٣ : ٥، يش ٥ : ١٥) علامة للخضوع والاحترام. فاحفظ قدمك طاهرة (خر ٣٠ : ١٩).

(٢) وعلينا أن نحترس فى تقديم الذبيحة لئلا تكون **«ذبيحة الجهال»**

++

(أو الأشرار لأنهم هم الجهال، وذبيحتهم مكرهة الرب (أم ١٥ : ٨)، وأن لا نقرب الأعرج والسقيم للذبيحة لأننا ان كنا قد أخبرنا صريحا أن الله لا يقبلها (مل ١ : ١٣، لا ٢٢ : ٢٠ ـ ٢٢) فمن الجهل أن نقربها، أن لا نتكل على ظواهر تلك الطقوس والرسوم، وعلى مجرد ممارستها ظاهريا دون فهم معانيها والتعمق فى روحانيتها، لأنها ان قدمت على هذا الوجه عدت "ذبيحة الجهال". ان أعمال الجسد لا تعد الا هزءا وسخرية ان اتكلنا عليها وحدها كأنها هى الكل فى الكل، والجهال هم الذين يظنون أنهم بها يستطيعون أن يرضوا الله الذى هو روح والذى لا ينظر الا للقلب.

انهم جهال **«لأنهم لا يبالون بفعل الشر»** (أو لا يعرفون بأنهم يفعلون الشر). انهم يظنون أنهم يؤدون لله ولأنفسهم خدمة عظيمة بعبادتهم المملوءة رياء ونفاقا، فى حين أنهم يهينون الله بها ويخدعون أنفسهم. قد يكون الناس يفعلون الشر حتى فى الوقت الذى يدعون فيه انهم يفعلون الخير، وبينما لا يعرفون أنهم يفعلون الشر.

وقد وردت هذه العبارة فى بعض النسخ بصورة ثالثة "لأنهم لا يعرفون الا فعل الشر". فالعقول المظلمة الفاسدة لا تختار الا الشر حتى فى أعمال العبادة.

أو "لا يبالون بفعل الشر" فهم يأتون أعمالهم بكل جرأة ومخاطرة ولا يبالون ان كانوا مصيبين أو مخطئين، أو ان كانت أعمالهم ترضى الله أو

تغضبه، فالكل فى نظرهم على حد سواء.

(٣) ولكى لا نقدم "ذبيحة الجهال" يجب علينا أن نذهب الى بيت الله بقلوب ملؤها معرفة الواجب واتمامه. يجب علينا **«الاستماع»** (أو الاستعداد للسمع) أى :

١ ـ يجب أن نصغى لكلمة الله التى تقرأ ويكرز بها على مسامعنا. كن "مسرعا فى الاستماع" (يع ١ : ١٩) فى استماع تفسير الكهنة للذبائح وشرح معانيها والقصد من تقديمها، ولا تظن أنه يكفيك أن تنظر الى ما يفعلون، لأن الذبيحة المقبولة هى "العبادة العقلية" (رو ١٢ : ١) والا صارت "ذبيحة الجهال".

٢ ـ وأن نعزم على اتمام ارادة الله المعلنة لنا فى كلمته كثيرا ما استعملت لفظة "الاستماع" لتعبر "عن الطاعة" ومن هذه الوجهة "فالاستماع أفضل من الذبيحة" (١صم ١٥ : ٢٢، ١ش ١ : ١٥ و ١٦). ان أول شرط مطلوب فى العبادة هو أن نأتى اليها بذلك القلب الذى يقول "تكلم يارب لأن عبدك سامع". قال أحد القديسين : لتأت الى كلمة الله، وان كان لدى ستمائة رقبة لأخضعتها جميعا تحت نيرها وسلطانها.

(٤) ويجب أن نكون فى غاية الحذر والانتباه كلما اقتربنا من الله، وكلما أردنا مناجاته ع٢ : **«لا تستعجل فمك»** فى الصلاة أو الوعد بالنذر

++

أو فى أى أمر خطير، «**ولا تسرع قلبك الى نطق كلام قدام الله**».

ملاحظات :

١ ـ عند ما نكون فى "بيت الله" وفى أماكن العبادة لنتذكر بنوع خاص باننا موجودون "قدم الله" وفى حضرته لأنه قد وعد شعبه بأن يلتقى بهم هنالك، وهنالك يضع عينه علينا. ولذلك يجب أن تتجه أنظارنا نحوه.

٢ ـ وعندما نقترب من الله فى عبادتنا لابد أن يكون لدينا "كلام ننطق به قدامه" لأنه هو الهنا ونحن شعبه ولنا معه أعمال هامة. فان أتينا أمامه فارغين ـ من أى كلام نقوله ـ خرجنا من أمامه فارغين ـ من أى بركة.

٣ ـ وما ننطق به قدامه ينبغى أن يكون خارجا من قلوبنا ولذلك يجب أن لا نستعجل أفواهنا، وأن لا يسبق لساننا أفكارنا بل يجب أن تكون أقوال فمنا نتيجة أفكار قلبنا (مز ١٩ : ١٤).

فالأفكار هى كلمات تنطق بها قلوبنا لله وان لم تكن كلماتنا صورة طبق الأصل لتلك الأفكار صارت هباءا منثورا. وكلمات الفم مهما كانت منمقة ومزوقة فهى باطلة ان اتكلنا عليها وحدها (مت ١٥ : ٨و ٩).

٤ ـ وفوق كل ذلك لا يكفى أن تكون كلماتنا خارجة من القلب بل من قلب متعقل متروء، لا من قلب متسرع أو من عواطفنا. وكما يجب على الفم أن لا يستعجل كذلك يجب على القلب أن لا يتسرع. يجب

علينا أن لا نفكر فقط قبل التكلم بل أن نفكر مرة واثنتين، سواء تكلمنا عن لسان الله فى الوعظ والكرازة أو لله فى الصلاة، ولا ننطق بكلام غير لائق أو غير مفهوم (١كو ١٤ : ١٥).

(٥) ويجب أن نقلل من كلامنا فى حضرة الله، أى نتروى فى كل ما نقول، ولا نكلم الله بجسارة واهمال كما نكلم بعضنا البعض، ولا ننطق بكل ما يأتى على ألسنتنا، ولا نكرر الكلام كما نفعل مع بعضنا لكى يفهم محدثونا كلامنا ويتذكروه ويكون له تأثير خاص فيهم، كلا! بل لنتذكر ونحن نكلم الله.

١ ـ ان بيننا وبينه فرقا شاسعا : **«فالله فى السموات»** حيث يملك بمجده علينا وعلى كل بنى البشر، وحيث تحف به جماعة من الملائكة الأطهار لا حصر لعددها، وحيث يجلس "متعاليا على كل بركة وتسبيح (نح ٩ : ٥). أما نحن **«فعلى الأرض»** موطئ قدميه. نحن محتقرون وأدنياء ولا وجه للشبه بيننا وبين الله، ولا نستحق عطفه علينا، ومحبته لنا، وشركتنا معه. لذلك فلنمثل أمامه بكل رهبة وخشوع وخضوع، ونكلمه بغاية الاحترام والاجلال كما نفعل مع رؤسائنا الأرضيين العظماء، **«فلذلك لتكن كلماتنا قليلة»** علامة على ذلك الاحترام، ولنحسن اختيار كلماتنا التى ننطق بها أمامه (أى ٩ : ١٤).

وليس هذا معناه القضاء على كل صلاة طويلة. كلا! فلو لم تكن

الصلوات الطويلة نافعة وضرورية لما استعملها الفريسيون للادعاء بالتقوى، ولما قضى المسيح الليل كله في الصلاة، ولما أمرنا بالمواظبة على الصلاة (رو ١٢ : ١٢، كو ٤ : ٢). يل معناه القضاء على الصلوات التي تخرج من قلوب غير واعية أو يقظة، وعلى تكرار الكلام باطلا (مت ٦ : ٧). لنتكلم لله وعن الله بكلماته هو، بكلمات الانجيل، ولتكن كلماتنا نحن التي نقتبسها من لغتنا قليلة بقدر الامكان، لئلا نركب متن الشطط فى النطق بها.

٢ ـ وكثرة الكلام فى عبادتنا تجعلها "ذبيحة الجهال" ع٣. وكما أن الاحلام المضطربة والمزعجة التي تقلق راحة الانسان فى نومه تكون عادة علامة على كثيرة ارتباك عقله بمشاغل كثيرة، كذلك تكون كلماتنا الكثيرة التي نتعجل فى النطق بها فى الصلاة علامة على كثرة الغباوة التي تتملك على القلب، وعلى جهلنا بمقام الله ومركزنا نحن الوضيع، وعلى عدم احترامنا لله الاحترام اللائق، وقلة اكتراثنا بأنفسنا.

وحتى فى الحديث العادى يعرف الجاهل "من كثرة الكلام"، فالذين يعرفون قليلا هم الذين يتكلمون كثيرا سيما فى العبادة. فلا شك فى أن "غبى الشفتين يصرع" (ام ١٠ : ٨ و ١٠) فما أكثر غباوة الذين يظنون انهم "بكثرة كلامهم يستجاب لهم" (مت ٦ :٧).

٤ ـ اذا نذرت نذرا لله فلا تتأخر عن الوفاء به. لأنه لا يسر بالجهال. فأوف بما نذرته.

٥ ـ أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى.

٦ ـ لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ. ولا تقل قدام الملاك انه سهو. لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك.

٧ ـ لأن ذلك من كثرة الاحلام والأباطيل وكثرة الكلام. ولكن اخش الله.

٨ ـ ان رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد فلا ترتع من الأمر. لأن فوق العالى عاليا يلاحظ والأعلى فوقهما.

يقدم لنا سليمان فى هذه الأعداد أربع نصائح :

الأولى ـ الأمانة فى ايفاء النذر :

(١) النذر رباط للنفس (عد ٣٠ : ٢). فبه لا ترتبط نفوسنا بوجه عام لاتمام الواجب عليها فقط بل ترتبط أيضا بوجه خاص ببعض رباطات لم نكن مرتبطين بها من قبل، سواء أكانت لغرض تمجيد الله أو لنشر ملكوته بين البشر. فان جزت فى ضيقة (مز ٦٦ : ١٤) أو كنت ترجو رحمة أو بركة (١صم ١ : ١١) «**ونذرت نذرا الله**» كهذا فاعرف انك قد "فتحت فمك الى الرب ولا يمكنك الرجوع" (قض ١١ : ٣٥). ولذلك :

١ ـ فاوفه، وتمم وعدك، وأت لله ما قد كرسته له «**اوف بما نذرته**»،

أوفه بالكامل ولا "تختلس جزءا من الثمن" اع ٥ : ٢، أوفه بعينه، "ولا تغيره أو تبدله" بشئ آخر كما يأمر الناموس (لا ٢٧ : ١٠). هل أنذرنا بأن "نعطى أنفسنا للرب؟" (٢كو ٨ :٥) فلنوف نذرنا ولنقم بخدمة الله ولنعمل على تمجيد اسمه.

٢ ـ "لا تتأخر عن الوفاء به" فان كان فى استطاعتك ايفاءه اليوم لا تؤجله الى الغد. لا تتأخر عن الوفاء به ولو يوما واحدا، ولا تؤجله لظرف أنسب. ان الشعور بالضرورة والالزام يفتر ويبرد بسبب التأخير، بل يكون عرضة لأن يتلاشى، لأننا بالتأخير نوجد لأنفسنا طريقة للتخلص من النذر، فالمثل اللاتينى يقول من لم يوجد فى نفسه الميل اليوم ستكون حالته أسوأ فى الغد. وكلما زادت مدة التأجيل زادت الصعوبة على النفس لاتمام ما قد تأجل. فالموت لا يمنعنا من الوفاء بما تعهدنا ما به بل يقدمنا لدينونه الله لأننا نكثنا بوعد قطعناه على أنفسنا (مز ٧٦ : ١١).

(٢) بعد ذلك يقدم لنا سببين لضرورة سرعة ايفاء النذر بابتهاج وفرح :

١ ـ لأننا ان فعلنا غير ذلك أسأنا الى الله، اذ لا نعتبر الا كمازحين عليه، ولا نحسب الا جهالا وهو **«لا يسر بالجهال»** ع٤. وهذا ما نفهمه ضمنا من هذه العبارة، لأنها لا تقول صريحا بأن فى جهلنا اساءة أو اهانة أو اهانة لله، بل ان مضمونها ان الله يكره تصرفاتهم الغبية كراهة شديدة. "لا تضلوا. الله لا يشمخ عليه" (غل ٦ : ٧) بل هو سينتقم انتقاما مريعا ممن يشمخون عليه ويسخرون به.

٢ ـ ولأننا ان فعلنا غير ذلك أسألنا الى أنفسنا، فاننا لا نخسر فائدة النذر فقط بل نجلب على أنفسنا قصاصا بسبب عدم ايفائه. ولذلك فخير لنا جدا **«ان لا ننذر»** وأسلم عاقبه **«من أن ننذر ولا نفى»**. فعدم النذر ان عد خطية فما هى الا خطية اهمال، أما عدم ايفاء النذر فهو خيانة وحنث وكذب على الله (اع ٥ : ٤).

الثانية : شدة التدقيق فى انذار النذر. وهذا أمر لازم لنا جدا ان اردنا أن نكون أمناء فى ايفاء النذر ع٦.

(١) فلنحذر لئلا ننذر نذرا تنجم عنه الخطية، اما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ونذر كهذا قد أسئ التصرف من نحوه ينبغى أن لا يتمم. **«لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ»** بنذر من هذا القبيل كوعد هيرودس الذى وعده بعجلة وتسرع فاضطره لقطع رأس يوحنا المعمدان.

(٢) ولنحذر لئلا ننذر ما نظن اننا لن نستطيع ايفاءه بسبب ضعف الجسد، كمن ينذرون أنفسهم لعيشة العزوبة (عدم التزوج) ولا يستطيعون ايفاء نذرهم، وهم بذلك :

١ ـ يخجلون أنفسهم، اذ أنهم يضطرون الى **«القول قدام الملاك انه سهو»** أى انهم لم يقصدوا ما قالوه، أو لم يكونوا يعرفون عواقبه. على أنهم مهما حاولوا لاعتذار فعذرهم أقبح من الذنب أن أنذرت نذرا فلا تحاول التنحى عنه، ولا تلتجئ الى الاعتذارات التى تخلصك من رباطاته، "لا تقل

قدام الكاهن" (الذى يدعى ملاك الله (رؤ ٢ : ١) ورسول رب الجنود (ملا ٢ : ٧) انك قد راجعت فكرك، فغيرت رأيك، وعدلت عن ايفاء نذرك. بل تمسك به، ولا تحاول التخلص منه.

يظن البعض أن المقصود بالملاك هنا هو الملاك الحارس الذى يقولون عنه انه يلازم كل شخص ليراقب كل حركاته. والآخرون يظنون انه المسيح "ملاك العهد" الحال وسط شعبه فى اجتماعاتهم، والفاحص أعماق القلوب. لا يمكن أن يخدع. "فاحترز منه، ولا تتمرد عليه، لأن اسم الله فيه" ولأنه قاس وغيور (خر ٢٣ : ٢٠ و ٢١).

٢ ـ ويعرضون أنفسهم لغضب الله، فانه «**يغضب على قول**» فمن "يخادعونه بأفواههم، ويكذبون عليه بألسنتهم" (مز ٧٨ : ٣٦) ويهيج سخطه على ريائهم «**فيفسد عمل أيديهم**» أى يجعل كل مساعيهم أدراج الرياح، ويلاشى كل مقاصدهم وآمالهم التى كانوا يؤملون أنفسهم بها عند قطع نذورهم. فان كنا نمحو كلام أفواهنا، ونحنث فى وعودنا، فقصاص الله العادل هو أن يلاشى كل مقاصدنا "فكل من يسلكون معه بالخلاف يسلك هو أيضا معهم بالخلاف" (لا ٢٦ : ٢١ و ٢٤). "هو شرك للانسان أن يلغو، وبعد النذر أن يسأل" (ام ٢٠ : ٢٥).

الثالثة : التمسك بخوف الله ع٧. كان يدعى الكثيرون منذ القديم أنهم يعرفون فكر الرب "بأحلام"، حتى انهم كانوا فى غالب الأحيان

يجعلون شعب الله ينسون اسمه بأحلامهم (ار ٢٣ :٢٥ و ٢٦). وفى هذه الأيام يربك الكثيرون أنفسهم بأحلامهم المخيفة، أو غير المألوفة، أو بأحلام الآخرين، كأنهم ينبئون بتلك الأحلام بما سيحل من المصائب والضيقات فى المستقبل.

ان الذين يهتمون بالأحلام يملأون عقولهم بها، ويرون كثيرا منها، على أنهم لا يجدون فى «**كثرة الأحلام**» سوى «**كثرة الأباطيل**» كما ان محبى «**كثرة اكلام**» لا يجدون فيها سوى كثرة الأباطيل أيضا. ان الأحلام ليس مثلها سوى مثل أحاديث الأطفال والجهال التى لا ترجى فائدة منها.

ولذلك فلا تقم لها أقل وزن، بل تناساها، وبدلا من أن ترددها أهملها، ولا تعلق عليها أهمية، ولا تستخلص منها أى استنتاج، «**ولكن أخش الله**» ضعه نصب عينيك، وابق فى محبته، واحذر لئلا تغضبه وحينئذ تكون فى مأمن من تلك الأحلام السخيفة. ان الطريقة الوحيدة لعدم الارتعاب من آيات السموات، وعدم الخوف من الهة الوثنيين هى خوف الله ملك كل الشعوب (ار ١٠ : ٢ و٥ و ٧).

الرابعة : عدم الخوف من البشر٨. ضع الله نصب عينيك وبعدئذ «**ان رأيت ظلم الفقير فلا ترتع من الأمر**» أو تندهش له، ولا تنسب ذلك للعناية الالهية جلت وعلت، ولا تشئ الظن فى نظام اقامة الحكام عندما ترى أن الغاية التى لأجلها وضع هذا النظام قد فسدت هكذا، ولا تسئ

++

الظن فى التقوى عندما ترى أنها ليست بكافية لاخلاء المتمسكين بها من مظالم هذه الحياة. لاحظ هنا :

(١) منظرا محزنا على الأرض. وهذا المنظر لا شك يضايق روح كل شخص صالح يحب الحق ويهتم بالبشرية. فكيف لا يكتئب وتتضايق روحه الطاهرة الشريفة عندما يرى "ظلم الفقير" لا لذنب جناه سوى انه فقير ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، وعندما يشاهد «**نزع الحق والعدل فى البلاد**»، عندما يلاحظ الظلم يجرى تحت ستار القانون ومدعما بالقوة والسلطان. قد يكون فى البلاد حكومة صالحة بوجه عام، ولكن قد يحدث ان توكل ادارة بعض "البلاد" فى تلك المملكة الى أيد فاسدة فتعمد الى "نزع الحق". فحرى بالملوك العقلاء أن لا يقيموا فى المناصب الرفيعة سوى أحكم الرجال وأشرفهم.

(٢) منظرا معزيا فى السماء. ان رأينا كل هذه الظلمات تغطى وجه الأرض فاننا نستطيع أن نعزى أنفسنا بالتأمل فى الأمور الآتية :

١ ـ ان الظالمين ولو كانوا متعالين الا أن الله فوقهم «**لأن فوق العالى عاليا**» و "فى الشئ الذى يبغون به يكون عليهم" (خر ١٨ : ١١). ان الله متعال فوق أعلى الخلائق، وأعلى الرؤساء والملوك، وفوق الملك الذى هو أعلى من أجاج (عد ٢٤ : ٧)، وفوق أعلى الملائكة، فوق عروش وسيادات السماء. الله هو "وحده العلى على كل الأرض" (مز ٨٣ : ١٨) "ومجده فوق السموات" (مز ١١٣ : ٤)، والملوك أمامه كالدود الحقير.

++

٢ ـ ان عين الله على الظالمين ولو كانوا أمنين، تراقبهم وتلاحظ تغييرهم ونزعهم للحق. لا يرى أفعالهم فقط بل يلاحظها ويسجلها عليهم حتى يناقشهم فيها الحساب، "فعيناه على طرقهم" (أى ٢٤ : ٢٣).

٣ ـ ان هنالك عالم ملائكة، لأن هنالك «**أعلى فوقهما**». هذه الملائكة يستخدمها العدل الالهى لحماية المظلومين وقصاص الظالمين. كان سنحاريب يفخر بجيشه القوى، ولكن ملاكا واحدا انتصر عليه وعلى كل جيشه.

يظن البعض أن المقصود "بالأعلى فوقهما" مجلس الأمة الأعظم الذى اليه تؤدى الرؤساء الحساب (دا ٦ : ٢)، أو مجلس الأعيان الذى ينظر فى ما يجريه الولاة من المظالم والمساوئ، أو المحاكم العليا التى اليها تستأنف القضايا التى لم تفصل فيها المحاكم الأدنى بالعدل. كل هذه لازمة لحسن ادارة المملكة.

فليرتدع من ذلك الظالمون، عالمين أنهم ان نجوا من رؤسائهم الأرضيين فلن يفلتوا من يد الله الأعلى فى السموات.

٩ ـ ومنفعة الأرض للكل. الملك مخدوم من الحقل.

١٠ ـ من يحب الفضة لا يشبع من الفضة، ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل. هذا أيضا باطل.

++

١١ ـ اذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها، وأى منفعة لصاحبها الا رؤيتها بعينيه.

١٢ ـ نوم المشتغل حلو ان أكل قليلا أو كثيرا، ووفر الغنى لا يريحه حتى ينام.

١٣ ـ يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس. ثروة مصونة لصاحبها لضرره.

١٤ ـ فهلكت تلك الثروة بأمر سيئ، ثم ولد ابنا وما بيده شئ.

١٥ ـ كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء، ولا يأخذ شيئا من تعبه فيذهب به في يده.

١٦ ـ وهذا أيضا مصيبة رديئة. فى كل شئ. كما جاء هكذا يذهب، فأية منفعة له للذى تعب الريح.

١٧ـ أيضا يأكل كل أيامه فى الظلام ويغتم كثيرا مع حزن وغيظ.

أظهر سليمان فيما مر بنا بطلان الملذات، والمسرات العالمية، والأعمال والفنون الجميلة، والكرامة والسلطان، وأمجاد الملوك وقد يوافقه الكثيرون من محبى العالم على احتقار تلك الأمور ولكنهم يتخيلون ان المال شئ رئيسى ولازم، وان سعادة الانسان تتوقف على مقدار ما يحصل عليه منه. أما

+++

سليمان فنراه فى هذه الأعداد يحاول اصلاح هذا الزعم الفاسد، فيبين أن فى كثرة الغنى كثرة البطلان، وان ما يتخلل شهوة العيون من البطلان هو نفس ما يتخلل شهوة الجسد وتعظم المعيشة، وان الانسان لن يستطيع اسعاد نفسه بكنز الثروة كما يسعدها بانفاقها.

أولا : انه يسلم أن محصولات الأرض أشياء نافعة لانها هى قوام الحياة البشرية ع٩ : «**ومنفعة الأرض للكل**». ان جسم الانسان مأخوذ من الأرض، لذلك فقوامه من الأرض (أى ٢٨ : ٥) وانه من احسان الله على الانسان انه لم يجعل مسكنه فى الرمضاء (أو الأرض القاحلة) وقوامه منها بسبب تمرده (مز ٦٨ : ٦).

توجد منفعة فى الأرض، وهذه للكل. فالكل يحتاجون اليها، وهى قد قصد بها أن يستفيد منها الكل، وهى كافية للكل. انها ليست لكل البشر فقط بل لكل المخلوقات الأرضية. فالأرض التى تنبت عشبا للبهائم هى نفسها التى تنبت خضرة لخدمة الانسان (مز ١٠٤ : ١٤). كان الاسرائيليون يحصلون على طعامهم من السماء وهو خبز الملائكة (خر ١٦ : ٤، مز ٧٨ : ٢٤ و ٢٥). أما نحن ففى الأرض قوامنا، ومعنا تشترك البهائم فى هذا الشئ الواحد. فليكن ذلك مذلا لنا ومخضعا لكبرياء نفوسنا.

ان «**الملك نفسه مخدوم من الحقل**» وبدون محصوله يهلك الملك

+++

جوعا. وهذا مما يشرف عمل الفلاحين والمزارعين، فعملهم من ألزم لقوام حياة الانسان. فالجميع يشتركون فى فائدته والعظماء لا يستطيعون الاستغناء عنه، ولذلك فهو "للكل"، هو للملك نفسه. فليتذكر من توفرت لديهم ثمار الأرض انها "للكل"، ولذلك فليوقنوا انهم ليسوا الا وكلاء عليها، وان الواجب يقتضى عليهم بأن يوزعوا منها على المحتاجين. ان الأطعمة الفاخرة والثياب الناعمة لا تعطى الا للبعض فقط، أما ثمار الأرض فللكل. وحتى أولئك الذين "يرتضعون من فيض البحار" (تث ٣٣ :١٩) لايستطيعون والاستغناء عن ثمار الأرض، فى حين ان الذين ينالون قسطا وافرا من ثمار الأرض يمكنهم الاستغناء عن فيض البحار.

ثانيا : وهو لا يزال يصرح بأن الثروة التى يقتنيها الانسان ليكنزها دون أن ينتفع منها «**باطل أيضا**» ولا تستطيع اراحة الانسان أو اسعاده. وما قاله مخلصنا بأن حياة الانسان ليست من أمواله (لو ١٢ : ١٥) يثبته هنا سليمان بعدة براهين :

(١) فكلما كثرت ثروة الانسان اشتدت رغبته فى الحصول على المزيد ع١٠. فقد يحصل الانسان على فضة قليلة ويقنع بها ولا يطمع فى أكثر منها. "ان التقوى مع القناعة تجارة عظيمة". أو ربح عظيم (١تى ٦ : ٦). قال يعقوب "لى كل شئ" (تك ٣٣ :١١) وقال القديس بولس "قد استوفيت كل شئ واستفضلت" (فى ٤ :١٨) ولكن :

+++

١ ـ "من يحب الفضة" ويفرغ لها قلبه لا يشعر أبدا انه قد حصل على كفايته منها، بل "يوسع نفسه كالهاوية" (حب ٢ :٥). "ويصل بيتا ببيت ويقرن حقلا بحقل" (اش ٥ :٨) ويصرخ على الدوام كالعلوقة(١) قائلا "هات هات" (أم ٣٠ : ١٥) ان الرغبات الطبيعية تشبع وتكتفى متى حصلت على غرضها، أما الرغبات الفاسدة فلن يمكن اشباعها. والطبيعة تكتفى بالقليل، والنعمة تكتفى بأقل، أما الشهوة فلا تكتفى بشئ.

٢ ـ ومن توفرت لديه الفضة وكثرت لا يجد لنفسه فيها راحة. توجد بعض شهوات جسدية لا تستطيع الفضة اتمامها، فان شعر الانسان بالجوع مثلا لا تستطيع الفضة ذاتها (أى مادتها) اشباعه فهى لا تفضل فى هذا الوقت عن كتلة من الطين أو كمية من تراب الأرض. كذلك لن تستطيع الثروة أو مقتنيات العالم أشباع الرغبات الروحية. ومن توفرت لديه الفضة طمع فى المزيد، لا من الفضة فقط بل من أنواع أخرى من الثروة. فمن يجعلون أنفسهم عبيدا للعالم يصرفون كل مجهوداتهم "وتعبهم لغير شبع" (اش ٥٥ : ٢) للحصول على ما يملأ البطن ولكنه لن يملأ النفس (حز ٧ : ١٩).

(٢) وكلما كثرت ثروة الانسان اتسعت أمامه فرص استعمالها، وكثرت

---

(١) أى الدودة أو العلقة التى تكثر فى المستنقعات وتتعلق بالحيوانات التى تشرب من تلك المستنقعات وتمتص من دمائها وتتعلق بها بشدة.

لديه الأعمال التى ينفذها بها، فبمقدار عظمة طولها بمقدار عرضها أيضا. **«اذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها»** ع١١ . فان نمت الثروة نما عدد أفراد العائلة فى نفس الوقت، وكبر أولادها سنا، فعظمت حاجياتهم. وان كثرت خيرات الانسان تطلب منزلا أفخم ليسكنه، وخدما أكثر عددا ليستخدمهم، وكثر زائروه والفقراء الذين يطلبون منه الاحسان، وكثر الذين يعولهم "لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور" (مت ٢٤ : ٢٨).

(٣) وكلما كثرت ثروة الانسان كثر اهتمامه بها، الأمر الذى يوقعه فى ارتباك شديد، ويقلق راحته ع١٢ . ان النوم الهادئ المستريح لا يقل أهمية عن الطعام من جهة قوام الحياة وراحتها.

والآن نرى :

١ ـ ان الذين يشتغلون بكد وجد يحصلون على غرضهم من عملهم هم الذين ينامون ذلك النوم الهادئ المستريح. **«نوم المشتغل حلو»**، ليس فقط لأنه قد أجهد نفسه وأتعبها فى الشغل، الأمر الذى يجعله يستقبل النوم بفارغ الصبر، ويجعله يستغرق فى نومه، لأنه لا يجد ما يشغل باله ويقلق راحته فى نومه. ان نومه حلو، ولو انه **«لا يأكل الا قليلا»** ولا يملك سوى القليل ليأكله، لأن النوم يغلب عليه بسبب التعب. ومن الوجهة الأخرى لو **«أكل كثيرا»** يكون نومه حلوا لأن عمله يساعد على حسن الهضم. كذلك نستطيع القول من الوجهة الروحية ان نوم المسيحى المجتهد فى شغله

++

الروحى حلو، أى نومه الطويل بعد مفارقته الحياة، لأنه بعد أن يقضى حياته وكل وقته فى خدمة الله يستطيع أن يعود لله بكل فرح وسرور ويستريح فيه كموضع راحته.

٢ ـ والذين يحصلون على كل مقتنيات الحياة فلما يتمتعون بنوم هادئ مريح «**ووفر الغنى يريحه حتى ينام**». فاما أن عيونهم تظل مستيقظة أو يكون نومهم متقطعا فلا يشعرون بشئ من الراحة فيه. وان وفرهم هو الذى يزعجهم فى نومهم، أى وفرة اهتمامهم مثل ذلك الغنى الذى لما أخصبت كورته بدأ يفكر فيما يعمله (لو ١٢ : ١٧)، ووفرة ما يأكلون ويشربون الذى يحمل المعدة فوق طاقتها، فيسبب لهم الأمراض التى تمنع عنهم الراحة. فاحشويرش لم يستطع النوم بعد تلك الوليمة التى أولمها.

وربما يكون العامل الأكبر فى عدم تمتع هذا الصنف من الناس بالراحة فى نومهم هو شعورهم بالخطية فى طريقة الحصول على ما امتلكوا، وطريقة انفاقه. على أن الله "يعطى حبيبه نوما" (مز ١٢٧ : ٢).

(٤) وكلما كثرت ثروة الانسان كثر تعرضه للخطر، سواء فى الاساءة به للآخرين، أو فى وقوع الاساءة عليه هو نفسه ع ١٣ : «**يوجد شر خبيث**» رآه سليمان بنفسه «**تحت الشمس**» فى هذا العالم الذى ليس هو الا بمثابة مسرح للخطية والبلايا ـ ذلك الشر هو «**ثروة مصونة لصاحبها**» عمل كل ما فى استطاعته لحفظها وصيانتها. ولكنها كانت «**لضرره**» فهو بدونها أوفر حظا.

++

١ ـ فثروته تكون "لضرره" لأنها تصيره متكبرا وبليدا ومحبا للعالم، وتبعد قلبه عن الله، وتقف حائلا بينه وبين اتمام واجبه، وتجعل دخوله ملكوت السماوات أعسر من مرور الجمل من ثقب ابرة.

٢ ـ وتكون سببا فى ضرر الآخرين. فهى لا تكفى بأن تجعله مترفها ومحبا لاتمام كل شهواته، بل تفتح فى وجهه السبيل لظلم الآخرين ومعاملتهم بالقسوة.

٣ ـ وهو طالما وطد دعائم الضرر بثروته. فلو لم يكن غنيا لما حسده الناس، ولما فكر الصوص فى سرقته والاساءة اليه. والثور المعلوف الثمين هو الذى يؤخذ أولا للذبح. وقد لاحظ أحد الباحثين المدققين بأنه ان صدر عفو عام فى بلد، سواء من الوجهة المالية أو من جهة الحياة نفسها قد يستثنى من ذلك العفو الأغنياء لمجرد غناهم وثروتهم الطائلة.

فمن كل ذلك نرى أن الثروة "تأخذ نفس مقتنيها" (ام ١ : ١٩).

(٥) وكلما كثرت ثروة الانسان كثرت خسارته وربما خسرها كلها ع١٤. «**فتلك الثروة**» التى لم يحصل عليها الا بمجهود عظيم، ولم يحتفظ بها الا بعناية فائقة، «**تهلك بأمر سيئ**» (أو بعمل سيئ) بنفس تلك المجهودات والعناية التى تكبدها للاحتفاظ بها وتنميتها. الثروة أشياء هالكة، ومهما عظم اهتمامنا بها فلن يخيلها من هذه الصفة، لأنها "تصنع لنفسها أجنحة فتطير" (ام ٢٣ : ٥).

++

ومن يظن فى نفسه انه يجب ان يجعل ابنه فى أرفع الدرجات واسماها قد لا يتركه الا أفقر الناس. «**ثم ولد ابنا**» ورباه على ذلك الأمل بأن يترك له ثروته الطائلة، ولكنه عندما يموت يترك تلك الثروة مثقلة بالديون ولذلك فلا يبقى فى «**يده شئ**».

وهذا هو ما يحصل فى أغلب الأحيان، فالثروة التى تظهر بمظهر عظيم طالما خدعت وارثها وخيبت آماله بعد موت صاحبها.

(٦) ومهما كثرت ثروة الانسان فلابد من أن يتركها كلها بعد موته ع١٥ و ١٦ : «**كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء**» وغاية ما فى الأمر أن أصدقاءه يسترونه بأكفان الموت عند خروجه من هذا العالم رحمة به كما ستروه بالأقمطة واللفاف عند ولادته اشفاقا عليه. (أنظر أى ١ : ٢١، مز ٤٩ : ١٧). وهذا ما ذكره سليمان هنا ليكون باعثا..

باعثا لنا على الاكتفاء بما لدينا من حاجيات هذا العالم (١تى ٦ : ٧).

ان كان من جهة الجسد فلابد أن نعود كما أتينا، فالتراب يعود إلى الأرض كما كان. أما من جهة الروح فياله من أمر محزن لو كانت أتت، لأننا فى الخطية قد ولدنا. فلو متنا فى الخطية غير مبررين وغير مقدسين

كان خيرا لنا لو لم نولد. ويبدو ان هذه هى حالة محب العالم الذى يتكلم عنه هنا، لأنه قيل عنه انه «**فى كل شئ كما جاء هكذا يذهب**» خاطئا وشيقا.

«**وهذه أيضا مصيبة رديئة**» هذه مصيبة لمن قد أفرغ قلبه لمحبة العالم فهو «**لا يأخذ شيئا من تعبه فيذهب به فى يده**». وثروته لا تذهب معه الى العالم الآتى، ولا تنفعه بشئ هناك. اننا ان تعبنا فى الأمور الروحية فان ما نحصل عليه من النعمة والسعادة من هذا التعب نستيطع أن نحمله معنا فى قلوبنا الى الأبدية، وهناك نتمتع به، لأن هذا هو الطعام الباقى. أما ان تعبنا للعالم فقط، وملأنا أيدينا من مقتنياته، فلا نستطيع أن نحملها معنا، فنحن نولد قابضين الأيدى ونموت باسطينها كأننا قد خلينا ما كنا نمسكه.

وعلى ذلك فيحق لسليمان أن يطرح هذا السؤال «**أية منفعة له للذى تعب للريح**».

ملاحظة : ان من يتعبون للعالم يتعبدون للريح، لأن كل ما فى العالم باطل كالريح ولا حقيقة له، ومتقلب ومتنقل من مكان لآخر، ولا يشبع النفس (هو ١٢ : ١). عندما تأتى ساعة الانسان الأخيرة، ويجد أن كل أتعابة قد ذهبت أدراج الرياح، ولا يعرف الى أين ذهبت، فحينئذ يتحقق بأنه قد "تعب للريح".

+++

(٧) والذى يزيد غنى لا يعذب فى موته فقط بل فى حياته أيضا ان وضع قلبه على غناه ع١٧ . فذلك الشخص الجشع. المحب للعالم، الذى يحصر كل مجهوده فى اقتناء الثروة «**يأكل كل أيامه فى الظلام ويغتنم كثيرا كثيرا مع حزن وغيظ**» فهو لا يفقد لذة التمتع بثروته فقط لأنه لا يأكل الا خبز الأتعاب (أو الأحزان) (مز ١٢٧ : ٢) بل هو أيضا يستشيط "غيظا" كلما رأى الآخرين يأكلون منها. وهو "يغتنم كثيرا" لكثرة النفقات التى ينفقها وكأنه يود لو استطاع أن يعيش هو ومن يلذون به بدون طعام.

وان العبارة الأخيرة لتبين لنا كيف أن ذلك الشخص العالمى الجشع لا يستطيع احتمال مصائب الحياة العادية والتى لا مفر منها. فهو ان كان فى صحة جيدة "يأكل فى الظلام" لشدة غباوته الناشئة من هواجسه واهتماماته الكثيرة بثروته، وأما ان مرض فهو «**يغتنم كثيرا مع حزن وغيظ**» (أو يغتم كثيرا مع حزن فى المرض" انه يغتنم لأنه مرضه قد منعه عن عمله وصار حائلا بينه وبين الحصول على مقتنيات العالم، يغتم لأن كل ثروته لا تستطيع اراحته أو نجدته، والأعظم من ذلك انه ينزعج لدى تأمله فى الموت الذى قد أنذرته به أمراضه لأنه سيترك وراءه هذا العالم بكل ما فيه الذى حصر فيه كل محبته ولأنه سينتقل الى عالم آخر لم يستعد له. انه لا يحزن حزنا بحسب مشيئة الله، ولا يحزن حزنا للتوبة (٢كو ٧ : ١٠) بل "يغتنم كثيرا مع حزن وغيظ" يغتاظ من أعمال العناية الالهية، ومن مرضه، ومن

++

كل ما حوله، الأمر الذى يضاعف هول مصائبه. أما الرجل الصالح فيهون تأثير هذه المصائب على نفسه بالصبر والفرح اللذين يلاقيها بهما.

١٨ ـ هوذا الذى رأيته أنا اخيرا الذى هو حسن. أن يأكل الانسان ويشرب ويرى خيرا من كل تعبه الذى يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التى أعطاه الله اياها لأنه نصيبه.

١٩ ـ أيضا كل انسان أعطاه الله غنى ومالا وسلطة عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله.

٢٠ ـ لأنه لا يذكر أيام حياته كثيرا لأن الله ملهيه بفرح قلبه.

بعد أن بين سليمان بطلان كنز الثروة نراه يستنتج من ذلك هنا أن أفضل طريق نسلكه هو أن نحسن استعمال ما تصل اليه أيدينا من ثروة، أن نخدم بها الله ونفعل بها الخير، وننتفع بها نحن وعائلاتنا. وقد سبق له أن وضح ذلك فى (ص٢ : ٢٤، ٣ : ٢٢). لاحظ هنا :

(١) هنا يسدى الينا سليمان نصيحة بأن لا نتمم شهوات الجسد، ولا نرضى بالملذات الحاضرة نصيبا لنا، بل لنستعمل بكل تعقل واعتدال ما خصتنا به العناية الالهية لعبور برية هذا العالم بكل راحة وأمان. يجب أن لا نهلك أنفسنا جوعا بسبب الطمع، أو بسبب شدة اهتمامنا بالأمور العالمية، بل «**لنأكل ونشرب**» ما يحفظ أجسادنا فى حالة جيدة تعين النفس على

خدمة الله. يجب أن لا نقتل أنفسنا من كثرة التعب، وبعدئذ نترك الاخرين **«يرون خيراً من كل تعبنا»**، بل لنتمتع بما قد تعبت فيه أيدينا، لا برهة وجيزة أو من حين لآخر، بل **«مدة أيام حياتنا التى أعطانا الله اياها»**. الحياة هبة من الله، وهو قد عين لنا عدد أيام حياتنا (أى ١٤ : ٥)، لذلك فلنقض هذه الأيام فى عبادة وخدمة الرب الهنا بفرح وبطيبة قلب (تث ٢٨ : ٤٧). يجب أن لا نؤدى عملنا كعبيد لذلك العمل بل **«لنفرح تعبنا»**، وأن نحاول السعى وراء أعمال أخرى فوق طاقتنا، بل لنفرح بما قد دعانا الله اليه، ولنؤده بكل بهجة وسرور. وهذا هو معنى أن "يفرح الانسان بتعبه كما كان "يفرح زبولون بخروجه ويساكر بخيامه" (تث ٣٣ : ١٨).

(٢) وماذا كان الباعث على هذه النصيحة :

١ ـ انـه **«خير .. وحسن»** للمرء أن يفعل كذلك. فالذين يحسنون استعمال ما أعطاهم الله يمجدون المعطى بعملهم هذا، ويحققون غاية الاعطاء، ويظهرون أنفسهم مظهر العقلاء والأسخياء، ويفعلون الخير فى العالم، ويستخدمون ما لديهم فى أحسن الوجوه، وفى كل ذلك يجدون عزاء حقيقيا وينالون نعمة فى أعين الناس والله.

٢ ـ وهذا هو كل ما نستطيع أن نجده من الخير فى كل الأمور العالمية. فهذا هو **«نصيبنا»** وان فعلنا ذلك **«نأخذ نصيبنا»** وننال من الشر خيرا. هذا هو نصيبنا من ممتلكاتنا العالمية. يجب أن يكون لله نصيب منها، والفقراء

يجب أن يأخذوا نصيبهم، وعائلاتنا نصيبها، أما هذا فهو نصيبنا، هو كل ما نستطيع أن نناله منها.

٣ ـ اننا ان أعطينا قلبا يفعل ذلك فليس هو الا عطية من الله يتوج بها كل عطاياه، وخيراته. «**فالانسان ان أعطاه الله غنى ومالا**» يكمل له الصنيع والمعروف، ويجعل ذلك الغنى والمال بركة حقيقية له اذ «**يسلطه عليه حتى يأكل منه**» أى يمنحه الحكمة والنعمة لينتفع هو منه ويفيد به الآخرين. وان كان "هذا هو عطية الله"، وهبته "فلنجد للمواهب الحسنى" التى تمنحنا السعادة فى هذه الحياة.

٤ ـ وهذا هو الطريق الوحيد للراحة فى هذه الحياة ولترويج عناء الحياة ومتاعبها الكثيرة عن النفس ع٢٠. «**لا يذكر أيام حياته كثيرا**» أيام أحزانه وضيقاته، أيام عمله وأيام بكائه. وهو اما أن ينساها أو يتناساها. فان مرت به الضيقات لا يثقل بها نفسه، ولا يبقى مرارتها فى قلبه، «**لأن الله ملهيه بفرح قلبه**»، يعوض له عن ضيقات أعماله بأفراحها، ويكافئه عنها بأن يعطيه أن يأكل من تعب يديه. فحقا ان الروح المبتهجة والفرحة بركة عظمى لأنها تجعل نير أعمالنا هينا وحمل مصائبنا خفيفا.

❊ الاصحاح السادس ❊

فى هذا الاصحاح نرى :

أولا : ان الجامعة يستمر فى اظهار بطلان هذا العالم، سيما عندما يتوهم الناس أن فيها سعادتهم فيحصرون همهم فى جمعها وكنزها. لو أعطيتْ الثروة للعاقل وكريم النفس صارت نافعة لقليل، أما أن أعطيت للبخيل وخسيس النفس فلا تصلح لشئ.

(١) ان تأمل سليمان أولا فيما يمتلكه شخص كهذا. فهو يمتلك ثروة طائلة ع٢ وله أولاد يرثونها ع٣ ويعمر طويلا ع٣ و ٦.

(٢) ثم يصف غباوته لعدم تمتعه بتلك الثروة اذ لا يستطيع أن يأكل منها، بل يدع الغرباء يبتلعونها، ولا يشبع من الخير، وأخيرا لا يكون له دفن ع٢ و ٣.

(٣) وهو يحكم عليها بأنها شر، شر عام باطل، ومصيبة رديئة ع ١ و ٢.

(٤) ويفضل السقط عن انسان كهذا ع ٣ فتعاسة السقط سلبية ع ٤ و ٥ أما تعاسة البخيل المحب للعالم فايجابية، اذ هو يعيش زمنا طويلا حتى يرى نفسه تعسا ع٦.

(٥) ويبين بطلان الثروة من وجهة الجسد فقط، أما العقل فلا تعطيه شيئا من الراحة ع٧ و ٨، وبطلان المطامع الكثيرة التى لاحد لها، التى يعذب بها الطماع نفسه ع٩ فانها حتى لو تمت لا يمكن أن تجعل الانسان الا انسانا ع ١٠.

ثانيا : وهو يختم هذا البحث عن بطلان الخليقة بنتيجة صريحة واضحه هى انه من

+++

العبث ومن الغباوة أن نظن باننا نستطيع أن ننال راحة لأنفسنا من أشياء هذا العالم ع ١١ و ١٢. فراحتنا يجب أن تكون فى عالم آخر غير عالمنا هذا.

١ ـ يوجد شر قد رأيته تحت الشمس وهو كثير بين الناس.

٢ ـ رجل أعطاه الله غنى ومالا وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله انسان غريب. هذا أيضا باطل ومصيبة رديئة هو.

٣ ـ أن ولد انسان مئة وعاش سنين كثيرة حتى تصير أيام سنيه كثيرة ولم تشبع نفسه من الخير وليس له دفن فأقول أن السقط خير منه.

٤ ـ لأنه فى الباطل يجيئ وفى الظلام يذهب واسمه يغطى بالظلام.

٥ ـ وأيضا لم ير الشمس ولم يعلم. فهذا له راحة أكثر من ذاك.

٦ ـ وان عاش ألف سنة مضاعفة ولم ير خيرا أليس الى موضع واحد يذهب الجميع.

بين سليمان فى ختام الاصحاح الماضى مقدار ما يناله المرء من الفوائد والبركات لو أحسن استعمال ما يهبه له الله من الخيرات، وهنا يبين مقدار ما يلحقه من الشر لو تصرف بعكس ذلك، كما لو أبقى ما أعطاه الله دون الانتفاع به، أو حفظه للطوارئ التى قد تحدث مستقبلا بدلا من أن ينفقه فى حاجياته الضرورية الحاليه. هذا «**شر قد رآه سليمان (نفسه) تحت**

الشمس» ع١ . فما أكثر الشرور التى "تحت الشمس . يوجد عالم آخر فوق الشمس لا شئ فيه من الشر أو شبه الشر. على أن الله "يشرق شمسه على الأشرار كما على الأبرار" وهذا مما يزيد خطية الأشرار شناعة. لقد أضاء الله لكل من أولاده سراجا ليتمم عمله فى نوره، أما هم فقد يخفون مواهبهم ويلاشونها بالكسل والتراخى، فلا ينتفعون من ذلك النور، ويبرهنون على أنهم لا يستحقونه.

تفقد سليمان ـ كملك ـ شئون رعيته، فلاحظ ذلك الشر يتفشى بينهم، وأيقن ما يلحقهم من المصائب والأضرار لا ينجم عن الاسراف فقط، بل وعن البخل والشح أيضا. فكما أن الدم لو وقف فى عروق جسم الانسان أصبح الموت مؤكدا، كذلك لو وقفت الثروة فى عروق جسم الأمة ولم تأخذ حركة الدورة الدموية ساءت العاقبة.

وسليمان ـ كواعظ ـ أو كالجامعة رأى تلك الشرور التى عملت وأراد أن يخفف من وطأتها، ويحذر الناس منها ليوقفها عند حدها. كان هذا الشر فى أيامه **«كثيرا بين الناس»** (أما عاما) مع أن الذهب والفضة كانا متوفرين بكمية عظيمة الأمر الذى قد يظنه الانسان بأنه كاف بأن يخفف من محبة الناس للغنى، ومع أن الأيام فى وقته كانت أيام راحة وسلام، ولم يكن منتظرا أن تقوم رحى الحرب حتى يخشى الناس عواقبها فيدخروا أموالهم لطوارئ المستقبل. على أنه لن تستطيع أى قوة أن تصلح ميولنا الفاسدة من

نحو العالم وما فيه من نفسها ان لم تكن مقترنة بنعمة من الله، نعم فانه ان زاد الغنى نزداد ميلا لوضع قلوبنا عليه (مز ٦٢ : ١٠).

أما عن البخيل فنلاحظ هنا :

أولا : الأسباب الكثيرة التى تحمله على عبادة الرب بفرح وبطيبة قلب، لأنه ما أكثر الخيرات التى أنعم عليه بها الله :

(١) فهو قد «**أعطاه غنى ومالا وكرامة**» ع٢.

ملاحظات :

١ ـ الغنى والمال ينيلان الانسان كرامة فى أعين الناس فى غالب الأحيان. فهما ولو كانا تمثالا، تمثالا ذهبيا الا أن كل الشعوب والأمم والألسنة تخر وتسجد له (دا ٣ : ٧).

٢ ـ الغنى والمال والكرامة من عطايا الله. وهى لا تعطى للجميع، كما يعطى المطر وضوء الشمس، بل للبعض دون الآخرين حسبما يراه الله مناسبا.

٣ ـ على أنها تعطى لكثيرين لا يحسنون استعمالها، لكثيرين لا يعطيهم الله الحكمة والنعمة اللازمين للتمتع وخدمة الله بها. ان هبات الله العامة تعطى لكثيرين لا تعطى لهم هباته الخاصة، وفى هذه الحالة تكون الهبات

العامة لضرر أكثر منها للنفع.

(٢) «**وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه**» فقد اغدقت عليه العناية الالهية بالبركات حتى توفر له كل ما كان يصبو اليه قلبه وأكثر منه (مز ٧٣ : ٧). انه لا يشتهى نعمة لنفسه التى هى أثمن ما يمتلك، ولكن كل ما يشتهيه هو، اشباع شهواته الجسدية، وهذه يحصل عليها. فبطنه تملأ بتلك الذخائر (مز ١٧ : ١٤).

(٣) والمفروض أن له عائلة جسيمة «**ولد مئة**» ابن، هم عماد بيته، وسهام تملأ جعبته (مز ١٢٧ : ٣ ـ ٥) وهم موضوع فخره وكرامته، وبهم يؤمل أن تدوم ذاكره، ويبقى اسمه حيا بعد مماته. انه "يشبع أولادا" (مز ١٧ : ١٤) بينما الكثيرون من شعب الله من كتب عليهم عدم ولادة البنين.

(٤) والمفروض أيضا انه «**يعيش سنين كثيرة**» وهذا ما يكمل سعادته. أو بالحرى أياما كثيرة ـ لأن حياتنا تعد بالأيام أكثر مما تعد بالسنين ـ حتى «**تصير أيام سنيه كثيرة**» وهكذا يقضى عمره فى صحة قوية حتى يظن أن أيامه تزداد شيئا فشيئا. بل أن المظنون أنه «**يعيش ألف سنة مضاعفة**» وهذه مدة لم نسمع عن أحد أنه بلغها. وجزء قصير من هذه المدة كاف لاقناع الناس من اختباراتهم بغباوة من يتطلبون كل الخير والسعادة من الثروة العالمية عن طريق آخر بغير انفاقها.

ثانيا : عقله الضيق الذى حمله على عدم استعمال ما أعطاه الله فى الوجوه والأغراض التى لأجلها أعطى له. انه بسبب جهله وغباوته "لم يرد للرب حسبما أنعم عليه" (٢ أى ٣٢ : ٢٥) "ولم يعبد الرب الهه بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شئ" (تث ٢٨ : ٤٧). ففى يوم نجاحه تراه حزينا كما يقول المثل اللاتينى "لماذا تكتئب وقت السعادة والسرور"؟ أنظر لأى حد وصلت غباوته.

(١) فهو لم يستطع أن يجد فى قلبه ما يحمله على التمتع بما قد حصل عليه. فمهما كان لديه من الطعام، ومهما توفر لديه ما يقتات به، وما يعول به عشيرته، لكنه لم تكن لديه «**استطاعة على أن يأكل منه**». فبطبيعته التى تأصلت فى نفسه، ألا وهى طبيعة الشح والبخل والتقتير لم تسمح له بأن ينفق ما لديه حتى على نفسه، وعلى حاجياته الضرورية. لم تكن لديه استطاعة على مناقشة نفسه الحساب على هذه الغباوة والتخلص من تلك الطبيعة الفاسدة. فمن لم يكن له الاستطاعة على استعمال ما يعطيه الله من الخيرات لا شك فى انه ضعيف، لأنه «**لم يعطه الله**» تلك الاستطاعة بل حرمه منها قصاصا له على سوء تصرفه بثروته. ولأنه لم يشأ خدمة الله بها فقد حرمه الله من السلطان الذى يمكنه من خدمة نفسه بها.

(٢) وسمح لمن يرتبط بهم بأى رباط بأن ينهبوا كل ثروته : «**يأكله**

++

انسان غريب». وهذا هو مصير كل البخلاء فى غالب الأحيان، فهم لا يثقون فى أبنائهم، ومع ذلك يستسلمون لوكلائهم أو تابعيهم، وهؤلاء بمكرهم وخداعهم وتملقهم يستولون على كل ثروتهم، اما فى حياتهم، أو بعد مماتهم. وهكذا يسمح الله بأن "يأكله الغريب". "أكل الغرباء ثروته" (هو ٧ : ٩، أم ٥ : ١٠). وهذا حقا ليس الا **«مصيبة رديئة»** (أو مرض ردئ). فان لم ننتفع بما نملكه صار امتلاكنا له عبثا. وما أشد رداءة ذاك الطبع الذى يحرمنا من التمتع بما نملك. ان أشد وطأة الأمراض التى نبتلى بها هى ما نشأت من فساد قلوبنا.

(٣) وحرم نفسه من الخير الذى كان فى استطاعته الحصول عليه من ثروته العالمية، فهو لم يخسر ذلك الخير فقط بل سلبه من نفسه بنفسه وضرب به عرض الحائط : **«لم تشبع نفسه من الخير»** ع٣. كان يزداد فى الجشع وعدم الاكتفاء، فمع أن يديه ملآنتين غنى ومخازنه ملآنة خيرات جزيلة الا أن "نفسه لا تشبع (لا تمتلئ) من الخير" لأنها لا تزال تطلب المزيد.

والأكثر من ذلك انه **«لم ير خيرا»** فهو لم يستطيع ولم يعرف أن يمتع عينيه لأنهما كانتا ينظران بجشع وتتطلعان بحسد الى كل من فاقه فى الغنى. انه لم يعرف حتى الغرض الأساسى من الثروة التى أعطيت له، فهو لم يعرف حتى الغرض الأساى من الثروة التى أعطيت له، فهو لم ينظر الى

ما وراء الأمور التى لا ترى فقط بل هو أيضا لم ينظر اليها بنظرة دقيقة.

(٤) **«وليس له أيضا دفن»** ليس له دفن يناسب مركزه، أو دفن تحفه الهيبة والوقار بل "يدفن دفن حمار" (ار ٢٢ : ١٩) انه لشدة بخله لم يسمح لنفسه حتى يدفن محترم. أو قد يتركه الغرباء الذين نهبوا ثروته فى حياته فقيرا فلا يدفن كما يليق بمقامه. أو قد يكون وارثوه أقل الناس احتراما له فلا يهتمون بدفنه بقدر اهتمامهم بثروته التى خلفها لهم.

ثالثا: تفضيل السقط عنه: "ان السقط" أى الطفل الذى يحمل من الرحم الى القبر، "خير منه". فالفاكهة التى تسقط من الشجرة قبل أن تنضج خير مما تبقى معلقة فيها حتى تتعفن. قال أيوب ان السقط خير منه فى وقت محنته (أى ٣ : ١٦)، وقد صرح سليمان هنا بأن السقط خير من الشخص الحب للعالم فى وقت رخائه وعندما يبتسم له العالم.

(١) انه يسلم بأن حالة السقط محزنة جدا من عدة وجوه ع ٤، ٥: "لأنه فى الباطل يجئ" فمن يولد ويموت فى الحال كانت ولادته باطلا، وهو "فى الظلام يذهب" يكاد لايشعر به أحد، ولم يلقب بأى اسم، وان دعى عليه اسم فسرعان ما يطرح فى زوايا النسيان "ويغطى بالظلام" حيث يبقى الجسم تحت التراب. بل انه "لم ير الشمس" لأنه أخذ من ظلام الرحم الى ظلام القبر. والأسوأ من عدم علم الناس به أنه "لم يعلم" شيئا"، ولذلك لم يعرف ينبوع سعادة الإنسان. ان الذين يعيشون فى ظلام الجهل وعدم

++

المعرفة ليس مثلهم الا مثل "السقط الذى لم يرى الشمس ولم يعلم".

(٢) ورغما من ذلك كله فضله عن البخيل الطماع: فهذا السقط "له راحة أكثر من ذاك" لأن "هذا" لايزعجه ولا يقلق راحته أى مؤثر من المؤثرات العالمية، أما "ذاك" فهو عرضة لأقل مؤثر، ولايحيط به سوى التعب، التعب الذى صنعته يداه. فكلما قصرت الحياة طالت الراحة، وكلما قصرت الأيام استرحنا من عناء هذه الحياة. وكما قال الشاعر الانكليزى: خير للمرء أن يموت طفلا من أن يعيش حتى يموت كهلا.

والسبب الذى لأجله قال ان "هذا له راحة أكثر من ذاك" هو أن الجميع يذهبون الى موضع واحد" ليستريحوا وهذا يسرع الى راحته أسرع من ذاك ع ٦. فمن "عاش ألف سنة" يذهب أخيرا الى نفس الموضع الذى يذهب اليه الطفل الذى لم يعش ساعة واحدة (ص ٣ : ٢٠). فالقبر هو الموضع الذى يلتقى فيه الجميع. ومهما اختلفت أحوال الناس فى هذه الحياة فلابد أن يموتوا جميعا ويتم عليهم حكم واحد ولا يختلفون فى شئ من الأمور الظاهرة عند الموت. القبر هو للجميع موضع ظلام وانفصال عن الأحياء ورقاد مستمر. هو موضع لقاء الأغنياء والفقراء، الشرفاء والأدنياء، العلماء والجهلاء، طويلو الأعمار وقصيروها. والفرق الوحيد هو أن الواحد يسرع الوصول اليه والآخر يبطئ السير، على أن تراب الجميع يختلط معا بلا تمييز.

+++

٧ – كل تعب الإنسان لفمه ومع ذلك فالنفس لاتمتلئ.

٨ – لأنه ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل. ماذا للفقير العارف السلوك أمام الأحياء.

٩ – رؤية العيون خير من شهوة النفس. هذا أيضا باطل وقبض الريح.

١٠– الذى كان فقد دعى باسم منذ زمان وهو معروف أنه إنسان ولايستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه.

فى هذه الأعداد يستمر الجامعة فى اظهار بطلان وحماقة تكويم الثروة العالمية، وانتظار السعادة منها.

أولا : فمهما أجهدنا أنفسنا فى الأمور العالمية، ومهما عظم مانحصل عليه منها، فلن نأخذ لأنفسنا منها سوى ما تقوم به الحياة ع ٧: "كل تعب الإنسان لفمه" لأن "فمه يحثه" على ذلك (ام ١٦ : ٢٦). ليست الأطعمة الا للجوف، والجوف للاطعمة (١كو ٦ : ١٣)، فليس فيها شئ للعقل أو للقلب، وليس فيها ما يغذى الروح. القليل يكفى لقوام الحياة، والكثير أيضا لانتال منه اللا ما يكفى لقوام الحياة.

ثانيا : والذين يحصلون على مقتنيات الحياة بوفرة وغزارة يستمرون فى طلب المزيد منها، لأنه مهما كان تعب الإنسان لفمه عظيما "فالنفس لاتمتلئ".

(١) فالرغبات والشهوات الطبيعية لايمكن ايقافها عند حدها بل هى تتكرر من يوم لأخر، ومن وقت لآخر. وان أولم الإنسان وليمة فاخرة اليوم فانه لابد له من أن يجوع غدا.

(٢) والشهوات العالمية الخاطئة لايمكن اشباعها (ص ٥ : ١٠) فالثروة لمحب العالم كالماء للمريض بداء الاستسقاء، فانها لاتزيده الا عطشا.

(٣) ورغبات النفس لاتجد فى ثروة العالم ما يشبعها: "النفس لاتمتلئ". عندما أعطى الله للاسرائيليين سؤلهم "أرسل هزالا فى أنفسهم" (مز ١٠٦ : ١٥). فما أكثر غباوة ذلك الذى قال لنفسه عندما امتلأت مخازنه "استريحى يا نفس" (لو ١٢ : ١٩).

ثالثا : وقد يستوى الجاهل والعاقل فى مقدار ما يحصلان عليه من ثروة هذا العالم ومقدار تمتعهما به. بل قد يمتاز الأول عن الثانى بأنه لايشعر بشئ من مضايقة الروح "ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل" ع ٨. فهو قد يقل عنه ثروة ومركزا. وحتى ان استويا فى الثروة فماذا يستطيع الحكيم أن يناله منها بحكمته وذكائه وحنكته أكثر من حاجيات النفس الضرورية، وفى هذا يستويان. ولذلك فان كان الجاهل يستطيع أن ينال غذاءه ولباسه كما ينالهما العاقل فلا شئ يميزها عن بعضهما ـ من الوجهة العالمية ـ الا المسرات العقلية وبهجة الروح.

رابعا : وحتى الفقير المجد والنشيط فى عمله قد يعيش فى هذه الحياة

++

فى نفس الراحة والسعادة التى يتمتع بهما الغنى **«ماذا للفقير»** أقل من الغنى ان كان **«عارفا السلوك أمام الأحياء»** أى عارفا كيف يسلك بنزاهة، ويؤدى واجباته من نحو الجميع، وكيف يحصل على معيشته بشرف وأمانة. وكيف يصرف وقته فيما يفيد وينتفع من كل الظروف التى تمر به؟

ماذا له؟ انه محبوب ومحترم بين معاشريه أكثر من أغنياء كثيرين بخلاء ومتكبرين.

ماذا له؟ انه يعيش سعيدا فى هذه الحياة، لأن له "قوتا وكسوة يكتفى بهما" (اتى ٦ : ٨) وبذلك يعيش كأنه غنى ويتمتع بسعادة كما يتمتع الأغنياء.

خامسا : وتمتع النفس بما لديها من الخيرات خير جدا من أن تشتهى أمورا أكثر ٩. **«رؤية العيون»** أى الانتفاع بما لدينا **«خير من شهوة النفس»** خير من سير النفس وراء أمور لا طائل تحتها، واشتهائها أمورا صعبة المنال. فمن يقنع بما لديه مهما كان قليلا خير جدا، وأوفر حظا وسعادة ممن يشتهى ازدياد ما لديه مهما كان كثيرا. اننا لا نستطيع القول ان رؤية العيون خير من توجيه شهوات النفس نحو الله وحصرها فى الله، لأنه خير لنا أن نعيش بالايمان فى الأمور العتيدة من أن نعيش بالعيان فى الأمور الحاضرة، ولكننا نستطيع القول ان رؤية العيون خير من توجيه شهوة النفس نحو العالم وما فيه الذى لا شئ فيه من الراحة والثبات.

ان شهوة النفس «**أيضا باطل وقبض الريح**». انها باطلة مهما سمت وعلت. لأننا أن اشتهينا شيئا وحصلنا عليه لم نجد فيه ما كنا نؤمل وننتظر، بل نجد أن كل شهواتنا قد خابت وآمالنا قد فشلت، فتتحول لنا الى "قبض الريح" (أو مضايقة الروح".

سادسا : ونصيبنا ـ سواء كان عظيما أو حقيرا ـ هو ما عينته لنا المشورة الالهية، التى لن يمكن تغييرها، ولذلك فمن الحكمة أن نرضى ونقنع به ع١٠ :«**الذى كان**» (أو "الكائن" كما يقرأها البعض) والذى سيكون أيضا «**فقد دعى باسم منذ زمان**» قد سبق تعيينه بمقتضى علم الله السابق، ولن تستطيع اهتماماتنا أو مجهوداتنا أن تغير فيه شيئا. فان كان قد سبق السيف العزل كما يقول المثل فمن الحماقة أن نحاول تغيير ما قد تقرر، ومن الحكمة أن ننتفع له اننا لن نحصل الا على ما يرضى الله فلنسمع بأن نجعله يرضينا أيضا.

سابعا : ومهما عظم ما نحصل عليه فلسنا الا بشرا. فثروتنا الطائلة ومراكزنا الرفيعة لا تستطيع أن ترفعنا فوق مستوى البشر، أو تخلينا من مصائب الحياة البشرية : "الذى كان" أى ذلك الحيوان الذى يحدث كل تلك الحركة والتغيير فى العالم «**قد دعى باسم منذ زمان**». فمن خلقه دعاه باسمه «**وهو معروف انه انسان**» وهذا اسمه، الذى يجب أن يعرف نفسه به، حتى يخضع شيئا من كبريائه (تك ٥ : ٢) "ودعا اسمه آدم" وكل ذريته تدعى بهذا الاسم، ومعناه "أرض حمراء". ومهما ملك الانسان

+++

ومن ثروة العالم فانه لا يزال انسانا ضعيفا، حقيرا، قابلا للتغيير والفناء وخاضعا لمصائب الحياة. فخير للأغنياء والعظماء أن يعرفوا ويتذكروا أنهم ان هم الا بشر (مز ٩ : ٢٠). انه معروف انهم بشر فمهما لبسوا أى ثوب لاخفاء معالم خلقتهم فلا يزالون بشرا، ولا يزالون معروفين انهم بشر.

ثامنا : ومهما اتجهت شهواتنا الى أمد بعيد، وعظمت آمالنا، وكثرت مجهوداتنا فلن نستطيع أن نقاوم العناية الالهية، بل لابد من الخضوع لتصرفاتها، رضينا أو لم نرض. فالانسان ان كان انسانا "لا يستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه". انه من الوقاحة أن نعترض على أعمال الله، أو نتهمه بالجهل أو الشر. ومن الحماقة أن نشتكى منه لأنه "ذو رأى واحد فمن يرده" (أى ٢٣ : ١٣). لقد أسكت اليهو أيوب وأبكمه بتلك الحقيقة التى لا مراء فيها وهى "ان الله أعظم من الانسان" (أى ٣٣ : ١٢). فلا يليق بالانسان أن يخاصمه ع١٣ أو يقاوم أحكامه. والانسان بكل ما أوتى من قوة وثروة لا يستطيع أن يخلى نفسه من سلطان المرض أو الموت. فيلخضع لما يصيبه منهما.

١١ ــ لأنه توجد أمور كثيرة تزيد الباطل. فأى فضل للانسان.

١٢ ــ لأنه من يعرف ما هو خير للانسان فى الحياة مدة أيام حياة باطلة التى يقضيها كالظل. لأنه من يخبر الانسان بما يكون بعده تحت الشمس.

++

في هذه الأعداد نرى :

(١) ان سليمان يقرر فى الختام النتيجة التى برهن عليها وأيدها بأقوى البراهين فى بحثه السابق، وهى هذه : «**توجد أمور كثيرة تزيد الباطل**». وحياة الانسان باطلة مهما سمت وارتقت، وما أكثر الحوادث التى تحف بها والتى تزيدها بطلانا. ونفس العوامل التى يلوح لنا انها تزيد الثروة والسعادة هى فى الحقيقة تزيد الباطل بطلانا ومضايقة للروح.

(٢) ويستخلص جملة استنتاجات من تلك النتيجة لكى يؤيد صدقها.

١ ـ ان الانسان لن يصل الى السعادة الحقيقية بكثرة الثروة. «**أى فضل للانسان**» من ثروته وملذاته وأمجاده ومركزه الرفيع؟ ماذا يتبقى للانسان، وأية منفعة حقيقية ينالها عندما يصفى حساباته؟ لا شئ يعود عليه بالنفع.

٢ ـ اننا لا نعرف أى شئ نشتهى، لأننا طالما وجدنا مضايقة الروح فيما كنا ننتظر منه الراحة والسعادة : «**لأنه من يعرف ما هو خير للانسان فى الحياة**» التى كل ما فيها باطل، والتى ان وجد فيها شئ تطمح اليه نفوسنا قد يكون مصيبة وشرا عظيما لها. يسير العقلاء بغاية الحذر من نحو كل ما يعملون.

وكما أنه من علامات فساد قلب الانسان أن يميل الى ما يضره، ظنا منه بأنه نافع، كما يصرخ الأطفال طالبين سكينا يجرحون بها أصابعهم كذلك من علامات بطلان هذا العالم أن تكون الأمور التى نتوهم أن فيها

كل الخير بعكس ذلك، وما ذلك الا لسبب قصر نظرنا واتكالنا على كل قصبة مرضوضة. فنحن لا نعرف كيف ننصح الآخرين ونرشدهم للخير، أو نسلك نحن أنفسنا فى طريق الخير لأن ما قد نعرف أن فيه خيرنا قد يكون فيه لنا الموت الزؤام.

٣ ـ ولذلك فحياتنا على الأرض لا تستحق بأن نغتبط بها اغتباطا شديدا أو نتوهم استمرارها. فهى لا تعد الا «**بالأيام**» وهى ليست الا «**حياة باطلة**»، ونحن نقضيها «**كالظل**» لأنها لا شئ فيها من الحقيقة أو الثبات، بل هى زائلة سريعا، فلا شئ فيها يجب أن يعتمد عليه. وان كانت كل مسرات الحياة باطلة فلا يوجد فى الحياة نفسها أى شئ حقيقى نتطلب منه السعادة.

٤ ـ وكل آمالنا فى هذه الحياة غير مؤكدة تحقيقها. فان كان كل شئ باطلا «**فمن يخبر الانسان بما يكون بعده تحت الشمس**» انه لا يستطيع أن يطمن نفسه ويعشمها "بما يكون بعده" لأولاده أو لعائلته لأنه لا يستطيع أن يتنبأ بالمستقبل ولا يستطيع غيره أن يخبره «**بما يكون بعده**» ولن يستطيع أيضا أن يعرف «**ما يكون بعده**» بعد مماته. "يكرم بنوه ولا يعلم أو يصغرون ولا يفهم بهم" (أى ١٤ : ٢١).

ولذلك فمهما قلبنا الطرف فى هذه الحياة لا يمكن الا أن نرى انه "باطل الأباطيل الكل باطل".

* الإصحاح السابع *

أدلى الينا سليمان فيما مضى بعدة براهين وأمثلة لاظهار بطلان هذا العالم وما فيه. والان نراه فى هذا الاصحاح :

أولا : يرشدنا الى أحسن السبل لتخفيف ويلات هذا العالم وأحزانه الكثيرة وتحصين أنفسنا ضد شروره وأخطاره، وبذلك نستطيع أن نحول الشر خيرا والضار نافعا. وهذه السبل هى :

(١) الحرص على سمعتنا ع١.

(٢) السير برزانة وجد ع٢ ـ ٦.

(٣) هدوء الروح ع ٧ ـ ١٠.

(٤) الحكمة والتعقل فى تدبير كل أمورنا ع ١١ و ١٢.

(٥) الخضوع لارادة الله فى كل الحوادث والامتثال لكل ما يطرأ علينا من الظروف ع ١٣ ـ ١٥.

(٦) تجنب التطرف والمغالاة فى كل الأمور ع ١٦ ـ ١٨.

(٧) العطف والاشفاق على من أساءوا الينا ع ١٩ ـ ٢٢.

وبالايجاز أن أحسن السبل للابتعاد عن مضايقات الروح التى يسببها لنا بطلان العالم هو حفظ أمزجتنا وضبط عواطفنا.

ثانيا : وشكا من شره الذى ضايقه أكثر من كل هذه الأباطيل، ألا وهو تعدد زوجاته اللاتى أبعدن قلبه عن الله ع ٢٣ ـ ٢٩.

١ ـ الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة.

٢ ـ الذهاب الى بيت النوح خير من الذهاب الى بيت الوليمة لأن ذلك نهاية كل انسان والحي يضعه فى قلبه.

٣ ـ الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب.

٤ ـ قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال فى بيت الفرح.

٥ ـ سمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سمع غناء الجهال.

٦ ـ لأنه كصوت الشوك تحت القدر ضحك الجهال. هذا أيضا باطل.

فى هذه الأعداد يقرر سليمان بعض حقائق جوهرية يظنها الغازا : أولئك الجهلاء، وهم الأكثرية من البشر :

أولا : ان مجد الفضيلة أسمى جدا وأشهى من كل ثروة العالم وملذاته ع١ : «**الصيت خير من الدهن الطيب**» (أو الصيت قبل الدهن الطيب كما يقرأها البعض) فهو أفضل منه، ووراءه يسعى كل عاقل حكيم.

++

والمقصود "بالدهن الطيب" هنا كل خيرات الأرض، التى من ضمنها، بل أفضلها، الدهن أو الزيت، وكل الملذات العقلية لأن الدهن يفرح القلب (ام ٢٧ : ٩) ولأنه أيضا يسمى دهن الابتهاج (مز ٤٥ : ٧)، وكل الأمجاد العالمية والمراكز الرفيعة التى لا يرقى اليها الملوك إلا بعد أن يمسحوا بالدهن الطيب.

أما «**الصيت**» فهو أفضل من الغنى العظيم (ام ٢٢ : ١) أى اشتهار الانسان بالحكمة والصلاح. "وذكر الصديق" (ام ١٠ : ٧) ـ هذا لاشك فى أنه خير يكسب القلب راحة وسرورا، ويهئ للانسان فرصة أوسع للخدمة والنفع، ويستمر معه مدة أطول أكثر من قارورة طيب كثير الثمن، لأن المسيح كافأ مريم عن طيبها بصيت حسن واسم صالح فى الانجيل (مت ٢٦ : ١٣)، ونحن نثق أنه لا يكافئ أولاده الا أضعاف ما يستحقون.

ثانيا : وان خروجنا من هذا العالم أفضل جدا وأكثر رحمة بنا من دخولنا اليه من كل الوجوه. «**يوم الممات خير من يوم الولادة**». صحيح انه ان ولد انسان فى العالم يفرح الآخرون (يو ١٦ : ٢١) وان مات يحزنون ويكتئبون. أما من جهتنا نحن شخصيا فيوم الممات الذى يضع حدا لاهتماماتنا الكثيرة، وأتعابنا وأحزاننا التى لا حصر لها، وينقلنا الى الراحة والفرح والسعادة الأبدية، خير من يوم الولادة الذى فيه دخلنا عالما مملوءا بالخطية والتعب والبطلان وقبض الريح (أو مضايقة الروح). نحن ولدنا دون

++

أن نعلم كيف سنقضى حياتنا، أما ان مات الرجل الصالح فيعلم أين يذهب، وكيف سيقضى حياته فى العالم الآخر. يوم الولادة يثقل كاهل النفس بحمل الجسد الثقيل، أما يوم الممات فيحررها من ذلك الحمل.

ثالثا : وذهابنا الى أماكن الحزن نافع لنا أكثر من دهابنا الى الولائم ع٢ : «**الذهاب الى بيت النوح**» للبكاء مع الباكين «**خير من الذهاب الى بيت الوليمة**» أى الى حفلات الزفاف، وما شابهها، للفرح مع الفرحين، لأننا ننال من ورائة نفعا أكثر ولأنه يترك فى نفوسنا أثرا أحسن. انه لا حرج علينا فى الذهاب الى أيهما، فمخلصنا ذهب الى عرس صاحبه فى قانا الجليل وبكى على قبر صاحبه فى بيت عنيا، ونحن قد نستطيع تمجيد الله ونفع أنفسنا، وفعل الخير فى بيت الوليمة، ولكن نظرا لما تجوز فيه نفوسنا فى الولائم من الفخر والمجد الباطل، والاطمئنان الكاذب، واثارة الشهوات الجسدية، فخير لنا أن نذهب الى بيت النوح لا لنشهد عظمة الجنازة، بل لنشترك فى أحزانها، ونتعلم دروسا نافعة من الميت الذاهب الى الأبدية، والحزانى الذين تركوا من بعده.

(١) أما الفوائد التى يستطيع الانسان الحصول عليها من بيت النوح فهى :

١ ــ من باب العلم «**ان ذاك نهاية كل انسان**» انه نهاية الانسان فى هذه الحياة، والحد الفاصل لحالته هنا، فهو لا يعود الى وطنه الأرضى مرة

أخرى. انه «**نهاية كل انسان**»، فالجميع أخطأوا، لذلك "اجتاز الموت الى الجميع" (رو ٥ : ١٢). فنحن لابد لنا من مغادرة الحياة كالذين سبقونا، لأن كأس الموت يدور على الجميع، ولابد أن يأتى علينا الدور قريبا لنتجرعه.

٢ ــ من باب النصيحة : "والحى يضعه فى قلبه" وهل حقا يضعه الأحياء فى قلوبهم؟ ياليتهم يفعلون كذلك. ان الأحياء بالروح يضعونه فى قلوبهم، أما من جهة الأحياء بالجسد فالمفروض والمعروف انهم يجب عليهم أن يضعوه فى قلوبهم، وان لم يفعلوا كذلك فالعيب عيبهم، لأنه لا شئ أسهل وأقرب الى دخول القلب من فكرة الموت عند رؤية أو السماع عن موت الآخرين. ومن لا يستطيعون وضع عظة بالغة فى قلوبهم يستطيعون وضع فكرة الموت فى قلوبهم، ويتأملون فى نهايتهم.

(٢) ولزيادة البرهان على ذلك نرى سليمان فى ع٤ يبين :

١ ــ انه من صفات الحكماء أن يكون «**قلبهم فى بيت النوح**»، يميلون للتحدث والتأمل فى الأمور المحزنة، وهذا دليل حكمتهم، كما انه يزيدهم حكمة.

ان بيت النوح مدرسة للحكماء يتعلمون فيها دروسا نافعة كثيرة. ان حلوا "فى بيت النوح" انشغل قلبهم فى التفكير فى مناظر الموت المعروضة

أمامهم، أما أم حلوا **«في بيت الوليمة»** انشغال "قلبهم فى بيت النوح" أيضا ليعطف على الحزانى والنائحين.

٢ ـ وانه من صفات الجهال أن يكون **«قلبهم في بيت الفرح»** فكل ما يبتغيه قلبهم أن يكون فرحا ومسرورا، كل لذتهم فى الألعاب والأفراح والمجون والأغانى وقضاء أيامهم ولياليهم فى اللهو واللعب وأن تصادف وجودهم "فى بيت النوح" شعروا بشئ من الغضاضة، وحل "قلبهم فى بيت الفرح". فما أعظم هذه الغباوة، سيما وانها تزيدهم بلادة وحماقة على مر الأيام وكر العشى.

رابعا : وان الجديات أنسب وأنفع لنا من الأفراح والملاهى ع٣. ان الأمر المألوف عند الجميع هو أن الأفراح خير من الأحزان، أما سليمان فيعلمنا هنا درسا على النقيض من ذلك وهو أن **«الحزن خير من الضحك»** أى أنسب الى حالتنا الحاضرة التى فيها نرتكب الخطية كل يوم، ونتجرع كأس الآلام والأحزان كل ساعة، أو على الأقل نرى الآخرين يرتكبون الخطية كل يوم، ويتجرعون كأس الآلام والأحزان كل ساعة. فطالما كنا فى "وادى الدموع" تحتم علينا أن نسلك كما يناسب جوه.

وليس الحزن أنسب الى حالتنا الحاضرة فقط بل أنفع لنا أيضا **«لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب»**.

ملاحظتان :

(١) ان ما كان فيه خير للنفس وصلاحها صار خير لنا أيضا، ولو كان فيه شئ من الغضاضة والألم للروح.

(٢) طالما كان الحزن واسطة في ميل القلب للجديات، والمصائب التى تتلف الصحة وتلاشى الثروة وتورث البؤس للعائلات قد يكون فيها صلاح للقلب، كأن تغير طباعه الرديئة، وتعلمه التواضع والوداعة، وتنفره من محبة العالم وتقتاده الى ترك الخطية، وترشده الى اتمام واجباته. يقول المثل اللاتينى "ان المصائب تشحذ العزائم وتكد القرائح". والمثل الآخر "لو لم أكن تعسا لهلكت".

ومن الوجهة الأخرى أيضا انه بالفرح والطرب يفسد القلب اذ يصير أكثر ميلا للاباطيل والشهوات الجسدية واللذات الفاسدة، وأشد محبة للعالم وأكثر ابتعادا عن الله والأمور الروحية (أى ٢١ : ١٢ و ١٤) حتى لا يغتم على انسحاق يوسف كقلب اخوته (عا ٦ : ٥ و ٦) وكقلب الملك وهامان (اش ٣ : ١٥).

خامسا : وخير لنا جدا أن نميت شهواتنا الفاسدة **«بسمع الانتهار من الحكيم»** من أن نزيد سلطانها وفسادها **«بسمع غناء الجهال»** ع٥. كثيرون من الذين يسرون بسمع نصائح الحكماء وثنائهم لا يهتمون بسمع

++

انتهارهم، أى لا يهتمون بأن يبينوا لهم عيوبهم ونقائصهم مهما كانوا صادقين ومخلصين، ولكنهم بذلك يظهرون أنهم أعداء لأنفسهم، لأن "توبيخات الأدب طريق الحياة" (ام ٦ : ٢٣). ومع أنها غير مقبولة كغناء الجهال الا أنها هى الدواء الشافى. ان «**سمع الانتهار من الحكيم**» لا بالصبر فقط بل الرضاء والسرور هو علامة من علامات الحكمة وواسطة لها، أما حب «**سمع غناء الجهال**» فهو علامة على على أن العقل خال، منصرف للهو، وواسطة لازدياده فى حب اللهو والأباطيل.

وما أشد حماقة ذلك الانسان الذى يهتم بلذة وقتية سريعة الزوال «**كضحك الجهال**» الذى يشبه تمام الشبه «**صوت الشوك تحت القدر**» فانه يحدث صوتا عظيما ولهيبا عاليا لوقت قصير فقط، ولكن سرعان ما تخمد ناره، ويتناثر رماده، ولا يفيد القدر بشئ. "وضحك الجهال" عالى الصوت وبلا معنى ولا يدل على الفرح الحقيقى.

«**هذا أيضا باطل**» لأنه يخدع الناس ويسوقهم لهلاك أنفسهم لأن "عاقبة هذا الفرح حزن" (ام ١٤ : ١٣). ولقد نطق مخلصنا الصالح بحكم عادل فى هذا الخصوص "طوباكم أيها الباكون الآن لأنكم ستضحكون. ويل لكم أيها الضاحكون الآن لأنكم ستحزنون وتبكون" (لو ٦ : ٢١ و ٢٥).

++

٧ ـ لأن الظلم يحمق الحكيم والعطية تفسد القلب.

٨ ـ نهاية أمر خير من بدايته. طول الروح خير من تكبر الروح.

٩ ـ لا تسرع بروحك الى الغضب لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال.

١٠ ـ لا تقل لماذا كانت الأيام الأولى خيرا من هذه. لأنه ليس من حكمة تسأل عن هذا.

سبق أن شكا سليمان كثيرا من المظالم التى تجرى تحت الشمس، لأنها كانت تعطى فرصة للناس ليتصوروا تصورات فاسدة، وتثبط عزائمهم عن الخير، وتعرقل مساعيهم عن الجد فى أثر التقوى والفضيلة. والآن نراه :

أولا : يسلم بأن التجربة شديدية ع٧ : حقا ان «**الظلم يحمق الحكيم**». فان ظل الحكيم ردحا من الزمن يرسف تحت قيود الظلم تراه يتصرف ويتكلم بما لا يتفق وحكمته، ويطلق العنان لشهواته، وينسب الظلم لله تعالى وللانسان، أو يسلك طرقا مخزية للتخلص مما حاق به من الظلم. وان استقرت عصا الأشرار على نصيب الصديقين قد يمدون أيديهم الى الاثم (مز ١٢٥ : ٣). وان أرادوا ضبط عواطفهم، والتمسك بحكمتهم، لا يتوصلون الى ذلك الا بشق النفس.

«والعطية تفسد القلب» (أو "وتفسد قلب العطية" كما يقرأها البعض) فالظلم يفسد حتى القلب الصالح الذى يهب العطايا.

ولذلك يجب أن نلتمس العذر للمظلومين، ولا نكون قساة فى انتقادهم لو لم يتصرفوا بالحكمة التى كانت تنتظر منهم، لأننا لا نعلم كيف يكون تصرفنا نحن لو كنا فى مكانهم.

ثانيا : ولكنه يظهر فسادها ويحارب ضدها. يجب أن لا نخشى سلطة الظالمين أو نجاحهم ولا نغار منهم :

(١) لأن صفاتهم فاسدة جدا، وهذا ما يستنتجه البعض من ع٧. فان كان الذى عرف عنه انه "حكيم" يصير "ظالما". صار "أحمق"، لأن عقليته قد فارقته، ولا يمتاز عن أسد زائر أو دب ثائر، وتفسد قلبه الرشوة والعطايا التى يقبلها وتقضى على البقية الباقية فيه من الفضيلة. والأحرى بنا العطف على شخص كهذا بدلا من أن نحسده. ان تركناه وحده تصرف بحماقة شديدة، وزادت وحشيته، لدرجة انه يتلف نفسه.

(٢) ولأن النتيجة ستكون حسنة أخيرا : "نهاية أمر خير من بدايته" فبعين الايمان أنظر الى النهاية، وبالصبر نرقبها. عندما يبدأ المتكبرون بأن يظلموا غيرهم من المساكين الأمناء يظنون أنهم بسلطانهم سيبطشون بهم وينتصرون عليهم حتى المنتهى، ولكن سرعان ما يتبين لهم أن **«النهاية خير من البداية»** عندما يزول سلطانهم وتفنى ثروتهم التى حصلوا عليها من ظلمهم

ويذلون بعد الرفعة والجاه، ويجنون شر ظلمهم. وعندئذ يتخلص المظلومون من نيرهم ويستعيضون ما قد خسروه. وحقا لقد كانت نهاية المعاهدة التى أبرمها موسى مع فرعون، ذلك العاتى الجبار، خيرا من بدايتها. فهى ابتدأت بتثقيل كاهل الاسرائيليين وتضعيف مقدار اللبن (الطوب) الذى كانوا يصنعونه، فبدا كأن كل شئ مظلم أمامهم، لكن المعاهدة انتهت بخروجهم من أرض مصر ظافرين منتصرين.

ثالثا : وقد أعطانا بعض الارشادات لندرأ عن أنفسنا شر غوائها. فان أردنا أن لا يحملنا تيار الظلم والاضطهاد الى الجنون، بل أن نبقى مالكين زمام أنفسنا.

(١) فعلينا أن نتوحش بالتواضع، فان «**تكبر الروح**» يحمل صاحبه على عدم احتمال المظالم، بل يثير عواطفه، ويهيج وجدانه. ان ما يكسر قلب المتكبر لا يكون له أقل تأثير عند المتواضع. فان أبعدت الكبرياء من قلب الانسان رضى بأقل الحالات.

(٢) ونتمسك بالصبر أو «**طول الروح**» ـ الصبر المحتمل الذى به نخضع ذواتنا لارادة الله وقت المصائب، والصبر المنتظر الذى به نترقب النهاية فى وقت الله المحتوم. لاحظ بأن سليمان يبين هنا أن "طول الروح" ضد «**تكبر الروح**» ذلك لأن التواضع يكون عادة مقترنا بطول الروح أى الصبر. ان الذين يعترفون بأنهم لا يستحقون شيئا من بركاته الله هم الذين يشكرونه على أى شئ يعطيهم. وعلى ذلك فان طويل الروح خير من متكبر

الروح لأنه يريح نفسه، ويكون محبوبا عند الآخرين. ويستطيع أن يرى بصبره النتيجة الحسنة لمتاعبه.

(٣) ونضبط عواطفنا بالحكمة والنعمة ع٩ **«لا تسرع بروحك الى الغضب»**. ان الذين لا يطيقون طول مدة الانتظار يستشيطون غيظا ان لم تتمم رغباتهم سريعا. لا تغضب من المظالمين، أو ممن كان سببا أو واسطة فى آلامك واضطهادك.

١ ـ لا تسرع الى الغضب، أى لا تتسرع فى الغضب من أية اساءة توجه اليك، ولا تتسرع فى اظهار غضبك منها.

٢ ـ لا يدم غضبك، لأنه ان كان الغضب قد يمر فى صدر العاقل كعابر سبيل، الا انه **«لا يستقر الا فى حضن الجهال»** هنالك يستقر ويتأصل ويتخذ له محلا مختارا يصعب اقتلاعه منه. فمن يريد أن يكون حكيما ولا يعطى ابليس مكانا يجب أن لا يجعل الشمس تغرب على غيظه (اف ٤ : ٢٦ و ٢٧).

(٤) وعلينا أن نتتفع بقدر استطاعتنا من كل ما لدينا ع ١٠ : لا تأخذها قضية مسلمة ان **«الأيام الأولى كانت خيرا من هذه»**، و "لا تقل لماذا كانت هكذا" لأنك بذلك **«لست عن حكمة تسأل»** طالما كنت تسأل عن سبب الأمر الذى لم تره ولا تعرف شيئا عنه، فضلا عن أن ادراكك قاصر عن معرفة الزمن الماضى، وقاصر حتى عن الحكم على الزمن

الحاضر، فان كنت بسبب ذلك لا تنتظر جوابا مقنعا لسؤالك **«فليس عن حكمة تسأل»** بل انك بسؤالك تتطاول على التأمل فى عناية الله التى بها يدبر العالم.

ملاحظتان :

الأولى : انه من الغباوة أن نشتكى من رداءة أيامنا طالما كان هنالك ما يدعونا لنشتكى من رداءة قلوبنا. لأنه ان صلحت قلوب الناس صلحت الأيام، وطالما كان هنالك ما يدعونا لشكر الله لأنها لم تأت أردأ مما هى عليه، وطالما كان هنالك ما يمكننا التمتع به من النعم والخيرات حتى فى أشر الأيام، الأمر الذى لا يخفف عنا وطأتها فقط، بل ويكون موضوع تعزية لنا فى وسطها أيضا.

الثانية : ومن الغباوة أن نكثر التكلم عن حسن الأيام الأولى لدرجة نحرم فيها أنفسنا من نعمة الله فى أيامنا الحاضرة، كأن الأجيال الأولى لم يكن لديها نفس ما نشتكى منه نحن الآن، أو كأن الله ظالم وقاس علينا لأنه أوجدنا فى عصر خزفى بالنسبة للعصور الذهبية التى قبلنا. كل هذه الأفكار لا تنشأ الا من عدم قناعتنا ومن رغبتنا فى مناقشة الله الحساب. وعلينا أن لا نظن أن الطبيعة تتلاشى والأخلاق تضمحل، بل لنعرف أن الله صالح أبدا والانسان فاسد أبدا، وان الأيام ان كانت الآن أردأ مما كانت عليه من بعض الوجوه فهى أفضل من وجوه أخرى.

++

١١ ـ الحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل لناظرى الشمس.

١٢ ـ الذى فى ظل الحكمة هو فى ظل الفضة. وفضل المعرفة هو أن الحكمة تحيى أصحابها.

١٣ ـ أنظر عمل الله لأنه من يقدر على تقويم ما قد عوجه.

١٤ ـ فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشر اعتبر. ان الله جعل هذا مع ذلك لكيلا يجد الانسان شيئا بعده.

١٥ ـ قد رأيت الكل فى أيام بطلى. قد يكون بارد يبيد فى بره وقد يكون شرير يطول فى شره.

١٦ ـ لا تكن بارا كثيرا ولا تكن حكيما بزيادة. لماذا تخرب نفسك.

١٧ ـ لا تكن شريرا كثيرا ولا تكن جاهلا. لماذا تموت فى غير وقتك.

١٨ ـ حسن أن تتمسك بهذا وأيضا أن لا ترخى يدك عن ذاك. لأن متقى الله يخرج منهما كليهما.

١٩ ـ الحكمة تقوى الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم فى المدينة.

٢٠ ـ لأنه لا انسان صديق فى الأرض يعمل صلاحا ولا يخطئ.

٢١ ـ أيضا لا تضع قلبك على كل الكلام الذى يقال لئلا تسمع عبدك يسبك.

٢٢ ـ لأن قلبك أيضا يعلم انك انت كذلك مرارا سببت آخرين.

فى هذه الأعداد يمدح سليمان الحكمة، ويقدمها لنا كأحسن علاج لتلك الحالات النفسية الفاسدة التى نحن عرضة للوقوع فيها بسبب ما يتخلل أمور هذه الحياة من البطلان وقبض الريح هنا نجد بعضا من فوائد الحكمة، وبعضا من شروطها.

أولا : أما عن فوائد الحكمة فقد ذكر منها الكثير هنا ليحملنا على السعى والجد فى اثرها.

(١) فهى لازمة لحفظ ممتلكاتنا العالمية ولحسن ادارتها : »**الحكمة صالحه مثل الميراث**« (أو مع الميراث)(١) أى أن الميراث لا يفيد بدون الحكمة. فمهما أعطى الانسان من ثروة، ومهما كانت قد وصلت اليه بسهولة من آبائه، فلا ينتفع منها ان لم يعط الحكمة التى بها يستعملها للغاية التى من أجلها أعطيت له، بل كان خيرا له لو تكن قد أعطيت. ليست الحكمة نافعة للفقراء فقط لتعلمهم القناعة، وتريح نفوسهم، بل هى نافعة للاغنياء أيضا لتدرأ عنهم شر المال، وترشدهم لفعل الخير به. "الحكمة صالحة" فى حد ذاتها، وتجعل الانسان نافعا. ولكن ان أعطى معها ثروة ازداد

(١) حسب ترجمة اليسوعيين والترجمة والانكليزية.

نفعه، واستطاع أن يعمل لجيله ما لا يستطيع عمله من الخير بدونها، واستطاع بها أيضا أن يصنع لنفسه أصدقاء (لو ١٦ : ٩).

"والحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل" لأننا نستطيع أن نملك زمامها أكثر من الميراث وتكسبنا كرامة أفضل وتنيلنا بركات أوفر، وتدوم معنا أكثر مما يدوم معنا الميراث.

(٢) وهى نافعة لنا جدا أثناء عبورنا طريق هذه الحياة : فهى «**أفضل لناظرى الشمس**» (أو فيها فائدة لناظرى الشمس) انها نافعة لمن يحصلون عليها، ولمعاصريهم أيضا. انه جميل أن ننظر الشمس (ص ١١ : ٧) ولكن الأجمل منه أن نحصل على الحكمة. أن نور هذا العالم نافع لنا لاتمام مشاغل الحياة (يو١١ : ٩). ولكن ان لم يكن هذا النور مصحوبا بالحكمة التى بها نسترشد أثناء اتمام هذه المشاغل فلا ينفعنا شيئا. ان استنارة أعين أذهاننا خير بكثير من استنارة أعين أجسادنا.

(٣) وهى تؤدى لسلامنا، وتكون كحصن يقينا من عواصف هذه الحياة وشمسها المحرقة، فهى "**ظل**" "كظل صخرة عظيمة فى أرض معيبة" (اش ٣٢ : ٢). (أو الحكمة حصن والفضة حصن). فكما يجعل الغنى ثروته حصنا له هكذا يجعل الحكيم حكمته حصنا له. «**الذى فى ظل الحكمة هو فى ظل الفضة**»، أى أن الذى فى ظل الحكمة وفى ظل الفضة يسكن آمنا. هنا يقرن سليمان الحكمة بالفضة ليؤيد ما قاله سابقا من أن "الحكمة

++

صالحة مثل (أو مع) الميراث". الحكمة كسور حصين، والثروة كسياج يحمى الحقل من اغارة الأعداء.

(٤) وهى موضوع فرح وسعادة حقيقية للانسان. ان **«فضل المعرفة»** أى المعرفة الالهية، وليس فضلها على المال فقط بل على الحكمة أيضا، الحكمة البشرية، "حكمة هذا العالم" انها **«تحيى أصحابها»**. ان "مخافة الرب" وهى "الحكمة" هى الحياة، لأنها تطيل الحياة. ثروة الناس تعرض حياتهم للخطر، ولكن حكمتهم تدرأ عنهم ذلك الخطر. نعم فكما أن الثروة لا تطيل الحياة الجسدية كذلك الحكمة تهب الحياة الروحية، التى هى عربون الحياة الأبدية. لذلك "فقنية الحكمة كم هى خير من الذهب" (ام ١٦ : ١٦).

(٥) وهى تمنح الانسان قوة، وتكون عمادا له ع ١٩ :**«الحكمة تقوى الحكيم»** تقوى أرواحهم، وتشدد عزائمهم، وتجعلهم يرتكزون على أساس متين. انها تقوى مصالحهم، فتسكبهم شهرة وأصدقاء كثيرين. انها تقويم ليؤدوا عملهم وخدمتهم وسط مصاعب الحياة وآلامها **«أكثر من عشرة مسلطين الذين هم فى المدينة»** : ان الحكماء والصالحين الحقيقيين يكونون فى حماية الله، وبذلك يكونون فى مأمن أكثر مما لو كان يحميهم عشرة مسلطين فى المدينة.

ثانيا : أما شروط الحكمة، تلك الحكمة النافعة لنا بهذا المقدار، فهى :

+++

(١) اننا يجب أن ننظر الله يتداخل بيمينه فى كل ما يصيبنا ع ١٣ : **«أنظر عمل الله»** فلأسكات كل تظلم وشكوى مما يصيبنا من حوادث الزمان يجب أن نثق بأن يد الله تداخلت فيها، ولا نعترض أقل اعتراض على أعماله، لنعتقد بأن كل ظروفنا وكل ما يحدث لنا انما هى "عمل الله"، وانها مبنية على مشورته الأبدية التى تتم فى كل ما يحل بنا. ثق بأن كل أعمال الله رشيدة وعادلة وصالحة، وأن هنالك تناسب عجيب وجمال رائع يحفان بها. وسيتضح أخيرا أنها كانت كلها للخير. فلنمجده اذن فى كل أعماله معنا ولنسع لتحقيق غاياته منها.

"انظر عمل الله" كأمر لا نستطيع أن نحدث فيه أى تغيير أو تبديل. **«من يقدر على تقويم ما قد عوجه»** من يستطيع تغيير طبيعة الأشياء التى قد رتبها رب الطبيعة؟ فان نطق بالتعب من يستطيع أن يوجد الراحة والسلام؟ وان سيج الطريق بالشوك من يستطيع التقدم الى الأمام خطوة واحدة؟ وان نطق بالويلات والمصائب فمن يستطيع منعها؟ فان كنا لا نستطيع تغيير أعمال الله فلننتفع منها بقدر استطاعتنا.

(٢) ويجب أن نسلك بحسب تصرفات العناية الالهية من نحونا، فنؤدى واجب اليوم فى يومه ع١٤ : لاحظ هنا :

١ ـ كيف ان مقاصد العناية الالهية لا يمكن اختلاطها أو امتزاجها ببعضها. كثيرا ما نجد فى هذه الحياة البعض فى نجاح والبعض فى فشل

وضيق فى وقت واحد، وكثيرا ما نجد أشخاصا ناجحين فى وقت ما ورازحين تحت أعباء الفشل والضيق فى وقت آخر، بل كثيرا ما نجد أن حادثتين تحلان بشخص واحد فى وقت واحد، الواحدة سارة والاخرى محزنة. كل ذلك يأتى من يد الله لأن من فمه يخرج الخير والشر وهو قد **«جعل هذا مع ذاك»** (أو ضد ذاك) حتى لا يجد الانسان بينهما سوى ممر قصير وضيقا، وحتى يلاشى الواحد الآخر بتعاقبهما. فالليل يعقبه النهار، الصيف والشتاء. قد جعل هذا مع ذاك حتى ان أتى وقت النجاح نفرح وكأننا لا نفرح. وان أتى وقت الشدة نبكى وكأننا لا نبكى، لأننا قد نرى بوضوح الواحد من الآخر فنبدل الواحد بالآخر.

والله جعل هذا مع ذاك **«لكيلا يجد الانسان شيئا بعده»** كى لا يكون واثقا من حوادث المستقبل، أو من دوام الحال الحاضرة، بل يكون على تمام الاتكال على العناية الالهية، وعلى تمام الاستعداد لكل ما يحدث. أو لكيلا يجد الانسان شيئا من أعمال الله يدعى بأنه يستطيع تغييره.

٢ ـ كيف اننا يجب أن نخضع لارادة الله فى كل من هذين النوعين من الحوادث. يجب أن يكون تديننا على وجه العموم واحدا وثابتا فى كل الحالات، ولكن مظاهره يجب أن تختلف باختلاف حالاتنا الخارجية، وبذلك نستطيع أن نسير وراء الرب.

(أ) **«ففى يوم الخير»** ـ ولاحظ هنا بأن مدة الخير لا تطول أكثر من يوم

++

ـ **«كن بخير»** افعل الخير، واحصل على الخير وابق فى فرح وسرور "واعبد الرب بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شئ" (تث ٢٨ : ٤٧). ان ابتسمت لك الأيام "فافرح فى الرب" واشكره وليكن "فرح الرب هو قوتك" (نح ٨ : ١٠).

(ب) **«وفى يوم الشر»** ـ وهذا أيضا لا تطول مدته أكثر من يوم ـ **«اعتبر»** ان أوقات الشدة هى أنسب الأوقات للتأمل والاعتبار، وفيها يدعونا الرب للتفكير (حج ١ : ٥)، وما لم نمعن النظر طويلا لا نستطيع أن نستخلص لأنفسنا أى خير من تلك الأوقات. ولا نستطيع أن نتمم مقاصد الله من انزال المصائب بنا ما لم نتأمل ونعرف لماذا ولأى غرض حلت بنا. والتأمل نافع وضرورى لنا أيضا للحصول على العزاء وسط تلك المصائب.

(٣) ويجب أن لا نغتاظ لكثرة نجاح الأشرار أو لكثرة المصائب التى تحل بالأبرار فى هذه الحياة ع١٥. فالحكمة توضح لنا ما غمض من أسرار أعمال العناية الالهية، اذ توفقها مع حكمة الله وقداسته وصلاحه وأمانته. يجب أن لا نستغرب ما يحدث من هذا القبيل أمامنا، فسليمان يخبرنا أن هذا ما كان يحدث فى أيامه أيضا : **«قد رأيت الكل فى أيام بطلى»** كنت أراقب عن كثب كل ما يمر بى فلم يحيرنى ولم أدهش من أمر كهذا. لاحظ بأن سليمان مع حكمته الفائقة وعظمته التى كادت تناطح السماء يدعو أيام حياته **«أيام بطلى»** وما ذلك الا لأن أحسن الأيام على الأرض باطلة بالنسبة لأيام الأبدية.

وربما يقصد "بأيام بطله" الاشارة الى أيام ابتعاده عن الله لأنها كانت بالحق أيام بطله، وكانت تغريه للكفر والالحاد، أو على الأقل للفتور فى التقوى لدرجة يظن فيها أن **«البارييد فى بره»** وأن التقوى لا تستطيع أن تخلص الناس من المصائب التى تأتيهم من يد الله بل انها قد تعرضهم للاخطار والمصائب التى يوقعها عليهم الأشرار. لقد با نابوت فى بره (١مل٢١) وهابيل من قبله بزمن طويل.

ورأى أيضا أشرارا تطول أيامهم فى شرهم **«وقد يكون شرير يطول فى شره»** فهم "يحيون ويشيخون نعم ويتجبرون قوة" (أى ٢١ : ٧) بل انهم بريائهم وسطانهم يبعدون عن أنفسهم سيف العدالة.

والآن فى كل هذه **«انظر عمل الله»** ولا تدعه عثرة لك. ان مصائب الأبرار تعدهم للبركات فى المستقبل، والأشرار ولو طالت أيامهم فانهم يسمنون للذبح ويعدون للهلاك. ان الدينونة العتيدة أن تكون ستصلح كل هذا الشذوذ الذى نراه الآن، وغايتها تمجيدا لله واعطاء جميع شعبه حقوقهم كاملة. فعلينا أن ننتظرها بالصبر وطول الأناة.

(٤) الحكمة نافعة لتحذير القديسين فى طريقهم، ولايقاف الأشرار عند حدهم فى طريقهم.

١ ـ أما عن القديسين فانها تعلمهم أن ينموا فى برهم ويثابروا عليه، وفوق ذلك فانها تكون ناصحة لهم لعدم المغالاة فى أى أمر : **«قد يكون**

بار يبيد في بره» ولكن يجب أن لا يضيف تعبا على تعبه بغباوته وغيرته التى ليست حسب المعرفة، وبعد ذلك يعتب على العناية الالهية، ظنا منه أنها عاملته بقسوة.

«لا تكن بارا كثيرا» (بافراط ويزيادة) ع ١٦ ففى اعمال البر أضبط نفسك بقوانين العقل والروية، ولا تنتقل سريعا الى درجة حرارة شديدة لا توافقك أو ضارة بك ولو كنت مقودا فى ذلك بغيرة شديدة لله.

ملاحظة : ان الافراط فى عمل الخير ليس ممدوحا. فانكار الذات واماتة الجسد أمران ضروريان، ولكن ان كنا نتلف بهما صحتنا حتى لا تصلح بعد لخدمة الله كان هذا هو البر الكثير (أو الزائد). وانتهار المسيئين أمر نافع، ولكن ان كنا نلقى دررنا قدام الخنازير التى تعود فتمزقنا كان هذا هو البر الكثير.

«ولا تكن حكيما بزيادة» : لا تكن معجبا أو مغترا بمواهبك. لا تظن فى نفسك أنك أحكم من كل من هم دونك ولا تحاول أن تصدر لهم الأوامر أو الارشادات أو تدينهم. ولا تضع نفسك موضع المنتقد فتخطئ كل ما يقال أو يفعل، ولا تتداخل فيما لا يعنيك كأنك عالم بكل شئ، وتستطيع أن تفعل كل شئ.

«لماذا تخرب نفسك» : كما يفعل الأغبياء بتداخلهم مرارا فى نزاع لا يعينهم. لماذا تغضب ذوى السلطان، وتعاند ولاة الأمور باعتراضاتك التى لا

+++

داعى لها، وبخروجك عن حدك محاولة فى اصلاح بعض المساوئ : "كن حكيما كالحيات" واحترس من الناس.

٢ ـ وأما عن الأشرار فانها ان لم تنجح فى اقناعهم للعدول عن الخطية فانها قد تصدهم وتمنعهم عن التوغل فيها. صحيح انه قد يوجد **«شرير يطول فى شره»** ع ١٥ ولكن يجب أن لا يتخذ أحد ذلك حجة التمادى فى الشر، كلا ! **«لا تكن شريرا كثيرا»** ع ١٧ لا تطلق لنفسك العنان. كثيرون من الذين لا يمكن التأثير عليهم بخوف الله وعذاب جهنم لترك الخطية قد يتركون تلك الخطايا التى تتلف صحتهم وتفنى ثروتهم وتعرضهم للمحاكمة أمام الولاة العالميين لدى قليل من التأمل. وكأن سليمان يقول هنا ان "السلطان لا يحمل السيف عبثا" بل عيناه حادتان ويداه ثقيلتان "ومنتقم للغضب من الذى يفعل الشر" (رو ١٣ : ٤)، فاحذر من أن تقع تحت طائلة قصاصه، ولا تكن غبيا فتعرض حياتك للخطر **«لماذا تموت فى غير وقتك»**.

من المحتمل أن يكون سليمان قد قصد من هذين التحذيرين الاشارة الى بعض رعيته الذين كانوا ينفرون من حكمه، والذين قادوا الثورة بعد موته مباشرة. والظاهر أن بعض رعيته كانوا ينظرون لخطايا حاكمهم ـ سليمان ـ فاضطر أن يقول لهم "لا تكن بارا كثيرا"، والبعض الآخر قد ملوا من حكمة الصارم، ومن خدمة الهيكل ورغبوا فى اقامة ملك آخر فاضطر أن يرهبهم بالانتقام منهم على ارتكابهم للفتن ومخالطتهم للمتقلبين (ام ٢٤ : ٢١).

++

(٥) والحكمة ترشدنا فى الوقت نفسه لعدم المغالاة فى السلوك فى أى طريق، بل تحفظنا دائما متممين واجبنا، وهذا أسلم طريق وأحسن عاقبة ع ١٨ : «**حسن أن تتمسك بهذا**» أى بهذه الحكمة، وبهذا الاهتمام، ولا توقع نفسك فى فخاخ كثيرة. «**وأيضا أن لا ترخى يدك عن ذاك**» لا تطفئ حرارة سعيك واجتهادك ولا تضعف عزائمك عن السلوك فى طريق الفضيلة وضبط النفس. اكبح جماح شهواتك التى تريد أن تجمح بك الى الشر "كفرس أو بغل بلا فهم" (مز ٣٢ : ٩)، وبعد أن تكبح جماحها "لا ترخ يدك عنها" لئلا يكون مثلها ـ ان أطلقت لها العنان ـ كمثل المياه التى ان انسابت يكون من الصعب حجزها ثانية. كن ذا ضمير طاهر، وفى الوقت نفسه كن حريصا ومحترسا ودرب نفسك على ذلك. أضبط نفسك بقواعد الدين فتجد «**ان منتقى الرب يخرج من كليهما**» أى من كل الضيقات والصعوبات التى يعرض نفسه لها ذاك الذى لا يتقى الرب. ان تقوى الرب ومخافته هى تلك الحكمة التى تستطيع أن تخرجنا من كل الضيقات والشدائد. ان متقى الرب لا تكون أمامه سوى غاية واحدة يسعى نحوها، ولذلك تجده مستقيما فى كل ما يفعل. ومن الوجهة الأخرى أيضا قد وعد الرب متقيه أن يرشدهم ولا يثبت خطواتهم فى الطريق المستقيم فقط بل يبعدها أيضا عن كل طريق وعر (مز ٣٧ : ٢٣ و ٢٤).

(٦) والحكمة تعلمنا كيف نسلك من نحو خطايا الآخرين واساءاتهم التى تعمل على اقلاق راحتنا أكثر من أى أمر آخر :

++

١ ـ فالحكمة تعلمنا بأن لا ننتظر أن نجد كل من نعاشرهم بلا لوم ولا عيب، لأننا نحن أنفسنا لسنا بلا عيب، ولن يمكن أن يوجد أى شخص بلا عيب حتى اتقى الناس وأكثرهم صلاحا. هذه «**الحكمة تقوى الحكماء**» وتحميهم من الأخطار التى تنشأ عادة من الغضب ع ١٩ اذ أنها تضبط شعورهم وعواطفهم. فهى تعرفهم أن من يعاملونهم ويعاشرونهم ليسوا ملائكة متجسدين بل ان هم الا بشر خطاة، وانه حتى أكثر الناس صلاحا هم خطاة «**لأنه لا انسان صديق فى الأرض يعمل صلاحا ولا يخطئ**» ع٢٠. لقد صرح سليمان بذلك فى صلاته (١مل ٨ : ٤٦) وفى أمثاله (ام ٢٠ : ٩) وفى وعظه هنا.

ملاحظات :

الأولى : من صفات "الصديق" ان "يعمل الصلاح" لأن الشجرة تعرف من ثمارها.

الثانية : ان أتقى الناس وأكثرهم عملا للصلاح لا يستطيعون أن يقولوا انهم بلا خطية مطلقا، لأنه حتى الذين قد تقدسوا ليسوا بلا خطية، ولأنه لن يوجد أحد على الأرض بلا خطية. "فان قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا" (١ يو ١ : ٨).

الثالثة : اننا حتى فى عمل الصلاح نخطئ، فكل ما نعمله، وأحسن ما نعمله، لابد أن يعتريه النقص بل الفساد. وكل ما نعمله من الصلاح كان

يمكن أن يتمم على وجه أحسن، ولو كان مقبولا أمام الله، ونحن نعلم أن الاهمال فى تأدية الواجب خطية كاهمال تأدية الواجب نفسه.

الرابعة : الصديقون معرضون للخطية والضعف فى هذه الحياة فقط لأن "أرواح الأبرار" ان تخلصت من الجسد "تكملت" فى القداسة (عب ١٢ : ١٣) وفى السماء "تعمل صلاحا ولا تخطئ".

٢ ـ والحكمة تعلمنا أن لا نكون سريعى الانتباه الى اساءات الناس الينا بل أن نغض الطرف نحو الكثير مما يأتينا منها ونتصرف كأننا لم نرها ع ٢١ : **«لا تضع قلبك على كل الكلام الذى يقال»**. لا تؤلم نفسك بانتقادات الناس التى لا أصل لها عنك أو بأفكارهم من نحوك، بل كن "كأصم لا يسمع" (مز ٣٨ :١٣ و ١٤). لا تكن كثير الميل لمعرفة ما يقوله الناس عنك، لأنهم ان تكلموا عنك خيرا زاد ذلك فى كبريائك، وان كان شرا حرك عواطفك وأثار شعورك. اذن فليكن همك الوحيد محصورا فى ارضاء الله، واراحة ضميرك، وبعد ذلك لا تهتم بما يقال عنك. وكما يقول المثل الانكليزى "ان السماعين قلما سمعوا خيرا عن أنفسهم". فان اهتميت بكل كلمة تقال عنك ربما **«تسمع عبدك يسبك»** وهو يظن انك لم تسمعه، وان فتحت أذنك للنمامين فقد يخبروك أن **«عبدك يسبك»** وليس ذلك الا زورا وبهتانا (ام ٢٩ : ١٢). وقد يكون ذلك صحيحا، وقد تسمع أنت بنفسك من وراء الستار فتسمع أنك من أحقر طبقة، من خادم، بل من خادمك نفسه الذى كان يجب عليه المدافعة عنك وعن اسمك وعن جهيع

++

مصالحك.

وقد يكون ذلك خادما أحسنت اليه فجازاك شرا، وهذا يزيدك غضبا وهيجانا، فكان خيرا لك لو لم تسمعه.

وقد يكون خادما أسأت اليه وظلمته، ولأنه لا يستطيع أن يشكو اليك أمره فهو يشكو الى الآخرين والى الله، فمتى سمعته اشترك معه ضميرك فى الشكوى فاشتدت عليك وخزات الضمير القاسية وأقلقت راحتك. ان سمعة أعظم الناس الحسنة موقوفة على الرحمة والاحسان حتى لأصغر الناس. وقد نسمع من الناس شرا يقال عنا أكثر مما كنا نفتكر، ومن أناس ما كنا نظنهم يتكلمون عنا هكذا. فان كنا نهتم بكل كلمة تقال عنا فنحن نعمل على اقلاق راحتنا والتحقير من شأننا مهما ادعينا أننا نأتى ذلك غيرة عليهما.

٣ ـ والحكمة تذكرنا بغلطاتنا ع ٢٢ : لا تتهيج ممن يسبونك أو يضمرون ويحبون لك الشر **«لأنك أنت كذلك مرارا كثيرة»** لو تأملت فى نفسك وراجعت ضميرك لحدثك قلبك بأنك **«سببت آخرين»** تكلمت عنهم بالشر وودت لهم الشر، فأنت يكال لك الآن بالكيل الذى استخدمته نحو غيرك.

ملاحظة : ان أتتنا أية اساءة أو حل بنا أى شر فمن الحكمة أن نراجع ضمائرنا لنعرف ان كنا قد فعلنا ذلك بالآخرين، فان وجدنا بعد التأمل اننا

قد فعلناه. فلننتهز تلك الفرصة لتجديد توبتنا ولتبرير الله فى كل ما يعمل. وان كنا نتألم من أنفسنا حقا كما يجب بسبب قذفنا فى حق الآخرين وانتقادهم لقل تألمنا من الآخرين بسبب قذفهم فى حقنا وانتقادنا. ويجب أن "نظهر كل وداعة لجميع الناس لأننا كنا نحن أيضا قبلا أغبياء (تى ٣ : ٢ و٣، مت ٧ : ١ و ٢، يع ٣ : ١ و ٢).

---

٢٣ ـ كل هذه امتحنته بالحكمة. قلت أكون حكيما. أما هى فبعيدة عنى.

٢٤ ـ بعيد ما كان بعيدا والعميق العميق من يجده.

٢٥ ـ درت أنا وقلبى لأعلم، ولأبحث، ولأطلب حكمة وعقلا ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون.

٢٦ ـ فوجدت أمر من الموت المرأة التى هى شباك وقلبها أشراك ويداها قيود. الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطئ فيؤخذ بها.

٢٧ ـ انظر. هذا وجدته قال الجامعة : واحدة فواحدة لأجد النتيجة.

٢٨ ـ التى لم تزل نفسى تطلبها فلم أجدها. رجلا واحدا بين ألف وجدت، أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد.

٢٩ ـ انظر. هذا وجدت فقط أن الله صنع الانسان مستقيما. أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة.

كان سليمان في كل ما مضى يبرهن بطلان العالم، وعجزه التام عن اسعاد الانسان، أما الآن فيبدأ في ايضاح شر الخطية ونتيجتها المؤكدة في اشقاء الانسان. وهذا يقوم بالبرهان عليه ـ مثل ذلك ـ من اختباره الذى كلفه الحصول عليه مجهودات طائلة. هنا نراه ـ أكثر من أى مكان آخر في هذا السفر ـ يظهر في نفسه صفات التائب الحقيقي. هنا يتأمل فيما كان يبحثه ويخبرنا أن ما قاله هو ما كان يعرفه، وكان واثقا منه، وما كان عازما على أن يعيش بحسبه : «**كل هذا امتحنته بالحكمة**» ع ٢٣. والآن نرى :

أولا : انه اعترف بنقائص حكمته ورثى لها. لقد كانت له الحكمة الكافية التى يرى بها بطل العالم، ويختبر بها. ان هذا العالم لا يكفى أن يتخذه الانسان نصيبا لنفسه من هذه الحياة. ولكن عندما أراد التعمق فى البحث، وجد نفسه فى حيرة شديدة فعيناه أظلمتا، وقواه خانته، ووجد انه ولو استطاع أن يعرف ذلك بالحكمة إلا أن هنالك أمورا كثيرة لم يستطع معرفتها، والبرهان عليها بالحكمة.

(١) فأبحاثه كانت دقيقة. لقد أعطاه الله ميزة الادراك والفهم أكثر من كل من سبقه ومن لحقه، لأنه خصه بقسط وافر جدا من الحكمة، وكانت الفرص سانحة له ليوسع مداركه ويعظم شأنه أكثر مما سنحت لأى شخص آخر. ولذلك فانه:

١ـ عزم على أن يصل الى الهدف الذى كان يقصده بقدر المستطاع : «**قلت أكون حكيما**». لقد كان يسعى نحو الحكمة كأمر ثمين جدا،

+++

وكان يقصدها بعزم ثابت كأمر سهل الحصول عليه، ووطد العزم على أن لا يتنحى عنها (أم ١٨ :١). كثيرون ليست لهم الحكمة لأنهم لم يعزموا على الحصول عليها، أما سليمان فكانت الحكمة هى كل ما يبتغيه، ويصوب نحوه جهوده. وحتى عندما أراد اختبار لذة الشهوات الجسدية وضع نصب عينه أن "يلهج قلبه بالحكمة" (ص ٢ : ٣) دون أن يتحول عن متابعتها. ولكن ربما لم يجده من السهل الذى كان يتوقعه أن يبقى متمسكا بالحكمة فى الوقت الذى كان يمتع نفسه بملذات الجسد. وعلى أى حال فرغبته كانت حسنة، وهى كما قال "قلت **أن أكون حكيما**» ع ٢٣. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد.

٢ ـ فقد عزم على أن لا يدخر وسعا فى هذا السبيل ع ٢٥ :**«درت أنا وقلبى»** درت أنا وقلبى فى كل طريق، لم أترك واسطة الا واستخدمتها للحصول على مقصدى. درت أنا وقلبى **«لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة»** لأكون ملما بكل علم نافع، وبكل فلسفة، وبعلم اللاهوت. لو لم يكن قد حصر كل مجهوداته فى البحث والتنقيب والدرس لكان من الجهل ومن السخرية أن يقول انه اشتهى أن **«يكون حكيما»** لأن الذين يريدون الحصول على غاية ما عليهم الا أن يسلكوا الطريق المؤدية الى تلك الغاية. انه لم يحصر بحثه فى معرفة الأمور السطحية فقط، بل أراد التعمق فى البحث لمعرفة الأمور البعيدة عن نظر الناس. وهو لم يقصر أبحاثه على طريق قصير وبعد ذلك رجع قافلا لأنه لم يجد ما كان يطلبه ولكنه تعمق فى البحث

ودار فى كل طريق. وهو لم يبحث لمعرفة الأمور فقط، بل لمعرفة أسبابها ونتائجها أيضا، ليستطيع أن يعطى وصفا دقيقا عنها.

(٢) ورغم كل ذلك لم تأت تلك الأبحاث بالنتيجة المطلوبة : **«قلت أكون حكيما. أما هى فبعيدة عنى»**. لم أستطيع أن ألم بأطرافها. بعد كل تلك الأبحاث عرفت انى لا أعرف شيئا، وكلما ازددت معرفة وجدت أن هنالك أمورا كثيرة يجب معرفتها، وكلما ازددت ايقانا بجهلى.**«بعيد ما كان بعيدا والعميق العميق من يجده»**. والذى يقصده هنا من البعيد والعميق هو الله نفسه وأعماله، فانه عندما كان يبحث فى الله وفى أعماله كان يجد نفسه فى شديد الحيرة والارتباك. "هو أعلى من السموات فماذا عساك أن تفعل. أعمق من الهاوية فماذا تدرى" (أى ١١ :٨). ولكن شكرا لله لأن كل ما يجب علينا عمله سهل وواضح كل الوضوح "كلها واضحة لدى الفهيم ومستقيمة لدى الذين يجدون المعرفة (ام ٨ :٩) "والكلمة قريبة منا" (رو ١٠ :٨)، على أن هنالك أمورا كثيرة اشتاق لمعرفتها ولكنها بعيدة وعميقة جدا، وهى من الأسرار التى لا تخصنا(١). وربما كان من الجهل المطبق والخطأ الفادح من سليمان أن يشكو هنا من أن ملذاته قد أعمت عينيه، ووضعت عليها غشاوة، فلم يستطع الوصول الى الحكمة الحقيقية التى كان يقصدها.

(١) "السرائر للرب الهنا، والمعلنات لنا ولبنينا" (تث ٢٩ : ٢٩).

++

ثانيا : واعترف بمظاهر غباوته وشكا منها بمرارة، لأنه ازداد فى هذه الغباوة بقدر نقصانه فى الحكمة. هنا نجد :

(١) بحثه عن شر الخطية : "درت أنا وقلبى.. **لأعرف الشر انه جهالة والحماقة انها جنون» لاحظ هنا** :

١ ـ ان معرفة الشر صعبة المنال، فسليمان عانى كثيرا من المشقات فى سبيل الوصول اليها. ان للشر كثيرا من الأثواب التى يتستر بها ويتوارى عن أعين الناس، ومن الصعب جدا نزع تلك الأثواب عنه ليظهر فى شكله الحقيقى.

٢ ـ ومن الضرورى ـ ان أردنا التوبة عن الخطية ـ أن نعرف شرها جيد المعرفة، كما انه من الضرورى للشفاء من أى مرض أن نعرف أصله وأسبابه وأضراره. ولهذا فقد عظم بولس الرسول الناموس لأنه كشف له النقاب عن الخطية (رو ٧ : ٧).

وسليمان الذى حصر مجهوده فى الملذات، وفى اتباع شهواته الجسدية فى أيام غباوته، نراه ـ وقد فتح الله عينيه ـ يحصر مجهوده فى معرفة شر الخطية، وبذلك يسيج توبته بحصن منيع. ان الحاذقين فى الشر يجب أن يكونوا حاذقين أيضا فى التوبة، لأن الحذق والذكاء يجب أن يكونا من ضمن غنائم الرجل القوى المتسلح التى يقسمها الرب يسوع ويوزعها على شعبه الظافر المنتصر.

٣ ـ ويحسن جدا بالتائبين أن يشنعوا فى الخطية بقدر ما يستطيعون. ولكى يزداد سليمان فى اخضاع نفسه واذلالها نرا ه :

١ ـ يزداد فى التعمق فى معرفة شر الخطية. فأكثر ما كان يوجه نحوه جهوده أن "يعرف الشر انه جهالة". وربما يقصد بذلك شره هو شخصيا، أى خطية النجاسة التى ارتكبها هو، لأن هذه كانت تدعى "قباحة (أو جهالة) فى اسرائيل" (تك ٣٤ : ٧، تث ٢٢ : ٢١، قض ٢٠ : ٦,٢ صم ١٣ : ١٢). فهو عندما كان يرتكبها كان مستخفا بها، أما الأن فقد أراد معرفة شرها بل "شرها العظيم" كما يصفها يوسف (٣٩ : ٩).

وربما قصد بها شر الخطية بنوع عام، فأغلب الناس يميلون لتخفيف خطاياهم بقولهم انهم فعلوها "بجهالة". أما سليمان فرأى الشر كل الشر فى هذه الجهالة، وانها اهانة لله وتعذيب للضمير. "هذا شر" (ار ٤ : ١٨، زك ٥ : ٨).

(ب) ويزداد فى التعمق فى معرفة جهالة الخطية. فكما انه يوجد شر فى الجهالة كذلك توجد جهالة فى الشر، بل «**حماقة وجنون**». فالخطاة المصرون على خطاياهم جهلاء ومعتوهون، فهم يعملون ضد العقل وضد مصلحتهم الحقيقية.

(٢) نتيجة هذا البحث :

١ ـ لقد كشف له النقاب الآن أكثر من أى وقت آخر عن شر تلك

الخطية العظمى التى ارتكبها هو نفسه وهى "محبة نساء غريبة كثيرة" (١مل ١١ : ١). هذا هو الأمر الذى يرثى له هنا بمرارة وبأرق العبارات.

(أ) انه وجد أن مجرد ذكر الخطية مخزن جدا. فما أشد وطأتها وما أثقلها على نفسه، وبالعمق الأحزان التى كان يغوص فيها لمجرد التفكير فيها والتأمل فيما ارتكبه من الشر والجهالة والحماقة والجنون. "وجدت هذا أمر من الموت" عندما كان يتأمل فيها كان يعتريه الرعب كأنه تحت قبضة الموت. فكل من يضعون خطاياهم نصب أعينهم يئنون ويصرخون منها، لأنها مرة كالحنظل، بل مرة كالموت لكل التائبين الحقيقيين. وللنجاسة على الضمير وخزات أقسى من وخزات الموت. بل أن الموت قد يكون شريفا ومريحا، أما هذه الخطية فلا يمكن الا أن تكون عارا وألما (ام ٥ : ٩ و ١١).

(ب) ووجد أن التجربة التى تجر الانسان للخطية خطرة جدا، وانه من الصعب بل من المستحيل على الذين يستسلمون للتجربة أن يتخلصوا من الخطية، وعلى الذين يسقطون فى الخطية أن يرجعوا عنها بالتوبة. ان قلب المرأة الزانية "اشراك" فهى تستعمل فى هلاك النفوس نفس المهارة والخداع اللذين يستعملها الصياد لصيد الطيور فى فخاخه واشراكه. والطرق التى يستعملها الخطاة مضللة ومهلكة مثل الاشراك. والنفوس الغافلة تصاد فى تلك الشراك بطعم اللذة الذى تأكله وتظن أنها تجد فيها اللذة والراحة، ولكنها سرعان ما تقع فى تلك الشراك حيث لا مفر ولا منقذ.

++

«ويداها قيود» تمسك بها كل من يقع فى قبضة يدها، فهو "بحبال خطيته يمسك" (ام ٥ : ٢٢). فالشهوة تزداد قوة متى تممت.

(جـ) ووجد أن من أسمى مظاهر محبة الله للانسان أن يحفظه من تلك الخطية بنعمته : **«الصالح قدام الله ينجو منها»** أما بعدم تعرضه للتجربة للوقوع فى تلك الخطية أو بعدم انغلابه للتجربه. فالذين ينجون من تلك الخطية يجب أن يعترفوا بأن الله هو الذى نجاهم، وانهم لم ينجوا بقوتهم الشخصية، ويعترفوا بأن هذه رحمة عظيمة من الله. والذين يريدون أن ينجو من تلك الخطية عليهم أن يكونوا "صالحين قدام الله"، ويرضوه فى كل شئ بحفظ شعائره (لا ١٨ :٣٠).

(د) ووجد أن هذه الخطية هى أعظم قصاص يمكن أن يحل بانسان فى هذه الحياة : **«والخاطئ يؤخذ بها»**.

أولا : ان الذين يستسلمون للخطايا الأخرى التى تعمى بصائرهم وتدنس ضمائرهم يكون من السهل جدا وقوعهم فى تلك الخطية.

ثانيا : والله بعدل وحق يتركهم لأنفسهم فيقعون فيها، انظر (رو١ : ٢٧ و ٢٨، اف ٤ : ١٨ و ١٩).

٢ ـ كذلك كشف له النقاب الآن، أكثر من أى وقت آخر، عن فساد الطبيعة البشرية العام. اذ قد تتبع ذلك المجرى حتى وصل الى منبعه، كما فعل أبوه من قبله فى ظرف كهذا (مز ٥١ : ٥) "هانذا بالاثم صورت".

++

(أ) فهو قد حاول أن يعرف مقدار تعدياته وعددها ع ٢٧ : «**انظر. هذا وجدته**» أى هذا ما رجوت أن أجده، ظننت انى أستطيع أن أعرف غلطاتى وأصفها فى قائمة، أو على الأقل مواضيعها، ظننت انى أستطيع عدها «**واحدة فواحدة لأجد النتيجة**». أراد كشخص تائب أن يعرفها حتى يعترف بها، ولذلك فبقدر ما نعرف خطايانا بالتفصيل واحدة فواحدة فى الاعتراف بقدر ما نشعر بقيمة الغفران. وأراد أيضا كواعظ أن يعرفها ليستطيع أن يحذر الآخرين.

ملاحظة : يجب علينا كلما عرفنا خطايانا أن نزداد رغبة للتعمق فى معرفة عيوبنا، حتى يكشف لنا ما لم نكن نراه من قبل (أى ٣٤ : ٣٢).

(ب) ولكنه فى الحال وجد نفسه فى حيرة وأدرك أن خطاياه لا تحصى ع ٢٨ : «**التى لم تزل نفسى تطلبها**». انى لا أزال أحصيها ولا أزال راغبا فى معرفة النتيجة ولكنى "لم أجدها"، لا أستطيع حصرها. لا أزال أجد اكتشافات جديدة ومدهشة عن أخطار الشر الذى يملأ قلبى (ار ١٧ : ٩و ١٠).

"من يعرفه" ، "السهوات من يشعر بها" (مز ١٩ : ١٢) لقد وجد أنه لو ناقشة الله لحساب أو لو حاسب هو نفسه عن كل أفكاره وكلماته وأعماله، لما استطاع "أن يجيبه عن واحد من ألف" (أى ٩ : ٣). وهذا يوضحه بمقارنة فساد قلبه وحياته بفساد العالم، حيث لم يجد رجلا صالحا واحدا

بين الألف الا بالجهد «**رجلا واحدا صالحا من ألف وجدت**»، بل انه من الألف امرأة والسرارى التى كانت له لم يجد امرأة واحدة صالحة «**أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد**».

وربما كان يحدثه قلبه أيضا هكذا : انى عندما أستعيد ذاكرتى، وأتأمل فى أفكارى وكلماتى وأعمالى وكل تصرفات حياتى الماضية، قد لا أجد الا فكرة واحدة صالحة، أو عملا صالحا واحدا، بين الألف، أما البقية فيعتريها النقص أو الفساد. انه قد وجد انه أخطأ فعل الصلاح ع ٢٠ . والأكثر من ذلك انه فى وقت زيغانه وميل قلبه وراء النساء الغريبات قد لا يوجد عمل صالح واحد بين الألف. عند ما تسمو حياتنا وتصلح سيرتنا قد تفتش فى قلوبنا فلا نجد فيها سوى القليل من الخير، بل قد لا نجد شيئا مطلقا فى بعض الأحيان.

ولا شك فى أن سليمان لا يقصد فى كلامه هنا الحكم على النساء بوجه عام، كلا! فقد يوجد بل قد وجد بعض النساء أصلح من الرجال (١ع ١٧ : ٤ و ١٢)، ولكنه قصد الاشارة الى اختباراته وظروفه المحزنة.

وربما استطعنا أن نعلل كلامه هذا بتعليل آخر وهو انه قد حذرنا فى سفر الامثال من اشراك الرجل الشرير والمرأة الغريبة (ام ٢ : ١٢و ١٦، ٤ : ١٤، ٥ : ٣)، أما الآن وقد علم واختبر أن طرق المرأة الشريرة أشد خطرا من طرق الرجل الشرير، وان خداعها وغواياتها أبعد للوصول الى معرفتها

من خداع غوايات الرجل، فانه يحذرنا منها بنوع أخص، ويقرر بأن نجاسة قلب المرأة لا يمكن الوصول الى معرفتها.

(جـ) وهو لذلك يتتبع مجرى الخطية حتى ينبوعها الأصلي. ان مصدر كل حماقة وجنون في هذه الحياة هو في ابتعاد الانسان عن الله وتركه حالة صلاحه الأولى ع ٢٩. "انظر. هذا وجدت فقط" انى وان كنت لم أستطع معرفة التفاصيل الا أن النتيجة الاجمالية واضحة كل الوضوح وهى ان الانسان فاسد ومتمرد وليس على الصورة التى خلق فيها. لاحظ هنا :

أولا : كيف خلق الله الانسان بحكمته وصلاحه : «**ان الله صنع الانسان مستقيما**» (أو "صنع آدم الانسان الأول" حسب النسخة الكلدانية). عندما خلق الله الانسان خلقه "مستقيما" كما يليق بخليقة ناطقة عاقلة. "مستقيما" أى لا شئ من الشذوذ أو العيب فيه أو "الاختراعات الكثيرة" التى مال وراءها فيما بعد. عندما خرج الانسان من يد الله كان صورة مصغرة من صانعه المعروف عنه بأنه "صالح ومستقيم" (مز ٢٥ : ٨).

ثانيا : كيف فسد وتشوهت خلقته بسبب حماقته وفساده : «**أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة**» أو "اختراعات عظيمة" كما يقرأها البعض) لكى يكونوا عظماء كالله (تك ٣ : ٥). أو "اختراعات العظماء" (كما يقرأها البعض الآخر) من الملائكة التى سقطت. وعوضا عن أن يقنع الانسان بما أوجده له الله طلب تحسين حالته، وما مثله فى ذلك الا مثل الابن الضال

الذى ترك بيت أبيه ليطلب لنفسه مركزا وعملا أفضل. وعوضا عن أن يعيش لله اعش للكثيرين، وعوضا عن اتمام مقاصد الله سعى فى اتمام اختراعاته. وأراد أن يتصرف كما يشاء، ويسير وراء عواطفه وميوله. الانسان الفاسد يريد أن يكون أحكم من خالقه ولذلك **«طلب اختراعات كثيرة»**. ان الذين يتركون الله يتيهون فى برية هذا العالم ولا يجدون نهاية لضلالهم. ان خطايا الانسان تزداد كل يوم عن سابقه، ولذلك لم يستطيع لسليمان احصاءها بل وجد أنها كثيرة جدا. فللخطية أنواع شتى، وهذه تتكرر كل يوم. انها "أكثر من شعر رؤوسنا" (مز ٤٠ : ١٢).

++

* الاصحاح الثامن *

فى هذا الاصحاح يصف لنا سليمان الحكمة كأعظم دواء يدرأ عنا أخطار التجارب التى تنشأ عادة من بطلان العالم. وفيه نجد :

أولا : فوائد الحكمة وحسناتها ع ١ .

ثانياً : بعض أمثال من الحكمة.

١ ـ الخضوع خضوعاً تاماً للسلطة والحكومة التى أقامها الله علينا ع ٢ ـ ٥ .

٢ ـ الاستعداد للطواريء الفجائية، وبنوع أخص للموت الفجائى ع ٦ ـ ٨ .

٣ ـ احتمال الحكومة الظالمة، ولا نظنه أمراً غريباً أن كانت كذلك ع ٩، ١٠ . وان كان عدم قصاص الظالمين يجعلهم يتوغلون فى شرورهم ع ١١ . الا أن النتيجة ستكون خيراً للمتقين وشراً للظالمين ع ١٢و١٣ ولذلك يجب أن لا نتعثر عندما نرى الأشرار ناجحين، والأبرار متألمين فى هذه الحياة ع ١٤ .

٤ ـ وان نتمتع بخيرات الله بفرح وبهجة قلب ع ١٥ .

٥ ـ أن نخضع لإرادة الله بكل ارتياح وسرور، ونخشع أمام مشورته التى لا يستطيع العقل البشرى الوصول الى عمقها. عالمين بأنها رشيدة وصالحة ع ١٦ و ١٧ .

١ ـ من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر. حكمة الانسان تنير وجه وصلابة وجهه تتغير.

٢ ـ أنا أقول احفظ أمر الملك وذاك بسبب يمين الله.

٣ ـ لا تعجل الى الذهاب من وجهه. لا تقف فى امر شاق لأنه يفعل كل ما يشاء.

٤ ـ حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان. ومن يقول له لماذا تفعل.

٥ ـ حافظ الوصية لا يشعر بأمر شاق، وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم.

فى هذه الأعداد نجد :

أولا : ثناء على الحكمة ع ١ أى على التقوى الحقيقية المصحوبة فى كل أعمالها ومظاهرها بالفطنة والذكاء والحكمة. ان الرجل الحكيم هو الرجل الصالح الذى يعرف الله ويمجده، ويعرف نفسه ويحسن اليها، فتصير حكمته له سعادة عظمى.

١ ـ لأنها تعظمه وترفعه فوق أقرانه : « **من كالحكيم؟** » :

ملاحظة : الحكمة السماوية ترفع صاحبها لدرجة لا ينافسه فيها منافس. فمن كانت له نغمة حقيقية، وكان مقبولا أمام الله، يصير أفضل بكثير ممن خلا من النعمة، مهما كان عالماً أو شريفاً أو غنياً.

٢ ـ وتجعله نافعاً لأقرانه : «**من يفهم تفسير أمر**» سوى الحكيم؟ أى

+++

يفهم أوقاته وظروفه ودقائقه، وبذلك يعرف ما يجب أن يعمله اسرائيل" (١ أى ١٢ : ٣٢).

٣ ـ وهى تجمل الانسان وتحسنه فى نظر أقرانه، فهى **«تنير وجهه»** كما كان وجه موسى عند نزوله من الجبل. انها تلبس الانسان كرامة، وتكسبه شهرة، وتزيده احتراما ووقارا كأيوب (أى ٢٩ : ٧) .. الخ، وتجعله محبوبا وعزيزا فى أعين أهل بلده. **«وصلابة وجهة تتغير»** بواسطتها فتتحول الى بشاشة ووداعة. بل هى تغير حتى الخشنى الطبع، وتصيرهم ودعاء ولطفاء، وتعلمهم أن يكونوا باشين.

(٤) وهى تقوى الانسان ضد خصومه، وضد مكائدهم واساءاتهم "وصلابة وجهه تتغير" أو "وعر وجهه يضاعف" (أنظر هامش الكتاب). انها تزيده شجاعة ليبقى على نزاهته وأمانته، لأنها تمكنه من الدفاع عن الحق ومن فهم كل الأمور وتفسيرها : "انه لا يجزى بل يكلم الأعداء فى الباب". (مز ١٢٧ : ٥).

ثانيا : مثالا من أمثلة الحكمة التى يذكرها لنا سليمان، وهو الخضوع للسلطان واطاعة الحكومة التى أقامها الله علينا.

لاحظ هنا :ـ

(١) كيف يصف واجبات الرعية :

١ ـ يجب أن نلاحظ القوانين. يجب أن نخضع لأوامر ونظامات السلطة

المدنية فى كل ما تتداخل فيه، سواء فى الأمور التشريعية أو القضائية **«أنا أقول»** أو أنا آمر لا كملك فقط، بل كواعظ أيضا، لأنه يملك كليهما، أنا أقول لكم ـ مهما قال الآخرون المتلونون ـ انه من ضمن مظاهر الحكمة أن **«تحفظ أمر الملك»** اخضع لكل من أعطى السلطان. "لاحظ فم الملك" (حسب النص الأصلى). قل كما يقول هو، وافعل كما يأمرك، ودع كلماته قانونا، أو بالحرى دع القانون كلمته.

يظن البعض أن العبارة التالية تحديد لتلك الطاعة التى يأمرنا بها كأنه يقول "احفظ أمر الملك" وفى الوقت نفسه ضع نصب عينيك **«يمين الله»** أى لا تنس أن يكون لك ضمير صالح، وأن لا تهمل فى واجباتك من نحو الله التى هى أفضل من واجباتك من نحو الملك. "اعط ما لقيصر لقيصر" وفى الوقت نفسه لا تنس أن "تعطى ما لله لله".

٢ ـ يجب أن لا نتسرع فى أن نخطئ الادارة العامة، أو نقاوم كل ما لا يقبله عقلنا، أو نترك وظيفتنا ـ التى نقوم فيها بخدمة الحكومة ـ بسبب أى نزاع شخصى ع٣ **«لا تعجل الى الذهاب من وجهه»** عندما يغضب عليك (ص ١٠ : ٤) أو عندما تغضب أنت منه، لا تهرب وأنت فى حدتك، ولا تترك خدمته، أو مملكته، بسبب أى أمر يسيئك. لقد سار رعية سليمان على العكس من هذه الوصية بمجرد موته. فانهم عندما جاوبهم رحبعام بغلظة وفظاظة "تعجلوا الى الذهاب من وجهه" ولم يتريثوا حتى

يتشاوروا، أو يتفاوضوا معاً، بل صرخوا فى الحال "الى خيامك يا اسرائيل". قد يكون هنالك سبب معقول "للذهاب من وجهه". ومع كل ذلك "لا تتسرع" فى الأمر، بل تصرف بكل ترو وتبصر.

٣ ـ ويجب أن لا نصر علي الخطأ أن ظهر لنا "لا تقف فى أمر شاق" (أو فى أمر شرير) ، أن ارتكبت جرما فى حق الرئيس أو الملك فانتهر نفسك من أجله، ولا تحاول تبرير نفسك فى ارتكابه، لأن ذلك يزيده شناعة. وان قصدت شرا للملك بسبب عدم رضائك عنه فلا تتمه، بل "أن حمقت بالترفع وأن تآمرت فضع يدك على فمك" (أم ٣٠ : ٣٢).

ملاحظة : أن كنا نجرب فى بعض الأحيان بالشر وبفعل الشر فلا ينبغى لنا التمسك به حالما يظهر لنا بأنه شر.

٤ ـ ويجب أن نوفق أنفسنا على ظروفنا، لأن فى ذلك راحة لنا أن كنا نظن أننا قد أسيء الينا، وتخفيفاً للمصائب العامة "قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم" ع ٥ أنه من حكمة الرعية أن يراعوا ويبحثوا عن أنسب الظروف، وأحسن الطرق التى بها يخدمون ملكهم، وبذلك يهدئون روعه فى وقت الغضب، وينالون رضاءه. فاستير فى مقابلتها لاحشويروش راعت كلاً من "الوقت والحكم" وبهذه الطريقة نجحت فى مسعاها. قد تتخذ هذه كقاعدة عامة للحكمة أن يعمل كل أمر فى أنسب وقت له، وبذلك تنجح كل مساعينا.

(٢) الحجج التى أدلى بها الينا هنا ليعلنما الخضوع للسلطات العليا، وهى تشابه كل الشبه تلك الحجج التى ذكرها بولس الرسول (رو ١٣ : ١ الخ).

١ ـ يجب أن نخضع لتلك السلطات العليا **«بسبب الضمير»** (رو ١٣ : ٥) وهذا أقوى مبدأ للخضوع. يجب أن نخضع **«بسبب يمين الله»** يمين الطاعة الذى به آلينا على أنفسنا أن نكون أمناء للحكومة، **«العهد الذى قطع بين الشعب وبين الملك»** (٢ أى ٢٣ : ١٦). لقد قطع داود عهداً مع جميع شيوخ اسرائيل (١ أى ١١ : ٣) مع أنه كان معينا عليهم ملكاً من الله. **«احفظ أمر الملك»** لأنه قد أقسم أن يملك عليك بخوف الله، ولأنك قد أقسمت أن تكون أميناً له، أنه قد دعى "يمين الله" لأن الله شاهد عليه، وسينتقم ممن يكسره.

٢ ـ **«بسبب الغضب»** أى بسبب السيف الذى يحمله الملك، وبسبب السلطان الذى أؤتمن عليه، الامر الذى يزيده عظمة: فإنه **«يفعل ما يشاء»**. أن له سلطاناً عظيماً وقدرة عظيمة لحفظ هذا السلطان ع٤ **«حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان»**. أن أصدر أمراً وجد الكثيرون لينفذوه، الأمر الذى يجعل "حنق الملك كزمجرة الأسد ورسل الموت" (ام ١٩ : ١٢، ١٦ : ١٤). **«ومن يقول له ماذا تفعل؟»** فمن خالفه عرض نفسه للخطر. فالملوك لا يحتملون أن يروا أوامرهم تناقض، بل ينتظرون ويحبون أن تطاع.

++

وبالاختصار أن من يزحم البحر يغرق، لأنه ليس هنالك أقل تناسب بين أى فرد من الرعية وبين الملك.

٣ ـ بسبب راحتنا نحن: «**حافظ الوصية**» الذى يعيش حياة هادئة «**لا يشعر بأمر شاق**»، وهذا يشبه ما قاله بولس فى (رو ١٣ : ٣) «**أفتريد أن لا تخاف السلطان، افعل الصلاح**» كأحد أفراد الرعية المخلصين الأمناء وعندئذ «**يكون لك مدح منه**». أن ما لا يفعل الشر لا يشعر بالشر ولا يخاف من أى شخص فى الحياة.

٦ ـ لأن لكل أمر وقتاً وحكما، لان شر الانسان عظيم عليه.

٧ ـ لأنه لا يعلم ما سيكون. لأنه من يخبره كيف يكون؟

٨ ـ ليس لانسان سلطان على الروح ليمسك الروح، ولا سلطان على يوم الموت، ولا تخلية في الحرب، ولا ينجي الشر أصحابه.

قرر سليمان فى ع٥ أن "قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم" أى أن حكمة الانسان تنبئه بكثير من حوادث المستقبل. أما هنا فيبين أن هذه الحكمة لا يحصل عليها الا القليلون، وانه قد يدهش أحكم الحكماء من حادثة تحل بهم لم يكن لهم أقل فكرة عنها، ولذلك فمن الحكمة أن ننتظر الحوادث والتغييرات الفجائية ونستعد لها.

لاحظ هنا :

(١) أن كل الحوادث الخاصة بنا معينة بمشورة الله وسابق علمه، ووقتها محدد. "لأن لكل أمر وقتا" وقتا محدداً من قبل، وهو أنسب وقت، لأنه قد تحدد بالحكمة والحق لا بالجهل والاثم.

(٢) نحن نجهل كل الجهل جميع ما يختص بحوادث المستقبل وبأوقاتها وظروفها: «**لأنه من يخبره كيف يكون؟**» ومتى يكون؟ ع٧. فالانسان لا يستطيع أن يراه، ولا يمكن لأحد أن يخبره عنه، ولا يمكن للنجوم أم السحرة أن تخبره بما سيكون. فالله بحكمته أخفى عنا معرفة كل حوادث المستقبل حتى نكون على استعداد للطوارىء فى كل حين.

(٣) وانه من شقائنا وتعاستنا لا نعرف كيف نتجنب الشر ونتقيه لأننا لا نستطيع أن ننبىء عنه قبل وقوعه، وأن لا نعرف كيف ننتفع من الظروف الحسنة لأننا لا نستطيع معرفتها قبل مجيئها: «**لأن لكل امر**» طريقاً واحدا، وخطة واحدة، وفرصة ،احدة مناسبة، لذلك فإن «**شر الانسان عظيم عليه**» لأنه من الصعب جداً الوصول الى ذلك الأمر، بل أن الفشل فى الوصول اليه مؤكد تسعمائة تسعة وتسعين فى الألف. أن معظم الشقاء الذى يرزح تحته الانسان كان من الممكن التخلص منه لو كان فى استطاعته رؤيته قبل وقوعه. والناس يشقون ويتعبون لأنهم تنقصهم بعض الحكمة والفطنة والانتباه بالقدر الكافى.

++

(٤) ومهما استطعنا التخلص من بعض الشرور الا أننا جميعاً تحت خطر داهم ألا وهو الموت ع ٨.

١ ـ فان حل الوقت الذى تطلب فيه النفس وجب علينا تسليمها لأننا لا نستطيع حجزها لا بالسيف ولا بالتوسل والتضرع، لا بأنفسنا ولا بأحد أصدقائنا: «**ليس لانسان سلطان على الروح** (أى على روحه) **ليمسك الروح**» . أن حل الوقت الذى ترجع فيه الى الله معطيها. أنها لا تستطيع الهروب الى أى مكان للتخلص من يد الموت، ولا تستطيع أن تتوارى من عين الموت ولو أنها مخفية عن أعين جميع الأحياء.

ليس لإنسان سلطان على تأجيل يوم موته، ولا يمكنه تأجيل قصاصه مهما أكثر من التضرع والتوسل، لأن هنالك لا يقبل ضامن أو ضامنة.

وليس لإنسان سلطان على روح غيره ليمسكها، فالملك أو الأمير بكل ما أوتى من سلطان لا يستطيع اطالة حياة أى شخص من رعيته مهما سمت تلك الحياة، ولا الطبيب بكل ما أوتى من براعة، ولا الجندى بما لديه من بأس وشجاعة، ولا الخطيب ببلاغته وفصاحته، ولا القديس بتوسلاته. فان دنت ساعتنا الأخيرة لا يمكن شل يد الموت بأى حال من الأحوال.

٢ ـ والموت عدو لابد لنا جميعاً من الصراع معه أن عاجلاً أو آجلاً: «**ولا تخلية فى الحرب**» (فى تلك الحرب) لا يتخلص من الدخول فى ميدانه لا صاحب الأعمال، ولا ضعيف القلب كما كان يحصل بين

اليهود (تث ٢٠ : ٥ ، ٨). أننا طالما كنا فى هذه الحياة فنحن نصارع مع الموت ولا نتخلص من هذا الصراع الا عندما نتخلص من الجسد ويسود علينا الموت، الصغير لا ينجو منه لصغر سنه، والكبير لا ينجو لشيخوخته. الموت صراع لابد من الاشتراك فيه، فلا صديق ينوب عنا، ولا قائد يحارب عنا، بل لابد لنا من الاشتراك فيه بأنفسنا، والتزود بكل ما يلزمنا فيه كما يتزود الجندى وقت الحرب بجميع لوازمه الضرورية.

٣ ـ وشر الناس الذى طالما نجوا به من عدل الملك وقصاصه لا يستطيع أن يخليهم من قبضة الموت «**ولا ينجي الشر أصحابه**» فمهما قسا قلب الخاطىء كالصخر الا أنه لابد أن يلين أمام مخاوف الموت، ومهما "اعتز بفساده" (مز ٥٢ : ٧) فلا يستطيع أن يعتز أمام الموت. أن أعظم الشرور لا تقوى على مراوغة الموت. بل أن الشر الذى يسلم الخطاة أنفسهما اليه لا يفشل قط فى تخليصهم من الموت، بل يسلمهم هو بنفسه الى قبضة الموت.

٩ ـ كل هذا رأيته اذ وجهت قلبى لكل عمل تحت الشمس وفيما يتسلط انسان على انسان لضرر نفسه.

١٠ ـ وهكذا رأيت أشرار يدفنون، وضموا والذين عملوا بالحق ذهبوا من مكان القدس ونسوا فى المدينة. هذا أيضاً باطل.

١١ ـ لأن القضاء على العمل الردىء لا يجرى سريعاً فلذلك قد

++

امتلأ قلب بنى البشر فيهم لفعل الشر.

١٢ ـ الخاطىء وان عمل شرا مئة مرة، وطالت أيامه، الا أنى أعلم أنه يكون خير للمتقين الله، الذين يخافون قدامه.

١٣ ـ ولا يكون خير للشرير، وكالظل لا يطيل أيامه، لأنه لا يخشى قدام الله.

بعد أن حذرنا الجامعة فى أول الاصحاح من التداخل فى الفتن والمشاغبات نراه فى هذه الأعداد يشجعنا ويقوى عزائمنا وقت سيادة الحكام الظالمين، كالذين سبق أن اشتكى منهم فى (ص ٣ : ١٦، ٤ : ١).

(١) لقد لاحظ حكاما كثيرين كهؤلاء ع٩. لاحظ فى كل المناظر التى رآها عن بنى البشر وأحوالهم أنه كثيراً ما «**تسلط انسان على انسان لضرر نفسه**» أى :

١ ـ لضرر المحكوم (كما يؤولها الكثيرون). فبدلا من أن يحكم الحكام "كخدام الله للصلاح" والخير (رو ١٣ : ٤) لاجراء الحق وحفظ النظام والسلام بين رعيتهم فانهم يستخدمون سلطانهم لضررهم، وسلب أمتعتهم، والحجر على حريتهم، وتوطيد دعائم الظلم والجور. فيا لشقاء ذلك الشعب الذى يعمل حكامه على هدم دعائم الدين وسلب حقوقه بدلاً من العمل على حفظها.

+++

٢ ـ ولضرر الحاكم نفسه: «**لضرر نفسه**» أى لازدياد كبريائه ومطامعه، ولاشباع شهواته الجسدية، وتنفيذاً لرغبته فى الانتقام، أو بالحرى لملء مكيال خطاياهم والاسراع فى هلاكهم. وكما يقول المثل الاتينى أن ما يعمله الناس من الضرر للآخرين سيعود بالضرر على أنفسهم فى النهاية.

(٢) ولاحظ سليمان أنهم ينجحون فى أعمالهم، ويزدادون فى اساءة استعمال ما أوتوا من السلطان ع ١٠ «**رأيت أشرار..ذهبوا من مكان القدس**» (أو دخلوا وخرجوا من مكان القدس) أى رأيت الحكام الأشرار يدخلون ويخرجون فى عظمة من مكان القضاء الذى يدعى "مكان القدوس لأن "القضاء لله" (تث ١ : ١٧) ولأن الله "فى وسط الآلهة يقضى" (مز ٨٢ : ١) ولانه يكون "مع القضاة فى أمر القضاء" (٢ أى ١٩ : ٦) ورأيتهم يستمرون طول أيام حياتهم فى وظائفهم، ولا يحاسبون عن سوء ادارتهم، بل يموتون فى كرامة ويدفنون فى عظمة.

«**ونسوا فى المدينة**» التى فعلوا فيها هذه الأفعال، فلم تذكر سيئاتهم بعد ارتحالهم.

أو بمعنى آخر أن ذلك يدل على بطلان عظمتهم وسلطانهم، لأن ملاحظته الأخيرة التى دونها فى نهاية هذا العدد هى أن «**هذا أيضاً باطل**». فإنهم أن أفتخروا بثروتهم وسلطانهم وكرامتهم وبجلوسهم "فى مكان القدس" فذلك كله:

++

١ ـ لا يعفى أجسادهم من أن تدفن فى التراب: "رأيتهم يدفنون" وعظمتهم التى رافقتهم الى القبر "لا تنزل وراءهم" (مز ٤٩ : ١٧).

٢ ـ ولا يعفى أسماءهم من أن تدفن فى زوايا النسيان، فإنهم **«نسوا»** كأنهم لم يكونوا.

(٣) ولاحظ بأن نجاحهم قد قسى قلوبهم فى عمل الشر ع١١ . هذا يصدق على كل الخطاة بوجه عام، وعلى الحكام الأشرار بوجه خاص: فلأن **«القضاة على أعمالهم الرديئة لا يجرى سريعاً»** ظنوا بأنه لن يجرى أبداً، ولذلك يحتقرون القانون **«ويمتلىء قلبهم فيهم لفعل الشر»** وصاروا يجرأون على ارتكاب شرور أعظم، ويتوغلون فى ارتكابها وهم مطمئنون، ومستريحو البال، وعديموا الخوف من أية سلطة أعلى.

لاحظ :

١ ـ أن ديان السماء والأرض العادل هو الذى يجرى القضاء على الشرور والأشرار، على شرور الملك والعظماء، كما على شرور الأدنياء.

٢ ـ أن اجراء هذا القضاء طالما أبطأ قليلاً فيبقى الخاطىء ليس بلا قصاص فقط، بل ناميا وناجحا.

٣ ـ وتأخير القصاص يقسى قلوب الخطاة فى الشر. وبكل أسف أن الخطاة الذين كان يجب أن يقتادهم لطف الله الى التوبة تراهم يسيئون

++

استعماله فتزداد أقدامهم بسببه رسوخاً فى خطاياهم.

٤ _ والخطاة يخدعون أنفسهم بذلك، لأنه ولو أن "القضاء لا يجرى سريعاً" الا أنه سيجرى فى النهاية بأكثر صرامة. ولو أبطأ الانتقام الا أنه لابد آت، والغضب فى نفس الوقت يذخر ليوم الغضب (رو ٢ : ٥).

(٤) وسبق أن رأى أن الغاية من كل هذه الأمور هى أن تحفظنا من الاعتراض على العناية الالهية فى كل ما تجريه معنا. أنه يفترض أن حاكما شريراً يجرى ظلما «**مئة مرة**»، وأن قصاصه قد أبطأ، وأن لطف الله وصبره من نحوه قد «**طال**» أكثر بكثير مما كان ينتظر، وأن أيام شره قد طالت واستمر فى ظلمه، ولكنه وضح لنا بأنه يجب أن لا تخور عزائمنا بسبب ذلك.

١ _ فان شعب الله سعيد مهما حل به من الظلم «**انه خير للمتقين الله**» أى «**للذين يخافون قدامه**» فقط.

ملاحظتان :

الأولى: أن صفات شعب الله مخافة الله وامتلاء قلوبهم بمخافته، والاهتمام بتأدية كل واجباتهم من نحوه، وما ذلك الا لأنهم يرون دائماً أن عيناه عليهم، وأنه من واجبهم أن يزكوا أنفسهم قدامه. فعندما يكونون تحت رحمة الحكام الظالمين لا يخافونهم بقدر خوفهم لله. فهم لا يعترضون على

++

عناية الله، بل يخضعون لها.

الثانية : ومن سعادة أولئك "الذين يخافون قدام الله" أن كل الأمور تجرى لخيرهم حتى فى أسوأ الظروف وأحلكها. فمتاعبهم لا يمكن أن تمس سعادتهم التى لهم فى محبة الله أو شركتهم بالله. ولذلك «**فأنى أعلم**» حقا، أعلم من مواعيد الله ومن اختبارات جميع القديسين، بأنه مهما ساءت الظروف مع الآخرين الا «**أنه يكون خير للمتقين الله**». فكل شيء خير أن كانت نهايته خيرا.

٢ ـ والأشرار حقا أشقياء وتعساء مهما نجحوا وسادوا لوقت قصير فان اللعنة مؤكدة لهم كما أن البركة مؤكدة للاتقياء: «**لا يكون خير للشرير**» كما يظن الآخرون الذين يحكمون بحسب الظواهر، وكما ينتظرون هم أنفسهم، نعم فالله نطق عليهم بالويل قائلاً "ويل للشرير شر" (اش ٣ : ١٠ ، ١١) فهم سيحاسبون عن كل ما عملوه من الشر، ولا يمكن أن يصيبهم سوى الشر. وكما قال سينكا الفيلسوف لن يحدث حدث للأشرار يعود عليهم بالخير، بل بالحرى لا يحدث لهم حدث لا يعود عليهم بالشر.

ملاحظات :

(١) أيام الشرير «**كالظل**»، ليس لأنها غير حقيقية ومائلة للزوال فقط ككل أيام البشر، بل لأنها أيضاً لا فائدة منها مطلقاً. أيام الرجل الصالح فيها بعض الكيان والوجود، لأنه يعيش لغرض شريف، أما أيام الشرير

"فكالظل" كلها فارغة، وعديمة الفائدة.

(٢) وهذه الأيام **«لا تطول»** كما ينتظر وكما يعشم نفسه. فإنه "لا ينصف أيامه" أى لا يعيش نصف أيامه (مز ٥٥: ٢٣). وهى ـ وان **«طالت»** ـ أكثر مما ينتظر الآخرون ع ١٢ الا أن يومه سيأتيه سريعا. انه سيخسر الحياة الأبدية، وبذلك تكون حياتهم الطويلة على الأرض بلا فائدة ولا توازى يوما واحدا.

(٣) وسخط الله الشديد على الأشرار هو **«لأنهم لا يخشون قدام الله»** وهذا هو سبب شرهم وفسادهم، وهو الذى يبعد عنهم كل سعادة.

١٤ ـ يوجد باطل يجرى على الأرض أن يوجد صديقون يصيبهم مثل عمل الاشرار، ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين. فقلت أن هذا أيضاً باطل.

١٥ ـ فمدحت الفرح لأنه ليس للانسان خير تحت الشمس الا أن يزكل ويشرب ويفرح، وهذا يبقى له فى تعبه مدة أيام حياته التى يعطيه الله أياها تحت الشمس.

١٦ ـ ولما وجهت قلبى لأعرف الحكمة وأنظر العمل الذى عمل على الأرض، وأنه نهاراً وليلاً لا يرى النوم بعينيه.

١٧ ـ رأيت كل عمل الله أن الانسان لا يستطيعأن يجد العمل الذى

++

عمل تحت الشمس. مهما تعب الانسان فى الطلب فلا يجده، والحكيم أيضاً وان قال بمعرفته لا يقدر أن يجده.

لقد حار الحكماء والصالحون منذ القديم فى حل هذه المعضلة الا وهى: كيف يمكن أن يتفق نجاح الأشرار ومتاعب الأبرار مع قداسة وصلاح الله الذى يدير العالم كله. أما سليمان فيدلى الينا برأيه فى هذا الموضوع ويعطينا بعض نصائح ثمينة:

أولا : فهو يريد منا أن لا نندهش من ذلك كأنه قد حدث أمر غريب، لأنه هو نفسه رآه فى زيامه ع ١٤.

(١) فهو رأى «**صديقين يصيبهم مثل عمل الأشرار**» ويتحملون متاعب جمة رغما عن برهم وتقواهم، ويرزحون طويلا تحت عبء هذه المتاعب والآلام كأنهم يعاقبون بها على شر فعلوه.

(٢) ورأى «**أشرارا يصيبهم مثل عمل الصديقين**» وينجحون فى كل طرقهم كأنهم يجازون على خير أتوه. أن الأمر المألوف بيننا هو أن نرى الصالحين يتألمون ويرتكبون، والأشرار مسترحين ومطمئنين، أن نرى الصالحين تنزل بهم العناية الالهية المصائب والبلايا، والأشرار ناجحين ونامين وباسمى الثغور، أن نرى الصالحين يوبخون وينتهرون وتهضم حقوقهم من السلطات العليا، أما الأشرار فينالون استحسان الجميع ويفضلون عن سواهم.

ثانياً : وهو يريد منا أن ننتهز هذه الفرصة لكى لا ننسب الشر لله بل ننسب البطلان للعالم. انه لا يمكن أن ينسب أى عيب الله، أما من جهة العالم فهذا **«باطل يجرى على الأرض»** وأيضاً **«ان هذا أيضاً باطل»** أى أن هذه دلالة واضحة على أن أشياء هذه الحياة ليست هى أحسن الأمور ولم يقصد منها أن تكون نصيباً كافيا أو ينبوع سعادة لنا، لأنها أن كانت كذلك لما خص الله ألد أعدائه بنصيب وافر من ثروة هذه الحياة، وأصدق أصدقائه بنصيب وافر من متاعبها. ولذلك فلا بد أن تكون هنالك حياة أخرى بعد هذه الحياة تكون فيها الأفراح والاحزان حقيقية وقادرة على اسعاد أو اشقاء البشر، الأمر الذى لا تستطيعه أفراح وأحزان هذه الحياة.

ثالثاً : وهو يريدنا أن لا نغيظ أنفسنا، أو نقلق راحتنا، أو نربك عقولنا به، بل أن نتمتع بفرح بما أعطانا الله من بركات هذا العالم، وأن نقنع بها وننتفع منها بقدر الاستطاعة ع ١٥ : "فمدحت الفرح" أى راحة الضمير المقدسة الناشئة من الثقة بالله وقدرته وعنايته ومواعيده **«لأنه ليس للانسان خير تحت الشمس»** (ولو أن الرجل الصالح له خيرات أعظم "فوق الشمس) **« من أن يأكل ويشرب»** أى أن ينتفع بأمور هذه الحياة بتعقل وشكر وكما يليق بمركزه **«ويفرح»** مهما نزلت به من الحوادث لأن **«هذا يبقى له فى تعبه»**. هذا هو كل ما يستطيع أن يجنيه لنفسه من كل المتاعب التى يتكبدها فى تأدية أعمال هذه الحياة. فليجنها حينئذ تعود عليه بالخير الكثير،

ولا يحرم نفسه منها عن بخل أو طمع أو عدم اكتفاء، لأن العالم لا يسير ولا يدوم كما نريد.

«هذا يبقى له مدة أيام حياته التى يعطيه الله اياها تحت الشمس» . أن حياتنا الحاضرة هى حياة **«تحت الشمس»** لكننا ننتظر "حياة الدهر الآتى التى تبدأ وتستمر الى أن "تتحول الشمس الى ظلمة، ولا تعود تنير بعد.

أن الحياة الحاضرة يجب أن تعد "بالأيام". وهذه الحياة تعطى لنا، وأيامها تحدد لنا بحسب مشورة الله، ونتعلم كيف نتمم مقاصد الحياة.

رابعاً: وهو يريدنا أن لا نحاول تعليل كل ما يفعل الله، لأن "فى البحر طريقه، وسبله فى المياه الكثيرة، وآثاره لم تعرف" (مز ٧٧ : ١٩) . ولذلك يجب أن نعترف بجهلنا التام بمعرفة طرق تدبير الله للعالم ع ١٦و١٧ . هنا نراه يبين:

(١) أنه هو وكثيرون غيره دققوا البحث للوصول الى سر نجاح الأشرار ومصائب الأبرار. أما عن نفسه فانه قد **«وجه قلبه ليعرف هذه الحكمة وينظر العمل الذى عمل** (بواسطة العناية الالهية) **على الأرض»** ليعرف أن كانت توجد هنالك طريقة معلومة أو قانون ثابت تسير بها أمور هذه الحياة السفلى، أو أى طريق لادارة الكائنات ثابت كثبات طريق الطبيعة حتى بذلك نستطيع أن نكون على يقين مما سيحدث فيما بعد بمقارنته بما هو حاصل الآن كما هو الحال فى القمر مثلا، فاننا أن رأيناه فى المحاق الآن عرفنا بالضبط متى يكون بدرا. هذا ما اشتهى أن يعرفه.

++

أما عن الآخرين فانهم قد أقاموا أنفسهم لهذا البحث بكل تدقيق حتى انهم لم يجدوا وقتا "نهارا أو ليلاً ليروا النوم بزعينهم" ولم يجدوا أى ميل للنوم لشدة اهتمامهم وارتباكهم بهذه الأمور.

ويظن البعض أن سليمان يتكلم عن نفسه هنا، وأنه لم ير النوم بعينه لشدة اهتمامه بهذا البحث.

(٢) وان كل هذه المجهودات قد ذهبت ادراج الرياح ع ١٧ . فاننا عندما ننظر الى «**كل عمل الله**» وعنايته، ونقارن عملاً بآخر «**لا نستطيع أن نجد**» أن هنالك طريقة معلومة سار بموجبها «**العمل الذى عمل تحت الشمس**» لا نستطيع أن نعرف من أنفسنا أو ممن سبقونا شيئاً عن العمل الذى يعمل الآن أو الذى سيعمل غداً.

١ ـ "مهما تعب الانسان فى الطلب" وبذل كل مجهود فى هذا السبيل.

٢ ـ ومهما عظم ذكاؤه وحكمته "والحكيم أيضاً" أى مهما كان حكيماً فى الأمور الأخرى. واستطاع أن يدرك حتى مقاصد الملوك أنفسهم ويتتبع آثارها من خطواتهم.

٣ ـ بل ومهما كان واثقاً جداً من النجاح "وان قال بمعرفته لا يقدر أن يجده". أن طرق الله فوق طرقنا، وهو لا يرتبط بطرقه السابقة، ولكن "أحكامه لجة عظيمة" (مز ٣٦ : ٦).

++

* الإصحاح التاسع *

في هذا الاصحاح نرى سليمان ـ لزيادة البرهان على بطلان هذا العالم ـ يدلي الينا بأربع ملاحظات استخلصها من حالة البشر:

(١) فهو لاحظ أن الصالحين والأشرار يصيبهم عادة نصيب واحد فيما يختص بالأمور الظاهرية ع ١ ـ ٣.

(٢) والموت يضع الحد الفاصل لأعمالنا وتنعماتنا فى هذه الحياة ع ٤ ـ ٦ ومن ذلك يستنتب أنه من الحكمة أن تتمتع بمسرات الحياة، ونهتم بأعمال العالم طالما بقينا فيه ع ٧ ـ ١٠.

(٣) أن العناية الالهية طالما عرقلت مساعى البشر، وهدمت كل آمالهم، وان المصائب طالما باغتت البشر قبل أن يفطنوا اليها ع ١١ و ١٢.

(٤) وان الحكمة طالما صيرت الناس نافعين، ولكنها مع ذلك طالمات أكسبتهم قليلاً من الاحترام، لأن أكثر الناس نفعا أكثرهم عرضة للاحتقار ع ١٣ ـ ١٨

إذن فأى شىء فى العالم يحببنا فيه؟

١ ـ لأن هذا كله جعلته في قلبي وامتحنت هذا كله أن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله. الانسان لا يعلم حبا ولا بغضا. الكل أمامهم.

٢ ـ الكل على ما للكل. حادثة واحدة للصديق وللشرير، للصالح وللطاهر وللنجس، للذابح وللذى لا يذبح كالصالح الخاطىء. الحالف كالذى يخاف الحلف.

٣ ـ هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس أن حادثة واحدة للجميع، وأيضاً قلب بنى البشر ملآن من الشر، والحماقة فى قلبهم وهم أحياء، وبعد ذلك يذهبون الى الأموات.

ما لوحظ عن الذين ادعوا البحث عن حجر الفلاسفة انهم ولو لم يجدوا ضالتهم المنشودة فانهم قد توصلوا الى عدة اكتشافات واختبارات أخرى أثناء هذا البحث. كذلك كان الزمر مع سليمان فانه عندما "وجه قلبه ليعرف عمل الله" كما رأينا فى آخر الاصحاح الماضى، وبذل مجهودا كبيرا فى هذا البحث، ويئس من العثور على بغيته، عثر على ما عوض عليه أتعابه الكثيرة الماضية، وأراح قلبه بعض الراحة، وهذا ما يخبرنا عنه هنا «**لأن هذا كله جعلته فى قلبى**» وتأملت فيه مليا، «**وامتحنت هذا كله**» (أو لكى أعلن هذا كله) لكى أعلنه فيكون فيه خير للآخرين.

ملاحظة : ان ما نريد أن نعلنه ونذيعه علنيا يجب علينا أن نتأمل فيه قبلا بتدقيق، علينا أن نتأمل مرتين قبل أن نتكلم مرة، وما قد تأملنا فيه يجب أن نعلنه. "آمنت لذلك تكلمت" (مز ١١٦ : ١٠).

أن المشكلة العظمى التى صادفت سليمان فى دراسته لسفر العناية

الالهية هى ذلك الفرق البسيط الذى وجده بين الصالحين والأشرار فيما يختص بتوزيع التعزيات والمصائب وتوزيع الحوادث. فهذا الأمر طالما أربك عقول الكثيرين من الحكماء والمفكرين.

وفى هذه الأعداد نرى سليمان يبحث فى هذا الأمر. ومع أنه لم يحاول أن يكتشف عمل الله هذا الا أنه يذكر لنا ما يمنع عن أن يكون عثرة لنا.

أولاً : فقبل أن يصف التجربة ويبين شدتها وضع أمامنا حقيقة عظمى لا تقبل النزاع عزم على التمسك بها. وهى لو اعتقدنا بها كانت كافية لتدرأ عنا شر تلك التجربة. وهى الطريقة الوحيدة التى قاوم بها أولاد الله هذه التجربة. فأيوب قبل البحث فى هذا الأمر ذكر عقيدة علم الله بكل الأمور (أى ٢٤ : ١)، وارميا ذكر عقيدة بر الله (ار ١٢ : ١)، ونبى آخر ذكر قداسة الله (حب ١ : ١٣)، والمرنم ذكر صلاحه ومحبته الخالصة لشعبه (مز ٧٣ : ١)، وهذا نفس ما أراد سليمان أن يضعه هنا نصب عينيه ويتمسك به، فإنه أن كان يبدو أن الخير والشر يوزعان على الناس بكيفية معكوسة ألا أن الله يعنى عناية خاصة بشعبه: «**أن الصديقين والحكماء وأعمالهم فى يد الله**» ع١ تحت ارشاده وحمايته الخاصة، كل مصالحهم يجريها هو لخيرهم، كل أعمالهم الرشيدة والصالحة "فى يده" ليجازيهم عنها فى الدهر الآتى، ولو لم يجازيهم عنها فى هذا الدهر. أنه قد يبدو أنهم قد سلموا في يد أعدائهم، ولكن الأمر ليس كذلك. ليس للناس سلطان

++

على بعضهم لو لم يكونوا قد أعطوه من فوق (يو ١٩ : ١١)، وما يصيب البشر من الحوادث لا يأتيهم اعتباطا، بل بحسب ارادة الله ومشورته. فمهما أصابنا من ا لحوادث لنذكر بأن جميع قديسي الله في يده، وبذلك نستريح (تث ٣٣ : ٣، يو ١٠ : ٢٩ ومز ٣١ : ١٥).

ثانياً: ثم وضع لنا هذا القانون وهو أن محبة الله وبغضته لا تقاس بحسب ظواهر الناس الخارجية. فان كان نجاح الانسان دليلاً مؤكدا على محبة الله. وان كانت المصائب دليلاً على بغضته لأعثرنا جداً أن نرى الأشرار والصالحين يتساوون في نصيبهم منهما. ولكن الأمر ليس كذلك **«فالانسان لا يعلم حبا ولا بغضا ـ الكل أمامهم»** فى هذا العالم، أى لا يعلم أن كان حبا أو بغضا بحسب الأمور المنظورة. هذان نستطيع أن نعرفهما فى قلوبنا ـ بالأمور غير المنظورة، فان كنا نحب الله من كل قلوبنا عرفنا بذلك أنه يحبنا، كما نعرف أننا تحت غضبه أن كنا نسلك بحسب الجسد الذى هو عداوة له. هذان ـ أى محبة وبغضة الله ـ نستطيع معرفتهما بما سيصير بعد ذلك أى بحالة الناس الأبدية. فمن المؤكد أن سعادة أو شقاء الانسان تتوقفان على محبة الله أو بغضته له، وليس على ابتسامات العالم أو تكشير أنيابه له، ولذلك فان كان الله يحب البار ـ وهذا هو الحاصل فعلاً ـ فهو سعيد، مهما كشر العالم عن أنيابه له، وان كان يبغض الشرير وهذا هو المؤكد فهو شقى مهما ابتسم له العالم.

ومن ذلك يتضح أنه لا محل للشكوى من اختلاط توزيع حوادث وصروف الدهر.

ثالثاً : وبعد أن وضع تلك المبادىء العامة اعترف بأن «**الكل على ما للكل**» (أو الكل يزتى للجميع على السواء) فان كان هذا ما حدث فى القديم فليس من المستغرب أن يحدث الآن، "أن يحدث لنا ولعائلاتنا. يظن البعض أن ما جاء فى هذا العدد والذى يليه (ع ١٢ و ١٣) هو احتجاج الملحدين ضد عقيدة العناية الالهية. ولكنى أرجح بأنه تصريح سليمان نفسه الذى صرح به بأكثر حرية الآن بعد أن قرر تلك الحقائق التى تكفى لحفظنا من اساءة استعمال هذا التصريح.

لاحظ هنا فى ع ٢ :

(١) الفرق العظيم بين أخلاق البار وأخلاق الشرير، وهذا واضح كل الوضوح دلالة على أن الصلاح بين والفساد بين ولا يمكن اختلاطهما مهما كان "الكل على ما للكل" (أو مهما "أتى كل شىء للجميع على السواء").

١ ـ فالبار «**طاهر**» طاهر اليدين ونقى القلب (مز ٢٤ : ٤). أما الشرير «**فنجس**» تحت سلطان الشهوات النجسة، "طاهر فى عينى نفسه وهو لم يغتسل من قذره" (مز ٣٠ : ١٢). حقاً أن الله سيميز بين الطاهر والنجس وبين الغث والثمين فى العالم الآتى ولو ظهر لنا أنه لا يميز بينهما فى هذا العالم.

٢ ـ والبار دعاه سليمان هنا بأنه «**ذابح**» أى يراعى عبادة الله بحسب

ارادته، يعبده فى الظاهر والباطن. أما الشرير **«فلا يذبح»** أى يهمل عبادة الله ويأبى عمل أى شيء يمجد الله. "من هو القدير حتى يعبده" (أى ٢١ : ١٥).

٣ ـ والبار **«صالح»** صالح فى عينى الله، يعمل الصلاح فى العالم. أما الشرير **«فخاطيء»** يعتدى نواميس الله وقوانين البشر، ويغضب الله والانسان.

٤ ـ والشرير يحلف **«حالف»** لا يحترم اسم الله بل يدنسه بالحلف بتسرع وباطلا. أما البار **«فيخاف الحلف»** لا يحلف أبداً، وأن أقسم بكل حذر واحتراس، أنه يخاف الحلف لأنه يعتبره تعهداً أمام الله واشهادا لله عليه، وهو أن حلف يخاف أن يحنث لأن الله منتقم عادل.

(٢) الفرق البسيط بين حالة البار وحالة الشرير فى هذا العالم **«حادثة واحدة للجميع»** فان كان داود غنيا فنابال أيضاً كان غنياً. وان كان يوسف محبوباً من ملكه فهامان أيضاً كان محبوباً، وان كان التين الردىء يحمل الى بابل فهكذا أيضاً التين الجيد (ار ٢٤ : ١و٢).

يوجد فرق شاسع بين الباعث والقصد وطبيعة الحادثة التى تحدث للواحد، وبين الباعث والقصد وطبيعة نفس الحادثة التى تحدث للآخر. كذلك يوجد فرق شاسع بين نتائج الحادثة الواحدة التى تحدث للاثنين،

++

فالحادثة التى تكون للواحد "رائحة حياة لحياة" قد تكون للآخر "رائحة موت لموت" ولو أنه لا يظهر أى فرق بينهما فى الظاهر.

رابعاً: واعترف بأن ذلك أمر محزن للحكماء والصالحين «**هذا أشر كل عمل تحت الشمس**» (ع٣) لم يضايقنى ولم يتبعنى أمر كهذا «**ان حادثة واحدة للجميع**» فان ذلك يقسى قلب الملحدين ويشدد أيادى فاعلى الشر لأن «**قلب بنى البشر ملآن من الشر**» بسبب ذلك "وامتلأ فيهم لفعل الشر" (ص ٨ : ١١) . فانهم عندما يرون أن "حادثة واحدة للصديق وللشرير" يستنتجون من ذلك أن الجميع على السواء فى نظر الله، صديقين كانوا أم أشرار، ولذلك يطلقون لشهواتهم العنان.

خامساً : ولزيادة ايضاح هذه الصعوبة وازاحة الستار عنها ختم بحثه باثبات شقاء الأشرار، مهما كانوا ناجحين، كما بدأه باثبات سعادة الأبرار مهما عظمت آلامهم، لأنهم هم وأعمالهم "فى يد الله" ولا يمكن أن يكونوا فى يد أحسن: «**الحماقة فى قلبهم وهم أحياء، وبعد ذلك يذهبون الى الأموات**» .

لذلك لا تحسد الأشرار أن رأيتهم ناجحين:

(١) لأنهم «**حمقى (أو مجانين) وهم أحياء**» وليست كل المسرات واللذات التى يتمتعون بها سوى كأحلام مبهجة وكتخيلات المجانين. انهم مجانين بأصنامهم (ار ٥٠ : ٣٨) ومجانين ضد شعب الله (اع ٢٦ : ١١).

+++

عندما ندم الابن الضال قيل عنه "رجع الى نفسه" (لو ١٥ : ١٧) وهذه تدل على أنه كان فاقدا رشده قبل الآن.

(٢) ولأنهم بعد قليل يموتون. أنهم يحدثون جلبة عظيمة "وهم أحياء" ولكنهم بعد قليل «**يذهبون الى الأموات**» وهنالك يوضع حد لعظمتهم وسلطانهم، وحينئذ يحاسبون عن حماقتهم وتوغلهم فى الشر. فالبار والشرير وان تساويا ـ بحسب نظرنا ـ قبل الموت الا أنه ما أبعد مسافة الخلف بينهما بعد الموت.

٤ ـ لأنه من يستثنى. لكل الأحياء يوجد رجاء فان الكلب الحى خير من الأسد الميت.

٥ ـ لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسى.

٦ ـ ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد الى الأبد فى كل ما عمل تحت الشمس.

٧ ـ اذهب كل خبزك بفرح، واشرب خمرك بقلب طيب، لأن الله منذ زمان قد رضى عملك.

٨ ـ لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء، ولا يعوز رأسك الدهن.

٩ ـ التذ عيشا مع المرأة التى أحببتها كل أيام حيوة باطلك التى

++

أعطاك اياها تحت الشمس طول أيام باطلك، لأن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس.

١٠ ـ كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليها.

سبق أن غبط سليمان ـ فى وقت انفعاله ـ الأموات الذين ماتوا أكثر من الأحياء (ص ٤ : ٢). أما هنا فقد غير رأيه بعد أن تأمل فى امتيازات الحياة وهى الاستعداد للموت، والتأكد من الدخول فى حياة أفضل.

أولاً : لقد أظهر امتيازات الأحياء على الأموات ع ٤ ـ ٦

(١) فطالما كانت الحياة باقية فهنالك «**يوجد رجاء**» وكما قال المثل الاتينى : فى كل نسمة أتنفسها يوجد لى رجاء.

من ضمن امتيازات الأحياء أنهم يكونون مرتبطين ببعضهم (نص «**لكل الأحياء**» هكذا "لكل المرتبطين بالاحياء" **فهم** مرتبطون ببعضهم بصلة القرابة أو فى التجارة وفى جميع المعاملات الأخرى، وطالما كانوا كذلك «**فيوجد لهم رجاء**» فان ساءت حالة شخص لأى سبب من الأسباب "فيوجد رجاء" لاصلاحها وان كان «**القلب ملآنا من الشر والحماقة فيه**» ع ٣ "فيوجد رجاء" لتغييره بنعمة الله طالما بقيت الحياة فيه، ولكن بعد "أن يذهب بنو البشر الى الأموات" فالفرصة تكون قد ضاعت. وحينئذ يبقى الفاسد فاسداً الى الأبد. وان كان هنالك شخص لا فائدة منه، إلا أنه طالما

كان حيا "فيوجد له رجاء" للاثمار لأن الحى لابد أن يكون ذا منفعة ولو قليلة، أما الميت فلا فائدة منه ترتجى ـ من الوجهة العالمية ـ ولذلك **«فان الكلب الحى خير من الأسد الميت»** فأحتقر انسان حى يتمتع بهذه الحياة ويستطيع أن يؤدى للعالم من الخدمات ما لا يستطيعه أعظم ملك ميت.

(٢) وطالما كانت الحياة باقية للاستعداد للموت: **«لأن الأحياء يعلمون»** ما لا يعلمه الأموات، وبنوع خاص **«يعلمون أنهم سيموتون»** ونتيجة هذه المعرفة هى أنهم يستعدون ـ أو على الأقل يفكرون فى الاستعداد ـ لذلك التغيير العظيم الذى سيحل بهم فجأة.

ملاحظة : "أن الأحياء لا يمكن الا أن "يعلموا أنهم سيموتون" وانهم لابد أن يموتوا. انهم يعلمون أنهم تحت حكم الموت. ويا لعظم فائدة تلك المعرفة، لأنه ما هو علمنا فى هذه الحياة سوى الاستعداد للموت.

«الأحياء يعلمون أنهم سيموتون» أى أن الموت سيحدث مستقبلاً ولذلك تحتم علينا أن نعد المؤونة اللازمة له. فالأموات يعلمون أنهم أموات، ولكن فرصة الاستعداد للموت قد مضت.

(٣) واذا انتهت الحياة انتهى معها كل ما نملك فى هذا العالم:

١ ـ أى أنتهت كل معرفة لنا عن هذا العالم وكل ما فيه: **«الموتى لا يعلمون شيئاً»** مما كانوا يعلمونه وهم أحياء. ومن ذلك يظهر أنهم لا

++

يعرفون شيئاً عما يفعله خلفاؤهم لأنهم ينتقلون الى "أرض ظلمة" (أى ١٠ : ٢١ و ٢٢).

٢ ـ وانتهت كل مسراتنا فى هذا العالم: «**ليس لهم أجر بعد**» لكل ما تكبدوه من المتاعب فى هذه الحياة، بل يتركون كل ما حصلوا عليه منها للآخرين. صحيح أن لهم أجراً على أعمالهم المقدسة الروحية أما أعمالهم العالمية فليس لهم أجر عليها. فالأطعمة والجوف سيبيدان كلاهما (يو ٦ : ٢٧، ١ كو ٦ : ١٣).

وفى ع ٦ نرى تفسير لهذه العبارة: «**ولا نصيب لهم بعد الى الأبد فى كل ما عمل تحت الشمس**». أن أمور هذا العالم لا يمكن أن تكون نصيباً للنفس، لأنها ليست "نصيباً الى الأبد". والذين يختارونها لأنفسهم لا يحصلون الا على "نصيبهم فى حياتهم" فقط (مز ١٧ : ١٤). فلا يمكن للانسان التمتع بالعالم الا فى حياته، لأنه ليس "نصيباً الى الأبد".

٣ ـ وانتهى ذكرنا. أنه لا يوجد الا القليلون الذين يبقى ذكرهم طويلاً اذ القبر هو أرض النسيان «**لأن ذكرهم** ـ أى ذكر الذين ضموا الى القبر ـ **نسى**» سريعاً، "وموضعهم لا يعرفهم بعد" (مز ١٠٣ : ١٦) ولا الأراضى والممتلكات التى أطلق عليها اسمهم.

٤ ـ وانتهت محبتنا، صداقتنا وعداوتنا: «**ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان**» لأنه قد هلك الذين يحبونهم والذين يبغضونهم، وانتهى

نجاح الاخرين الذين يحسدونهم. الموت يفصل بين المحبين، ويضع حدا لمحبتهم، وبين الأعداء، ويضع حدا لعداوتهم. يقول المثل اللاتينى: أن الانسان أن مات يموت معه عمله. فى الحياة الأخرى لا تنفعنا صداقة الآخرين، ولا تؤذينا عداوتهم وحسدهم. "هناك يكف المنافقون عن الشغب" (أى ٣ : ١٧). هناك لا يعود يبقى أثر لأفراحنا أو أتراحنا.

ثانياً : ومن ذلك يستنتج سليمان أنه من الحكمة أن ننتفع من الحياة بقدر استطاعتنا طالما بقيت، وأن نحسن التصرف فيما بقى منها.

(١) فلنتمتع بمسرات الحياة طالما كنا أحياء، ولنأخذ نصيبنا من ملذاتها بفرح وابتهاج قلب. بعد أن وقع سليمان فى فخاخ الملذات الجسدية نراه يحذر الاخرين من أخطارها، لا بالامتناع عنها مطلقاً، ولكن بالتعقل والاعتدال فى استعمالها، لأننا لنا الحق فى استعمال العالم، ولكن ليس لنا الحق فى اسادة استعماله، لنا أن نحصل على ما يمكن الحصول عليه ولا ننتظر شيئا أكثر.

فى هذه الأعداد نرى:

١ ـ أن سليمان يذكر لنا تفاصيل ذلك الفرح وابتهاج القلب. ان كنت خائر القوى وحزينا «**فأذهب**» فى طريقك، وأسع فى أصلاح حالك.

(أ) أرح روحك، وأبهج قلبك، وكن فى «**فرح وقلب طيب**» يستطيع

+++

التمييز بين الأفراح العالمية والمسرات الروحية. يجب أن نسير أنفسنا ونسر مع أصدقائنا، ومع الهنا. ولكن يجب في الوقت نفسه أن نحرص أشد الحرص على أن لا يحدث ما يكدر صفونا فى هذه المسرات. يجب أن نشكر الله ونسبحه ونحن ننتفع بخيراته التى يجزلها علينا، ونوزع منها على الآخرين بكرم وسخاء، كى لا يثقل كاهلنا بكثرة الاهتمام بالأمور العالمية. يجب أن نأكل خبزنا "كالاسرائيليين "ليس فى حزننا" (تث ٢٦ : ١٤) وكمسيحيين "بابتهاج وبساطة قلب" (اع ٢ : ٤٦). أنظر أيضاً (تث ٢٨ : ٤٧).

(ب) وتمتع بما يعطيك الله من مسرات وخيرات "كل خبزك واشرب خمرك" لا خبز وخمر غيرك، ولا "خبز الكذب والشر وخمر الظلم" (ام ٢٦ : ١٧ ، ٤ : ١٧) بل ما تحصل عليه بنزاهة وشرف والا فلا تستطيع أن تأكله بلذة وفرح، أو تنتظر بركة عليه. "كل خبزك واشرب خمرك" اللائقين بك وبمركزك، فلا تأكل أو تشرب بأسراف أكثر مما يليق بك، أو ببخل أقل مما يناسبك. أنفق ما قد أعطاك الله فى الاغراض التى لأجلها قد أؤتمنت عليه طالما أنك لست الا وكيلا عليه.

(جـ) اظهر فرحك وبهجة قلبك ع٨: **«لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء»**. ليكن هنالك تناسب فى نفقاتك، فلا تقلل من طعامك أو لباسك، بل كن نظيفاً ورشيقاً، ولا تكن متهاملا فى لباسك.أو بمعنى آخر "لتكن ثيابك بيضاء" علامة على الفرح والابتهاج للذين قد عبر عنهما

الكتاب "بثياب بيض" (رؤ ٣ : ٤). ولزيادة فرحك **«لا يعوز رأسك الدهن»** الملائم لها. ولقد قبل مخلصنا علامة الفرح هذه فى وليمة (مت ٢٦ : ٧)، وداود ذكر بأن هذه كانت من ضمن الخيرات التى أجزلها الله عليه: "مسحت بالدهن رأسى" (مز ٢٣ : ٥).

وليس هذا معناه أن نحصر كل سعادتنا فى المسرات العقلية أو الجسدية أو نضع عليها قلوبنا، بل أن نتمتع بكل ما يعطينا الله بفرح فى حدود التعقل والحكمة والعفة، غير ناسين الفقراء.

(د) وكن على وفاق مع أقاربك: **«التذ عيشا مع المرأة التى أحببتها»** لا تحتكر كل المسرات لنفسك دون أن تهتم بمن هم حولك، بل دعهم يقتسمونها معك. التصق بامرأتك، بامرأة واحدة، ولا تعدد الزوجات، لأن سليمان قد رأى شر ذلك. التصق بها وحدها، ولا تكن لك صلة بامرأة أخرى. فكيف يعيش الانسان بسعادة مع شخص لم يخلص له؟ أحب زوجتك، لأن **«المرأة التي أحببتها»** تستطيع أن "تلتذ عيشا معها".

وان أدينا الواجب مع أقاربنا حق لنا أن ننتظر منهم المنفعة. أنظر (أم ٥ : ١٩). عش مع امرزتك والتذ بعشرتها. التذ عيشا معها وكن باشا طالما كنت معها. عش سعيداً مع عائلتك التى شبهها داود "بالكرمة وغروس الزيتون" (مز ١٢٨ : ٣).

+++

٢ ـ بعد ذلك ذكر لنا الصفات اللازمة لذلك الفرح وابتهاج القلب: افرح وكن ذا قلب طيب ان كان «**الله قد رضى عملك**». فإن كنت متصالحا مع الله، وان كانت كل أعمالك مقبولة أمامه، حق لك أن تفرح وتبتهج، ولاا فلا يحق لك. "لا تفرح يا اسرائيل طربا كالشعوب لأنك قد زينت عن الهك" (هو ٩ : ١). يجب أن يكون أول ما تهتم به هو أن تكون فى سلام مع الله، وتنال رضاءه، وتعمل كل ما يرضيه، وبعد ذلك "اذهب كل خبزك بفرح".

ملاحظة : ان الذين قد قبل الله عملهم يحق لهم بل يجب أن يفرحوا ويبتهجوا.

فان كنت تأكل خبزك بفرح وتشرب خمرك بقلب طيب فاعلم بأن **الله قد رضى عملك**». وان كنت تؤدى خدماتك الدينية بفرح مقدس فهى ترضى الله لأنه يجب أن يرى خدامه يغنون ويتهللون وهم يؤدون عملهم لأنه هو "المعلم الصالح".

٣ ـ أم الأسباب التى تحتم علينا أن نعيش بفرح فاثنان:

(أ) لأن ذلك مما يسهل عليك عبور برية هذا العالم: إن «**كل أيام حياتك**" ليست الا «**أيام باطلك**» فليس فى الحياة منا سوى التعب والشقاء. ان كانت هموم وأحزان الحياة لا حصر لها فبقدر الامكان «**التذ عيشا**» ولا تربك نفسك بالاهتمام بالغد لأنه "يكفى اليوم شره" تغلب على

+++

بطلان هذا العالم برزانتك وتقلك.

(ب) ولأن هذا هو كل ما تستطيع الحصول عليه من هذا العام: **«ذلك نصيبك فى الحياة»** أما فى الله وفى الحياة الأخرى فستنال نصيباً أفضل وجزاء أعظم لكل أتعابك التى تكابدها فى الأمور الروحية، وأما عن **«تعبك الذى تتعبه تحت الشمس»** فهذا كل ما يمكنك أن تنتظره، ولذلك فلا تحرم نفسك منه.

(٢) ولنواظب على أعمال الحياة طالما بقيت لنا الحياة، ولننتفع بمسراتها لكى تؤهلنا لهذه الأعمال: لذلك فكل خبزك بفرح وقلب طيب لا لكى تستريح نفسك كما ظن ذلك الغبى (لو ١٢ : ١٩) بل لكى تزداد نفسك تعبا فيكون فرح الرب قوتها وعضدها ع ١٠ : **«كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك»**

لاحظ هنا :

١ ـ ليس فى هذه الحياة ما يجب أن نحصل عليه فقط بل ما يجب أن "نفعله" أيضاً، والخير الرئيسى الذى يجب أن نسعى نحوه هو الخير الذى يجب أن نفعله (ص ٢ : ٣). فهذه الحياة حياة العمل أما الحياة الأخرى فحياة المجازاة، هذه الحياة حياة الاستعداد للابدية، فيتحتم علينا أن نعمل طالما كنا فيها.

++

٢ ـ أن الظروف تعين العمل. فما يجب أن نفعل هو «**ما تجده يدنا لتفعله**» وما تدعو اليه الحاجة. واليد النشيطة لابد أن تجد فى كل حين ما تفعله، وهذايأتى بالخير الجزيل. ان ما يجب عمله وما تدعونا اليه الحاجة لابد أن تنال أيدينا أجرتها فى اتمامه (ام ١٧ : ١٦).

٣ ـ يجب أن نتمم هذا الذى تدعونا اليه الحاجة طالما بقيت لنا الفرصة، "ونفعله بقوتنا" بعناية زائدة، وشدة قوية، وعزم ثابت، مهما عظمت الصعوبات ومثبطات العزائم التى تصادفنا. ان وقت الحصاد وقت جد وعمل. ان عبادة الله وإتمام خلاصنا يجب تأديتهما بكل ما فى استطاعتنا.

٤ ـ وهنالك سبب معقول جدا يدعونا "أن نعمل أعمال الذى أرسلنا ما دام نهار لأنه يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل" (يو ٩ : ٤). يجب أن نتمم أعمالنا بغاية الجد والنشاط لأن أيام العمل ستنتهى قريبا ولا نعلم متى تنتهى. ولكننا نعلم هذا أنه ان انتهت أيام حياتنا ولم ينته فيها عملنا هلكنا الى الأبد «**ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة فى الهاوية التى أنت ذاهب اليها**». كلنا ذاهبون الى الهاوية، وكل يوم ينقضى يقرب أقدامنا اليها، وعندما نصل إليها لا تبقى هنالك فرصة لإصلاح غلطاتنا، أو للتوبة وإيجاد السلام بيننا وبين الله أو للإدخار للأبدية، فإن لم نتمم ذلك الآن لن نتممه إلى الأبد. إن الهاوية (القبر) هى أرض الظلام والسكون ولذلك فلا يمكننا تأدية أى عمل فيها لأنفسنا (يو ١٢ : ٣٥).

++

١١ ـ فعدت ورأيت تحت الشمس أن السعي ليس للخفيف، ولا الحرب للأقوياء، ولا الخبز للحكماء، ولا الغنى للفهماء، ولا النعمة لذوى المعرفة، لأن الوقت والعرض يلاقيانهم كافة.

١٢ ـ لأن الإنسان أيضا لا يعرف وقته كالأسماء التى تؤخذ بشبكة مهلكة، وكالعصافير التى تؤخذ بالشرك، كذلك تقتنص بنو البشر فى وقت شراذ يقع عليهم بغتة.

لزيادة البرهان على بطلان العالم، ولاقناعنا بأن كل "أعمالنا فى يد الله" ع١ وليست فى أيدينا يبين سليمان هنا عدم إمكان التثبت من حوادث المستقبل، وكيف انها طالما أتت بعكس ما كنا ننتظر. لقد نصحنا فى ع ١٠ أن "نفعل بقوتنا كل ما تجده أيدينا لتفعله" أما هنا فيذكرنا بأننا عندما نفعل كل شئ يجب أن نترك النتيجة فى يد الله، دون أن نكون واثقين من النجاح.

أولاً : فإنه طالما خابت آمالنا فيما كنا ننتظره من الخير ع ١١. فسليمان نفسه وكثيرون غيره لاحظوا بأن الحوادث ـ سواء فى المصالح الخاصة أو العامة ـ لا تأتى دائما حسب آمالنا أو وفق المعقول. قال سنيكا "المستقبل لا يخضع نفسه لأحد للتأكد منه مهما اشتد حرصه". ان نتائج الأمور طالما أتت بعكس انتظارات البشر، ذلك لكى لا يفتخر العظيم أو ييأس الصغير، بل لكى يعيش الجميع حياة الإتكال التام والخضوع الكامل لله

الذى منه تخرج كل قضايا الإنسان.

(١) وهو يعطينا هنا أمثلة من الفشل وخيبة الآمال، حتى فى الظروف التى كانت توجد فيها وسائط مشجعة ومبشرة بالنجاح.

١ ـ فالإنسان يظن أن خفيف القدم هو الذى يحرز السبق،ولكن رغم ذلك "فالسعى ليس للخفيف" دائما فقد يحدث له حادث يعطله، أو قد يكون شديد الثقة بنفسه، فيتهاون فى السعى الى أن يسبقه من هو أبطأ منه.

٢ ـ ويظن الإنسان أن الجيش الأكثر عددا والأقوى عدة هو الذى يفوز بالغلبة فى الحرب، وأن البطل الصنديد هو الذى ينال اكليل الظفر، ولكن «**الحرب ليست للأقوياء**» دائما، فقد رأينا أن جيش الفلسطينيين، الذى كانت ترهب منه كل الشعوب، قد هرب أمام يوناثان وغلامه، "رجل واحد منكم يطرد ألفا" (يش ٢٣ : ١٠). فالأغراض حسنة قد يسمح الله بأن يكون النصر حليف الضعيف.

٣ ـ ويظن الناس أيضا بأن ذوى العقول المفكرة هم أكثر الناس حصولا على الماديات، وبأن الذين يعرفون كيف يعيشون فى هذا العالم تعظم ثروتهم وتتسع ممتلكاتهم. على أنه ليس هذا هو الحال دائما "فان الخبز ليس للحكماء ولا الغنى للفهماء". فكم من الأذكياء والمجدين والمجتهدين الذين كان من المنتظر أن يفلحوا ويعظم قدرهم وجاههم رأيناهم معدمين فى هذه الحياة.

٤ ـ ويظن الناس أن أولئك الذين قد أوتوا معرفة أفكار البشر، وتدبير الأمور وسياستها، يفضلون عن غيرهم، وينالون رضى العظماء. ولكن كم من الأذكياء رأيناهم يطرحون فى زوايا النسيان، بل كم منهم خربوا أنفسهم بنفس تلك الوسائط التى كانوا يظنون أن فيها رفعتهم، ذلك لأن «**النعمة ليست لذوى المعرفة**» فطالما كان الأغنياء هم المرضى عنهم الحكماء هم المغضوب عليهم.

(٢) وهو ينسب كل تلك التصرفات لقوة حاكمة عالية وعناية فائقة، فانها ولو ظهرت لنا أنها "عرضية" الا أنها فى الواقع مبنية على مشورة الله وعلمه السابق، اللذين عبر عنهما هنا "بالوقت" حسب اصطلاح هذا السفر (ص ٨ : ١ ، مز ٣١ : ١٥) «**الوقت والعرض يلاقيانهم كافة**». ان العناية الإلهية تهدم آمال البشر، آمالهم، وتخيب ظنونهم، وتعلمهم بأن طرقهم ليست فى أيديهم، بل خاضعة لإرادة الله. صحيح أنه يجب علينا أن نستخدم الوسائط التى توصلنا لأغراضنا، ولكن يجب أن لا نثق فيها أو نتكل عليها، وان نجحنا فلنقدم الحمد لله (مز ٤٤ : ٣) وإن فشلنا فلنخضع لإرادته ولنقنع بنصيبنا.

ثانياً : وطالما عجبنا ودهشنا مما حل بنا من الشرور التى لم نكن نعمل لها حسابا ع ١٢ : «**لأن الإنسان أيضاً لا يعرف وقته**» أى وقت مصيبته أو وقت سقوطه أو وقت موته الذى يعبر عنه فى الكتاب المقدس "يومنا

++
وساعتنا".

(١) نحن لا نعرف ما ينتظرنا من المتاعب التى تفضلنا عن علمنا أو عن العالم، لا نعرف ماذا "يلاقينا من الوقت والعرض" ولا نعرف ماذا يلده لنا اليوم أو الليله. "ليس لنا أن نعرف الأوقات" حتى ولا وقتنا، ليس لنا أن نعرف متى أو كيف يموت. فالله بحكمته قد حفظنا فى ظلام من نحو هذا الأمر لكى نكون على استعداد فى كل حين.

(٢) وقد تقابلنا متاعب فى نفس الأمور التى كنا نظن أن فيها راحتنا ومنفتنا، فكما أن "الأسماك توخذ بشبكة مهلكة والعصافير تؤخذ بالشرك" بواسطة الطعم الذى يوضع لغوايتها فتلتهمه بشراهة "كذلك تقتنص بنو البشر فى وقت شر اذ يقع عليهم بغتة" قبل أن يستعدوا له. وهذه الأمور تحدث للجميع ع ٢. فالبشر طالما وجدوا السم الزعاف فيما كانوا يتطلبون منه البركة، وطالما وجدوا الموت فيما ظنوا أن لهم فيه ربحا عظيما.

فلا يليق بنا حينئذ أن نأمن للدهر بل لنستعد دائما للطوارئ حتى أن أتتنا بغتة لا نجد فيها دهشة أو رعبا.

١٣ ـ هذه الحكمة رأيتها أيضا تحت الشمس وهى عظيمة عندى.

١٤ ـ مدينة صغيرة فيها الناس قليلون فجاء عليها ملك عظيم وحاصرها وبنى عليها أبراجاً عظيمة.

++

١٥ ـ ووجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة بحكمته. وما أحد ذكر ذلك الرجل المسكين.

١٦ ـ فقلت الحكمة خير من القوة أما حكمة المسكين فمحتقره وكلامه لا يسمع.

١٧ ـ كلمات الحكماء تسمع في الهدوء أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال.

١٨ ـ الحكمة خير من أدوات الحرب. أما خاطئ واحد فيفسد خيرا جزيلا.

لا يزال سليمان يمدح لنا الحكمة ويبين ضرورتها لحفظ سلامنا واتمام أعمالنا وواجباتنا بالرغم من الأباطيل والتجارب التى تعرض لها مصالح البشر. لقد قرر فى ع ١١ ان "الخير ليس للحكماء" ولكنه لا يريد من ذلك أن يساء الظن فيه بأنه يحتقر الحكمة أو يشجبها، كلا : فهو لا يزال حافظا لمبدئه الأول وهو "أن الحكمة منفعه أكثر من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة" (ص ٢ : ١٣) وإننا يجب أن نحبها ونعتنقها ونسترشد بها لما فيها من نفع عظيم ولما تكسبنا اياه من أن نكون نافعين للآخرين ولو لم نستطع نحن أنفسنا أن ننال منها غنى أو عظمة.

إن «**هذه الحكمة**» ، أى الحكمة التى يصفها هنا، الحكمة التى تمكن

++

الإنسان من خدمة بلاده، حبا فى مصلحتها، ولو لم ينل منها لنفسه منفعة أو شكرا على أتعابه، هذه هى الحكمة التى يقول عنها سليمان "عظيمة عندى" ع ١٣.

أولاً : يعطينا سليمان هنا مثلا : من المحتمل جدا انه كان حادثة وقعت فى بلد مجاور - عن «**رجل مسكين**» أتى عملا عظيما، وخدمة جليلة بحكمته، فى وقت عصيب ع ١٤ : «**مدينة صغيرة**»، أى ليست غنيمة عظيمة يطمع فيها. «**فيها أناس قليلون**» للدفاع عنها، والأناس انكانوا بأس صاروا أعظم حصن للمدينة، أما أناس هذه المدينة ففضلا عن أنهم كانوا قليلين فقد كانوا ضعفاء، وشديدى الخوف، والجزع، ومستعدين لتبسليم مدينتهم لعدم استطاعتهم الدفاع عنها.

«**فجاء عليهم ملك عظيم**» بجيش عظيم «**وحاصرها**» أما حبا فى الافتخار، أو طمعا فى امتلاكها، أو انتقاما ومنها وتعذيبا لها بسبب اهانة لحقته منها. وظنا منه بأنها أقوى مما هى عليه «**بنى عليها أبراجا عظيمة**» لتخريبها منها، وبذلك تأكد من امتلاكها فى وقت قصير. فيا للمتاعب والخسائر العظمى التى بسببها الملوك الطماعون لما جاورهم من الممالك الضعيفة بلا مسوغ. لم يكن هذا الملك ليتخوف من هذه المدينة الصغيرة، فلماذا ازعجها كل هذا الازعاج؟ وهى لم تكن لتغنه كثيرا فلماذا كلف نفسه كل تلك المشقات والنفقات لامتلاكها ؟ على أنها كما أن بعض

++

الأفراد يسعون بلا وجه حق بسبب أطماعهم وجشعهم فى أن "يصلوا بيتا ببيت ويقرنوا حقلا بحقل" كذلك طالما سعى بعض الملوك فى أن يصلوا مدينة بمدينة ويقرنوا ولاية بولاية لكى "يسكنوا وحدهم فى وسط الأرض" (اش ٥ : ٨).

ولكن هل كان النصر والنجاح حليف ذلك القوى ؟ كلا : فقد وجد فى تلك المدينة من بين شعبها القليلين «**رجل مسكين حكيم**» حكيم ولكنه مع ذلك فقير، وليس له مركز أو مقام ممتاز فى المدينة، فالمراكز الهامة والخطيرة لم توزع على الناس بحسب جدراتهم واستحقاقهم والا لما كان هذا الحكيم قد بقى فقيرا.

والآن لنلاحظ عن هذا الرجل بأنه :

(١) ولأنه كان حكيما قد خدم المدينة رغم فقره. أنهم فى ضيقتهم وجدوه أمامهم (قض ١١ : ٧) فطلبوا مشورته ومساعدته، «**فنجى هو المدينة بحكمته**» أما بتعليمات رشيدة أصدرها الى بنى وطنه المحاصرين وارشادهم الى طريقة لم تخطر لهم على بال لنجاتهم، أو بمحالفة قويمة أبرمها مع أعدائهم المحاصرين كما فعلت المرأة التى فى آبل (٢ صم ٢٠ : ١٦). انه لم يخونهم أو يعتب عليهم لاحتقارهم اياه وازدرائهم به باقصائه من المراكز التى يليق لها، ولم يخبرهم بأنه فقير وليس له ما يخشى ضياعه ولذلك فلا يهمه ما يحل بالمدينة، ولكنه فعل كل ما فى استطاعته لنجاتها فكلل عمله بالنجاح.

++

ملاحظة : يجب أن تضحى المصالح الخصوصية وتنسى الأحقاد الشخصية فى سبيل المصلحة العامة، وتنسى عندما يقتضى الخير العام ذلك.

(٢) ولأنه كان فقيرا فقد كان محتقرا من أهل المدينة مع أنه كان حكيما، وكان واسطة فى خلاصهم جميعا من الهلاك «**وما احد ذكر ذلك الرجل المسكين**» فخدماته الجليلة قد أغفل عنها، ولم يعط جائزة أو علامة من علامات الشرف من أجلها، ولكنه عاش فى الفقر وفى زوايا النسيان كما كان سابقا. "فالمال لم يعط لذلك الرجل الفهيم، ولا النعمة لهذا الرجل ذى المعرفة" ع ١١ . فيا له من عالم متقلب، ناكر للجميل، ذلك العالم الذى نعيش فيه. على أنه خير للرجال النافعين أن لهم يثقون فيه ويكون لهم أحسن مجاز، أما بين البشر فكثيرا ما قوبلت الأعمال العظيمة والخدمات الجليلة بالحسد، وكثيرا ما جوزى الخير بالشر.

ثانياً : ومن هذا المثل استنتج سليمان بعض استنتاجات نافعة ولاحظ بعض تعاليم هامة :

(١) لقد لاحظ أولا شدة منفعة الحكمة، وعظيم قيمتها، وكيف أنها تصير الإنسان بركة عظمى لبلاده : «**الحكمة خير من القوة**» ع ١٦ . فالعقل الحكيم الذى هو موضوع شرف الإنسان وكرامته، أفضل جدا من الجسم القوى الذى به يمتاز كثير من الحيوانات غير الناطقة عن الإنسان. قد يستطيع الإنسان أن يعمل بحكمته ما لا يستطيع اتمامه بقوته، وقد

يستطيع بحكمته أن ينتصر على من هم أقوى منه. نعم "فالحكمة خير من أدوات الحرب" سواء للدفاع أو للهجوم ع ١٨ "الحكمة" أى التقوى والصلاح (لأن سليمان يقارن الحكيم هنا بالخاطئ) خير من كل القوات والآلات الحربية، لأننا بها نضمن وجود الله فى صفنا، وبذلك نكون فى مأمن من كل الأخطار، وفى نجاح فى كل الخطط لأنه "ان كان الله معنا فمن علينا" أو من يستطيع الوقوف أمامنا؟

(٢) ثم لاحظ قوة الحكمة وسلطانها، ولو عاكستها بعض المظاهر الخارجية ع ١٧ : «**كلمات الحكماء تسمع فى الهدوء**». فما يتكلمون به لابد أن يحترم ويصغى اليه لأنه سديد وفى الموضوع ولم ينطقوا به الا بعد ترو وامعان وبكل هدوء وتؤدة، ولو أنهم لا يجرأون على التكلم بصوت عال، أو بسلطان بالنسبة لفقرهم ومسكنتهم. وليس ذلك فقط بل ان كلماتهم تنال الغرض المطلوب أيضا وتسود على البشر أكثر من أوامر «**وصراخ المتسلط بين الجهال**» الذين لجهلهم اختاروه ليتسلط عليهم بسبب صراخه وصوته العالى، والذين يظنون أنه بذلك ترهب منه كل البشر. ان كلمات قليلة حسن صوغها لأفضل من كلمات كثيرة ضخمة، ومن الجهل أن نجاوب من يتكلمون بحسب جهلهم وحماقتهم "ما أشد الكلام المستقيم" (أى ٦ : ٢٥). وكلام الحكمة يجب أن ينطق به "بهدوء"، وبذلك يسمع فى هدوء، ويتأمل فيه الناس فى هدوء. أما الحدة فتقلل حتى قوة العقل.

(٣). ولاحظ أيضا أن الحكماء والصالحين يجب أن يقنعوا أنفسهم ـ رغما من كل ذلك ـ بأنهم قد فعلوا الخير، أو على الأقل قد حاولوا فعل الخير عندما لا يستطيعون فعل ما يبتغون فعله من الخير، أو عندما لا يحمدون على ما فعلوه من الخير. الحكمة تمكن الإنسان من خدمة البشرية. ولكنه مع شديد الأسف ان كان فقيرا تحتقر حكمته «**حكمة المسكين محتقرة وكلامه لا يسمع**» ع ١٦ : فكم من الناس يدفنون وهم أحياء فى الفقر ويتركون فى زوايا النسيان، مع أنهم لو نالوا قليلا من المساعدة لكانوا أعظم بركة للعالم على أنه يأتى يوم تكرم فيه الحكمة، ويمجد الصلاح، فيه "يضئ الأبرار كالشمس" (مت ١٣ : ٤٣).

(٤) ومما لاحظه من مقدار الخير العظيم الذى يستطيع فعله الرجل الحكيم والصالح، استنتج مقدار عظم الشر الذى يستطيع فعله الشرير، ومقدار عظمة الخير الذى يستطيع منه "أما خاطئ واحد فيفسد خيرا جزيلا".

١ ـ فمن جهة نفسه أن حالة الخطية حالة مضيعة ومفسدد لخيرات كثيرة، فكم من المواهب الصالحة ـ سواء كانت مواهب الطبيعة أم مواهب العناية الإلهية ـ يبددها الخاطئ. فالعقل الراجح، والعلم النافع، وقوة الإدراك والتمييز، والثروة والطعام والشراب، وكل مخلوقات الله النافعة ـ هذه كلها يستخدمها الخاطئ فى إتمام خطيته فيفسدها ويضيعها ويعكس الغرض الأصلى من وضعها. فحقا ان من يفسد نفسه «**يفسد خيرا جزيلا**».

+++

٢ ـ وأما من جهة الآخرين فيا لعظم الشر الذى يستطيع أن يجلبه خاطئ واحد فى مدينة أو مملكة. فالخاطئ الواحد الذى لا يهتم الا بافساد الآخرين قد يفسد كثيرا من القوانين الصالحة، والمواعظ، والإرشادات النافعة، ويجذب الكثيرين إلى طرقه الفاسدة. قد يكون خاطئ واحد سببا فى خراب مدينة بأكملها كما كان عخان سببا فى تكدير صفاء محلة اسرائيل وكسرتهم أمام أعدائهم. كان الحكيم الذى خلص المدينة بحكمته يستحق الإكرام والمكافأة. أما ذلك الخاطئ فهو الذى منع عنه ما يستحقه وحقر الخدمة الجليلة التى قام بها. وكم من مشروعات نافعة كانت تعود على البشرية بالخير الجزيل لقيت من المفسدين من عطلها بشره وخبثه وفساده. كان يكفى لإصلاح العالم وشفائه من أدوائه قليلون من الحكماء لو لم يكن فى العالم الكثيرين من الخطاة المفسدين. فان كان القدس يفعل خيرا جزيلا، والشرير يفسد خيرا عرفنا من ذلك من هم أحباء الملكوت ومن هم أعداؤه.

+++

* الإصحاح العاشر *

هذا الأصحاح يشبه أمثال اسليمان، لأنه جمع كثيرا من الحكم والمشاهدات، خلاقا لما مر بنا فى الأصحاحات الماضية، التى يتكلم فى كل منها تقريبا عن أمر خالص. على أن المحور الذى تدور حوله كل ملاحظاته التى دونها فى هذا الأصحاح هو أن يمدح لنا الحكمة ووصاياها وقواعدها، ويبين لنا شدة لزومها لاستقامة سيرنا فى هذه الحياة، ويحذرنا من الجهل والغبارة.

أولاً : انه يمدح الحكمة لأناس معينين فى مراكز حقيرة :

(١) فمن الحكمة أن نحفظ سمعتنا وذلك بإدارة أعمالنا بحذق ومهارة ع ١ - ٣.

(٢) وأن نخضع لرؤسائنا ان كنا قد أسأنا اليهم ع ٤.

(٣) وأن نحيا حياة هادئة فى سلام ولا نتداخل أو نختلط بأولئك المشاغبين، ومحبى الفتن والقلاقل،، الذين يسعون دائما لقلب نظام الحكومات واقلاق راحة الجمهور، ويبين سليمان هنا غباوتهم والأخطار التى تنجم عن أعمالهم ع ٨ - ١١.

(٤) وأن نضبط ألسنتنا جيدا ع ١٢ - ١٥.

(٥) وأن نكون مجدين فى أعمالنا وفى إعالة عائلاتنا ١٨ ، ١٩.

(٦) وأن لا نتكلم بشر عن رؤسائنا وحكامنا، حتى ولا فى السر ع ٢٠.

ثانياً : ثم يوصى للحكام بالجكمة. مبينا لهم أنه ان كان رعاياهم هادئين وخاضعين لهم فلا يصح بأن يظنوا أنهم بسبب ذلك يستطيعون أن يفعلوا ما يشاءون، بل :

(١) ليحرصوا أشد الحرص من يختارونهم فى اشغال المراكز العالية والوظائف ذات المسئولية ع ٥ـ ٧.

(٢) وليسلكوا بحكمة وعفة، ويكونوا كرماء وأشرافا لا طفيليين، ومعتدلين لا مترفهين ع ١٦و ١٧.

فيالسعادة تلك الأمة التى يؤدى رؤساؤها ورعيتها واجباتهم بحسب هذه القوانين والمبادئ.

١ ـ الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار. جهالة قليلة أثقل من الحكمة ومن الكرامة.

٢ ـ قلب الحكيم عن يمينه ، وقلب الجاهل عن يساره.

٣ ـ أيضا اذا مشى الجاهل فى الطريق ينقص فهمه ويقول لكل واحد انه جاهل.

فى هذه الأعداد يبين لنا سليمان :

أولا : أن الحكماء يجب أن يحرصوا أشد الحرص لئلا يرتكبوا أى خطأ

++

بسبب الجهل، لأن «**جهالة قليلة**» عيب فاضح لمن اشتهر «**بالحكمة والكرامة** (١)» وتضر بصيته الحسن كما يفعل "الذباب الميت" بعطر زكى الرائحة "طيب العطار" فانه لا يضيع رائحته فقط بل «**ينتنه ويخمره**» (يجعله ذا رائحة كريهة).

ملاحظتان :

(١) "الحكمة" الحقيقية تكسب الإنسان "كرامة" حقيقية وهذه تشبه صندوق روائح عطرية.

(٢) والصيت الذى يكتسب بمشقة وبحكمة فائقة قد يفقد بسرعة "وبجهالة قليلة"، لأن الحسد لا ينشب أظفاره إلا فى من سمت مراكزهم وعلا شأنهم، ويشنع فى غلطات من اشتهروا بالحكمة، ولأنهم ينتقدون أشد الانتقاد على ما يبدو منهم من جهالة، بينما أن نفس هذه الجهالة لا تلاحظ فى الآخرين. فعلى الذين ينتمون للمسيحية أن يسلكوا بحرص وتدقيق "ويمتنعوا عن كل شبه شر" (١ تس ٥ : ٢٢) أو ما يوصل إلى الشر، لأن أعين الجميع متجهة نحوهم تترقب سقوطهم، وبذلك ينثلم صيتهم فى الحال.

---

(١) ترجمة النص الانكليزى للجزء الأخير من العدد الأول هو "هكذا تفعل جهالة قليلة بمن اشتهر بالحكمة والكرامة"، ووردت هكذا فى ترجمة اليسوعيين : "قليل من الحماقة يفسد نفائس الحكمة والمجد".

ثانياً : وبين الحكيم والجاهل فرق شاسع فى إدارة الأعمال ع ٢ : **«قلب الحكيم عن يمينه»** وبذلك فهو يسير فى أعماله بحذق ورشاقة، ويمد اليها يمينه بسرعة ويؤديها بنشاط. أما **«قلب الجاهل فعن يساره»** فهو لا يفكر إلا أن جد أمر هام، ولذلك فهو يقضى حياته فى ارتباكات شديدة كمن قد فرغت جعبته، وفقدت حيلته، ويشبه رجلا مقطوع اليمين. وما أصدق ذلك القول "ان لسان العاقل وراء قلبه وقلب الجاهل وراء لسانه" فهو يتمشى مع تلك الحقيقة جنبا الى جنب.

ثالثاً : والجاهل يعلن جهله للجميع فى كل فرصة. فالجاهل أو الشرير ان ترك لنفسه ولميجد أى رداع "بل مشى فى الطريق" يبين حقيقة حالته لأن "فهمه ينقص"، وبغير مناسبة "يقول لكل واحد أنه جاهل" ع ٣ أى يعلن جهله كما لو كان قد نطق به لسانه.أنه لا يقدر أن يخفيه. ولا يخجل من اظهاره. ان الخطية عار الخطاة أينما حلوا.

٤ ـ ان صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك، لأن الهدوء يسكن خطايا عظيمة.

٥ ـ يوجد شر رأيته تحت الشمس كسهو صادر من قبل المتسلط.

٦ ـ الجهالة جعلت فى معالى كثيرة، والأغنياء يجلسون فى السافل.

٧ ـ قد رأيت عبيدا على الخيل، ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد.

٨ ـ من يحفر هوة يقع فيها، ومن ينقض جدارا تلدغه حية.

٩ ـ من يقلع حجارة يوجع بها. من يشق حطبا يكون فى خطر منه.

١٠ ـ ان كل الحديد ولم يسنن هو حده فليزد القوة. أما الحكمة فنافعة للإنجاح.

١١ ـ ان لدغت الحية بلا رقية فلا منفعة للراقى.

الغرض من هذه الأعداد هو ارشاد الرعية ليكونوا أمناء ومخلصين لحومتهم. كان الناس فى عصر سليمان أغنياء جدا، وعائشين فى رخاء. وربما يكون ذلك قد أثر فى أخلاقهم، فجعلهم متكبرين ومشاكسين، ويبدو انه عندما ارتفعت الضرائب سلك البعض بوقاحة ضد الحكومة، وهددوها بالتمرد والعصيان، ولو أنه كان لديهم ما يكفى لتسديد هذه الضرائب. وهذا نرى سليمان يعطى بعض التحذيرات لأمثال هؤلاء.

أولا : لا يليق بالرعية أن يتشاحنوا مع ولاتهم بسبب أية ضغينة شخصية ع ٤ : «**ان صعدت عليك روح المتسلط**» ان غضب عليك وهددك بسبب أية وشاية بلغت اليه فى حقك، أو بسبب سوء تصرفك «**فلا تترك مكانك**» لا تنس واجبك كأحد رعيته، لا تهمل أن تؤدى طاعتك وولاءك، لا تتعجل ـ وأنت فى حدتك وثورة غضبك ـ فى ترك خدمته، والتخلى عن عملك، كأنك تظن انك لن تنال رضاءه ثانية. كلا! انتظر قليلا فتجده

ليس كما توهمت فيه من أنه لا يكظم غيظه، بل اعلم «**ان الهدوء يسكن خطايا عظيمة**».

يتكلم سليمان هنا عن نفسه، وعن كل رجل حكيم صالح أسند اليه مركز الحكم والسيادة لكى يصفح عن كل من غضب عليهم لأى سبب من الأسباب. انه أفضل وأسلم عاقبة أن نهدأ أمام الولاة الثائرين من أن نتشاحن معهم.

ثانياً : ولا يليق بهم أن يتشاحنوا مع ولاتهم ولو لم تكن إدارتهم كما يهوون فى كل شئ : لقد صرح بأنه «**يوجد شر رأيته تحت الشمس**» أو بالحرى طالما رؤى تحت الشمس، وهذا الشر هو شر الملك، هو شر لا يمكن لغير الملك اصلاحه، لأنه "سهو صادر من قبل المتسلط" ع ٥، هو خطأ طالنا ارتكبه الملوك لأنهم يشغلون المراكز والمناصب لا بحسب كفاءات الناس وبحسب ما تقتضيه المصلحة العامة بل بحسب شهواتهم الخاصة، ولذلك كثيرا ما رأيت "الجهالة جعلت فى معالى كثيرة"، كثيرا ما وضع قصيرو الفهم وقليلو الإدراك فى مراكز خطيرة ومناصب رفيعة، بينما أن الأغنياء ذوى العقول الراجحة والثروة الطائلة، الذين تضطرهم مصالحهم ليكونوا أمناء للجمهور، والذين بسبب غناهم لا يعرضون للسقوط فى تجربة الرشوة ـ هؤلاء يبقون فى مراكز وضيعة "يجلسون فى السافل" ع ٦ أما لأن الحكام لا يقدرونهم حق قدرهم، أو لأن شروط الترقى لا تتوفر فيهم.

++

فيالتعاسة تلك الأمة التى يسمو فيها الأشرار، ويكبل فيها النافعون بقيود قوية.

وهذا يوضحه بأكثر جلاء فى ع ٧ : «**قد رأيت عبيدا على الخيل**» أى رجالا ليسوا فقط من أصل حقير وعديمى العلم (لأنه لو كان هذا هو غاية الأمر لألتمس لهم بعض العذر فكم من "عبد تسلط على ابن مخز بفطنته" (ام ١٧ : ٢) بل أيضا من أصل خسيس وذوى أخلاق فاسدة. هؤلاء رأيتهم على الخيل يسيرون فى مظاهر العظمة والأبهة كأنهم رؤساء، بينما "الرؤساء" الشريفو الأصل وذوو الكفاءات النادرة الذين يستحقون أن يولوا زمام أمور المملكة بأكملها يضطرون أن "يمشوا على الأرض كالعبيد" مساكين ومحتقرين. هكذا يعاقب الله الشعوب الشريرة. ولكن ان كان العمل عمل الملوك والولاة فالخطأ خطأهم، وبالعظم ذلك الشر لأنه يضايق الرعية ويؤلم نفوسهم. على أنه "شر تحت الشمس" وسوف يصلح يقينا فوق الشمس، لأن الحكمة والقداسة هما اللذان يسودان فى السماء.

لكن ان كان الرئيس آثما فى هذا الشر فلا يليق بالرعية أن «**يتركوا مكانهم**» أو يثوروا ضد الحكومة، أو يسعوا فى قلب نظامها : كذلك لا يليق بالرئيس أن يركب متن الشطط فى هذا الأمر، ويضع مثل هؤلاء العبيد على الخيل، لئلا يعيثوا فى الأرض فسادا، ويهددوا سلامة البلاد.

(١) يجب على كل من الرؤساء والشعب أن لا يحاولوا أى تغيير أو

+++

تعديل فى نظام البلاد بعجلة لأنهم سيرون بعد حين نتائج ذلك الوخيمة وأخطاره. وهو يوضح هذا بأربعة أمثلة الغرض منها عدم التدخل فيما يضرنا. يجب على الرؤساء أن لا يحجروا على حرية رعاياهم، أو يسلبوهم حقوقهم، كما يجب على الرعية أن لا يتمردوا على رؤسائهم لأن :

١ ـ **«من يحفر هوة»** لغيره لابد أن "يقع فيها" هو نفسه، وترجع إليه عواقب عمله الوخيمة. فان كان الملوك ظالمين أو الرعية متمردين فليسألوا المؤرخين ينبؤهم بمصيرهم وبما لابد أن يحل بهم من الأخطار والمصائب، وأنه كان خيرا لهم لو قنع كل من الطرفين بما أعطى له.

٢ ـ **«ومن ينقض جدارا»** جدارا قديما باقيل منذ القدم، كعلامة أو أثر، فليتوقع بأن يجد "**حية**" أو أفعى ـ التى تأوى عادة الخرب القديمة ـ "**تلدغه**"، **بأن** "تنشب فى يده **أفعى**" أو حشرة سامة (اع ٢٨ : ٣). لقد سيج الله حول مواهب وقوات الملوك، ووضع أشخاصهم تحت حمايته وعنايته الخاصة، لذلك فمن دبر منهم أية مكيدة لتقويض أركان سلامتهم وعظمتهم ومراكزهم كانوا هم الجناة على أنفسهم.

٣ ـ **«ومن يقلع حجارة»** لاسقاط حائط أو مبنى لابد أن تقع على رأسه **«ويوجع بها»** فيتمنى بعد ذلك لو كان قد تركها فى موضعها. ان من يسعون فى تغيير نظام حكومة حسنة الإدارة ادعاء منهم باصلاح بعض الغلطات لابد أن يتبين لهم حالا ان الإصلاح ليس بالأمر الهين كالانتقاد،

+++

وأن ادخال الأنظمة الأكثر صلاحية ليس من المستطاع كما كان يظن، وانهم بهذا العمل يضعون أصبعهم فى النار، ويجرون على أنفسهم الهلاك الذى يسببونه بعملهم هذا.

٤ ـ «**ومن يشق حطبا**» سيما ان كانت لديه أسلحة كآلة ع ١٠، «**يكون فى خطر منه**» لأنه قد تؤذيه شظاياه، أو قد تفلت منه الآلة التى يشقه بها فتطير على يده أو على وجهه. فان صادفتنا عقد خشبية، أى أشخاص ذوى ضمائر فاسدة ونفوس لا يكبح جماحها، وظننا أننا نستطيع التغلب عليها بالقوة والعنف فاننا لا نجدها أصعب من أن تقوى عليها فقط بل قد تكون محاولة التغلب عليها ضارة ومؤذية لنا نحن أيضا.

(٢) بل ليتصرف كل من الرئيس والشعب نحو الآخر بحكمة واعتدال وخلق حسن : «**الحكمة نافعة للانجاح**» (أو للإرشاد) نافعة لإرشاد الحاكم الى حسن إدارة الشعب الذى يميل الى المشاغبة، وذلك بعدم الاغفال عنهم لئلا يزيدوا فى مشاغباتهم، وبعدم استعمال القسوة والعنف معهم لئلا يجمحوا الى ما هو أشر من المشاغبة.

وهى نافعة أيضا لإرشاد الشعب إلى حسن معاملة حاكمهم ان كان يميل للشدة من نحوهم، وذلك بعدم التمرد عليه بل بعرض مظلماتهم بكل أدب واحترام (وليس بتقديم مطالب سخيفة ووقحة كما فعل الشعب مع رحبعام) وبالخضوع له بالصبر والإحتمال وبإستعمال الطرق السلمية المشروعة.

++

وهذا القانون يجب تطبيقه بين كل الأفراد لأنه يؤدى إلى حفظ السلام بينهم. لتكن الحكمة مرشدة لهم الى الرقة واللطف ومعينة لهم على احتمال الشدة والعنف.

١ ـ الحكمة تعلمنا أن نحدد الآلة التى نستعملها لئلا نضطر أن **«نزيد القوة»** ان تركناها كآلة ع ١٠، اننا نوفر على أنفسنا متاعب جمة، وندرأ عنا أخطارا عديدة، ان كنا نحدد الآلة قبل القطع بها، أى أن كنا نتأمل ونمعن النظر فيما يجب ويحق قوله وفعله فى كل الظروف الصعبة، وبذلك نتمم كل أعمالنا بسهولة ونريح أنفسنا والآخرين. الحكمة تعلمنا أن نحدد أنفسنا لنعمل لا بالغش (مز ٥٢ : ٢) بل بنزاهة ونشاط ان كان الحاصد يحدد آلته لا يضيع منه أى وقت سدى.

٢ ـ والحكمة تعلمنا أن نرقى ونسحر الحية التى لابد لنا من النزاع معها بدلا من الاستخفاف بها ع ١١ : فهى لابد من أن تلدغ ان لم تسحر ويستوقف أسماعها بصوت الغناء (مز ٥٨ : ٤ ، ٥). ان فصيح اللسان الذى يستطيع التعبير عما يكنه ضميره بأية صيغة شاء تكون معاملته كمعاملة **«حية بلا رقية»**. ولكنك ان رقيته بكلمات لطيفة عذبة، وبالخضوع له قليلا أمنت شره وخطره. وهنا نجد الحكمة ـ بما فيها من دعة ولطف وتواضع ـ **«نافعة للإنجاح»**. "ببطء الغضب يقنع الرئيس" (ام ٢٥ : ١٥). فيعقوب سحر عيسو بهدية، وأبيجايل سحرت داود. فالسكوت خير لنا وألزم من النطق بكلمات موجعة.

++

١٢ ـ كلمات فم الحكيم نعمة وشفتا الجاهل تبتلعانه.

١٣ ـ ابتداء كلام فمه جهالة وآخر فمه جنون ردئ.

١٤ ـ والجاهل يكثر الكلام. لا يعلم إنسان ما يكون، وماذا يصير بعده من يخبره.

١٥ ـ تعب الجهلاء يعيبهم لأنه لا يعلم كيف يذهب إلى المدينة.

لقد أبان سليمان فيما مر فوائد الحكمة وضرورتها لحسن إدارة أعمالنا، وهنا يبين أضرار الجهل ومقدار ما يعرض أصحابه اليه من الأخطار. وقد تكون هذه الملاحظات مستخلصة من تأملاته فى أولئك الحكام الذين «**جعلوا الجهالة فى معالى كثيرة**» (ع ٦).

أولا : فالجهلاء يتكلمون كثيرا بدون جدوى، وبغير سبب، ويظهرون غباوتهم بكثرة كلماتهم ووقاحتها وفسادها، مع أن «**كلمات فم الحكيم نعمة**». تبين النعمة التى فى قلبه، وتعطى نعمة للسامعين. انها صالحة وتناسب حكمته وتنفع كل من حوله. أما «**شفتا الجاهل**» فلا تعرضانه فقط للهزء والسخرية بل "**تبتلعانه**" أيضا وتجلبان عليه الهلاك، لأنهما يعطيان الحكومة فرصة لمراقبة كلماته المفسدة ومؤاخذته عليها. "فادونيا تكلم ضد نفسه" بجهله وغباوته (١ مل ٢ : ٢٣). وكم من الناس "يوقعون ألسنتهم على أنفسهم" فيبتلعوا فى هاوية الهلاك (مز ٦٤ : ٨).

++

والان لنلاحظ ما يأتى عن كلام الجاهل :

(١) انه ينشأ من ضعفه وشره : **«ابتداء كلام فمه جهالة»** فالجهالة ملازمة لقلبه، أى ان الينبوع الذى تخرج منه كل المجارى قد تنجس، وكنز القلب قد فسد فتخرج منه الشرور. فحالما يتكلم تلاحظ جهالته، لأن ابتداء كلامه يخرج بكسل وبشر وبجهل مثله.

(٢) وينتهى بالغضب وضرر الآخرين. **"وآخر فمه"** أى الغاية التى يصل اليها، **"جنون ردئ"**. ان بدأ يتكلم ينفجر كالبركان، وتخرج من فمه مقذوفات نارية حتى تظهر عليه علامات الجنون. والغاية التى يرمى اليها هى الشر، فكما انه ظهر عليه أولا عدم استطاعته ضبط نفسه هكذا يظهر عليه فى النهاية مقدار الشر الذى يكنه للآخرين. لأن أصل المر يثمر علقما وأفسنتينا (تث ٢٩ : ١٨).

ملاحظة : ليس غريباً أن ينتهى بالجنون من يبدأ بلجهالة، لأن اللسان ان لم يكبح جماحه ازداد شرا وفسادا.

(٣) ويكرر الكلام باطلا ع ١٤ : **«الجاهل يكثر الكلام»** ان كان غضوبا، فهو يحوم حول الكلمات، ولا يعرف متى وكيف ينتهى. وعندما ينتهى حديثه ترى أن آخر كلامه كأوله. انه يظن ويحاول أن يستعيض عما ينقص كلامه من القوة والمنفعة بتكريرة، لأنه فعلا ان لم يكرر لما وجد فيه ما يستحق الالتفات.

++

ملاحظة : ان أغلب الذين خلت عقولهم "يكثرون الكلام"، وأقل الناس ثباتا أكثرهم جلبة وضوضاء.

أما الكلمات التالية. فقد يكون المقصود منها :

١ ـ صد الجاهل عن فخره الباطل بكثرة كلامه، وتوجيه النظر تلك الحقيقة التي لا يجهلها أحد وهى أنه «**لا يعلم إنسان ما يكون**» فى عصره وهو حى (ام ٢٧ : ١) أو بالحرى «**ماذا يصير بعده**». أى بعد وفاته ومغادرته هذا العالم. فان كنا حقا نتأمل ونتحقق من جهلنا التام، بحوادث المستقبل. لامتنعنا عن النطق بالكلمات الكثيرة البطالة التى نكثر منها بغباوتنا.

٢ ـ أو قد تكون للهزء به بسبب تكراره لكلماته. انه "يكثر الكلام" لأنه ان كان لا ينطق سوى بما تعود الناس سماعة منه لما استطاع "الإنسان أن يعلم ما يكون" لأنه يكرر ما سبق قوله، ولما استطاع أحد أن يعلم «**ماذا يصير بعده**». ولهذا نهانا المسيح عن "تكرار الكلام باطلا" (مت ٦ : ٧).

ثانياً : والجهلاء يتعبون كثيرا بدون جدوى وبغير سبب ع ١٥ : «**تعب الجهلاء**» الذى يتكبدونه لاتمام مقاصدهم "**يتعبهم**".

(١) انهم يتعبون أنفسهم فى أعمالهم السخيفة والغبية. فكل أتعابهم للعالم وللجسد وللطعام البائد، وهم يستفدون فى هذا التعب كل قوتهم

++

ويضعون روحهم "وللباطل يعيون" (حب ٢ : ١٣ ، اش ٥٥ : ٢) يفضلون العمل الذى يلقون فيه العبودية التامة عن ذلك الذى يقضونه فى حرية كاملة.

(٢) وذلك التعب (أو العمل) الضرورى والنافع، والذى يتحمله الإنسان بكل سهولة وارتياح "**يتعبهم**" لأنهم يقضونه بجهل وغباوة، وبذلك تصير كل أعمالهم عبئا عليهم، بينما انهم لو أدوه بشئ من الحكمة لصار لهم موضوع سعادة وسرور. يتذمر الكثيرون من أعمال (أو أتعاب) التقوى كأنها حمل ثقيل، على انهم لو مارسوها بشئ من الحكمة لما كان هنالك ما يدعو للتذمر.

ان الجاهل يتعب نفسه لأنه يريد السعى وراء أغراض لا طائل تحتها ولأنه لا يستطيع أن يكمل أمرا واحدا "**لأنه لا يعلم كيف يذهب إلى المدينة**» **أى لا قدرة له على تفهم أبسط الأمور**، كالدخول الى مدينة كبيرة الأمر الذى لا يعقل مطلقا أن يجهله أى إنسان. ان اتمام الإنسان أعماله بعدم الحزم يضيع عليه فائدته ولذته. على أنه من امتيازات طريق المدينة السماوية أنه طريق سلطانى لا يضل عنه حتى الجهال. (اش ٣٥ : ٨) ولكن جهل الخطية يضل الناس عنه.

١٦ ـ ويل لك أيتها الأرض اذا كان ملكك ولدا ورؤساؤك يأكلون فى الصباح.

++

١٧ ـ طوبى لك أيتها الأرض اذا كان ملكك ابن شرفاء ورؤساؤك يأكلون في الوقت للقوة. لا للسكر.

١٨ ـ بالكسل الكثير يهبط السقف وبتدلى اليدين يكف البيت.

١٩ ـ للضحك يعملون وليمة، والخمر تفرح العيش أما الفضة فتحصل الكل.

٢٠ ـ لا تسب الملك ولا فى فكرك، ولا تسب الغنى فى مضجعك. لأن طير السماء ينقل الصوت، وذو الجناح يخبر الأمر.

فى هذه الأعداد يلاحظ سليمان :

أولا : كيف أن سعادة المملكة تتوقف على أخلاق حكامها، وأن شر أو خير الشعوب يتوقف على فساد أو صلاح رؤسائهم.

(١) فالشعب لا يمكن أن يكون سعيدا ان كان حكامه صبيانيين ومترفهين ع ١٦ : **«ويل لك أيتها الأرض»** حتى أرض كنعان نفسها ولو كانت مجد كل الأراضى **«اذا كان ملكك ولدا»** ليس فى السن (فسليمان نفسه كان حدثا وكانت مملكته سعيدة) بل فى العقل والإدراك، إذا كان الحاكم ضعيفا وجاهلا كالطفل، أو كان متقلبا وغير ثابت فى الرأى، أو كان نكدا وشرس الطبع، أو كان سهل التأثير عليه، أو يصعب تكليفه بأى عمل. فويل لذلك الشعب ان كانت هذه هى أخلاق حاكمه. ان كان الرأس سقيما اعتل كل الجسد.

لعل سليمان راعى سوء أخلاق ابنه رحبعام عند كتابة هذا (٢ أى ١٣ : ٧) فانه كان ولدا كل أيام حياته، ولذلك قاست عائلته ومملكته الأمرين.

كذلك يكون حال الشعب ان كان «**رؤساؤه يأكلون فى الصباح**» أى يعبدون بطونهم، ويستعبد الشعب للذاتهم. فان كان الملك نفسه ولدا، ولكن كان الرؤساء والمشيرون حكماء وأمناء، وأدوا أعمالهم بنزاهة واخلاص، استراحت الأرض. ولكن ان سار الرؤساء وراء شهواتهم وملاذهم، وفضلوا اتمام شهواتهم عن خدمة المصلحة العامة بأكلهم وشربهم "فى الصباح" لأنهم شهوانيين ونهمين، ولا يأكلون ليعيشوا، بل يعيشون ليأكلوا، فأى خير يرجى لأمتهم.

(٢) والشعب لا يمكن ألا يكون سعيدا ان كان حكامه كرماء وشريفى الأخلاق ونشيطين ونزيهين ومعتدلين ورجال عمل ع ١٧ . فالأرض اذن تسعد :

١ ـ ان كان الحاكم يسير مبادئ الشرف : "طوبى لك ايتها الأرض اذا كان ملكك ابن شرفاء" بسير ويحيا بروح شريفة، تحتقر أن تأتى أى عمل دنئ لا يتفق مع مبادئها السامية وأخلاقها الرفيعة، وتهتم بالصالح العام وتفضله على مصلحتها الخاصة. ان الحكمة والفضيلة ومخافة الله والميل لخدمة البشرية ـ هذه كلها تشرف الملوك والحكام.

٢ ـ وإن كان الولاة "**والرؤساء**" (الذين هم دون الحاكم) يؤثرون أداء ما

++

أوتمنوا عليه عن إتمام شهواتهم، إن كانوا "**يأكلون في الوقت**" أى بعد الإنتهاء من أعمالهم، وحلول وقت الأكل. الله يعطى كل الخليقة "طعامها فى حينه" (مز ١٤٥ : ١٥) فلا يليق بنا أن ننال طعامنا فى غير وقته، لئلا نفقد لذة رؤية اعطاء الله اياه لنا.

يجب أن يأكل الرؤساء "**للقوة**" لكى تتهيأ أجسادهم لإعانة أرواحهم على خدمة الله وبلادهم، "**لا للكسر**" لأنهم بذلك لا يصلحون لخدمة الله أو الإنسان، لا يصلحون بنوع أخص للجلوس "فى القضاء .. لأنهم يضلون بالخمر" (اش ٢٨ : ٧) ولأنهم ان "شربوا ينسون المفروض" (ام ٣١ : ٥). انه خير للشعب أن يكون رؤساؤه أمثله فى الاعتدال، وان يكون أولئك الذين يعيشون فى سعة، ولديهم ما ينفقون على لذاتهم، منكرين لذواتهم وكابحين جماح شهواتهم.

ثانيا : مقدار النتائج السيئة التى يجرها الكسل والإهمال على المصالح الخاصة والعامة ع ١٨ : «**بالكسل الكثير وبتدلى اليدين**» أى بالإهمال **فيما يناط بنا من الأعمال، وبحب الراحة واللهو «يهبط السقف ويكف البيت»** أى يتساقط شيئا فشيئا حتى ينهار آخره. فان لم يعن بالبيت عناية مستمرة، ولم تطل جدرانه جيدا، ولم تجر فيه الإصلاحات الضرورية لدى حصول أى اتلاف، تساقط بناؤه شيئا فشيئا، ونخر السوس فى أخشابه، ولم يبق بعد صالحا للسكنى.

++

هكذا يكون الحال أيضا فى العائلات وشئونها، فان لم يجد الأشخاص فى داخلهم ما يدفعهم للجد والإجتهاد فى أعمالهم، تكدست عليهم الديون فى الحال، وتبددت ثروتهم بدلا من انمائها لأولادهم.

وهكذا يكون الحال أيضا فى الشعوب، فان كان الملك "ولدا" ولم يهتم بشئون رعيته، وان كان "الرؤساء يأكلون فى الصباح" ولم يجهدوا أنفسهم فى أعمالهم تعطلت مصالح الأمة وصارت عرضة للخسارة والضياع، وفقد شرفها، وضعفت قوتها، وأغار الأعداء على تخومها، وتعوج طريق الحق، ونفدت ثروتها، وانهار كيانها ـ كل هذا يحدث بسبب تراخى وتوانى أولئك الذين كان يجب أن يكونوا "مرمى الثغرة ومرجعى المسالك للسكنى (اش ٥٨ : ١٢).

ثالثا : وكيف ان جميع البشر (سواء فى ذلك الرؤساء أم الشعب) يجدون فى الحصول على المال لأنه يوصل لكل الأغراض ع ١٩ . يبدو أن سليمان كان يفضل المال على الأفراح والمسرات **«للضحك يعملون وليمة»** (أو الوليمة تعمل للضحك) فالولائم لا تعمل للأكل فقط، بل لاجتماع الاخوان اجتماعا حبيا، يتسامرون فيه ويتجاذبون أطراف الحديث. انها لا تعمل لضحك الجهال الذى ينتهى بالجنون بل لضحك الحكماء الذى به يهيئون أنفسهم لأعمالهم الشاقة ومباحثهم المعيبة. كذلك الحال فى أمر الولائم الروحية فانها تعمل للضحك الروحى، للفرح المقدس فى الله.

"الخمر تفرح العيش" تفرح الحياة «**أما الفضة فتحصل الكل**» هى مقياس كل شئ. وبها نحصل على كل شئ. وكما قال المثل اللاتينى : كل شئ فى يد المال. الخمر ولو كانت تفرح الا أنها لا تستطيع أن تبنى لنا بيوتا وتشترى فراشا أو ملابس، ولا هى بثروة تخلف للأبناء. أما الفضة فان حصل منها الإنسان على مقدار وافر استطاع أن يعمل كل ذلك بها. الوليمة لا يمكن أن تتم الابالمال. ولو كان لدى الناس "خمر" الا أنهم لا يجدون فيها لذة أو سرورا ان لم يكن المال الذى به يحصلون على ضروريات الحياة.

المال فى حد ذاته ـ أى مادته ـ لا يفى بشئ لأنه ليس طعاما أو لباسا، ولكنه هو الواسطة التى بها نحصل على كل لوازم الحياة الحاضرة. فكل ما نريد الحصول عليه لا نحصل عليه الا بالمال. على أنه من الوجهة الأخرى لا يفيد النفس بشئ، فهو لا "يشترى" غفران الخطايا أو محبة الله أو سلام الضمير، لأنه كما أن النفس لم يفتد بأشياء تفنى بفضة أو ذهب") ١ بط١ : ١٨) كذلك هى لا تعيش بتلك الأشياء الفانية.

رابعاً : وكيف يجب على الرعايا أن يحذروا من أن تعشش المقاصد السيئة فى أدمغتهم، أو التدابير الشريرة ضد حكومتهم، لأنه لابد أن تكتشف هذه المقاصد والتدابير السيئة، وتتضح للجميع ع ٢٠ ، فان ارتكب الحكام بعض الغلطات لا تحاول انتقادهم على كل غلطة، أو اتهامهم بسوء الإدارة،

++

بل أنظر إلى محاسنهم وسر بموجبها قبل أن تنظر الى مساوئهم. وهنا نرى :

(١) سليمان يعلمنا واجبنا «**لا تسب الملك ولا فى فكرك**» لا تشته شر للحكومة فى فكرك. ان كل خطية تبتدئ فى الفكر ولذلك يجب مطاردتها من الفكر ـ من بداءتها ـ وبنوع أخص خطايا التمرد والمشاغبة، «**لا تسب الغنى**» الولاة والحكام «**فى مضجعك**» فى أى مجتمع أو ناد اجتمع فيه أشخاص يحقدون على الحكومة، لا تشترك مع قوم كهولاء، ولا تجلس معهم لتشترك فى مؤامراتهم.

(٢) والعقل يلزمنا بمراعاة تجاتنا، فاننا مهما احترسنا فى اخفاء مقاصدنا الا "ان طير السماء ينقل الصوت" الى الملك الذى له جواسيس ورقباء أكثر مما تظن. "وذو الجناح يخبر بالأمر" لهلاكك. ان الله يرى ما يفعله البشر فى الخفاء، ويسمع ما ينطقون به فى السر، وهو متى شاء يذيعه بطرق لم تكن لتخطر لنا على بال. "أفتريد أن لا تخاف السلطان وأن لا يؤذيك؟ افعل الصلاح فيكون لك مدح منه. ولكن ان فعلت الشر فخف" (رو ١٣ : ٣، ٤).

+++

* الإصحاح الحادى عشر *

فى هذا الأصحاح نرى :

(١) إن سليمان يحثنا على أعمال الرحمة والصدقة على الفقراء، مبينا لنا أن هذا هو أفضل علاج لما تعرض له ثروتنا العالمية من البطلان والطريق الوحيد الذى به نجعلها تأتى بالخير الجزيل ع ١ - ٦.

(٢) وينصحنا للإستعداد للموت والدينونة، والبدء بهذا الإستعداد فى الوقت المناسب وهو وقت الشباب ع ٧ - ١٠

١ ـ ارم خبزك على وجه المياه فانك تجده بعد أيام كثيرة.

٢ ـ أعط نصيبا لسبعة ولثمانية أيضا لأنك لست تعلم أى شر يكون على الأرض.

٣ ـ اذا امتلأت السحب مطرا تريقه على الأرض. وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففى الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون.

٤ ـ من يرصد الريح لا يزرع، ومن يراقب السحب لا يحصد.

٥ ـ كما انك لست تعلم ما هى طريق الريح، ولا كيف العظام فى بطن الحبلى، كذلك لا تعلم أعمال الله الذى يصنع الجميع.

٦ ـ فى الصباح ازرع زرعك وفى المساء لا ترخ يدك لأنك لا تعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك، وأن يكون كلاهما جيدين سواء.

سبق أن نصح سليمان ـ فى عدة مواضع من هذا السفر ـ للأغنياء أن ينتفعوا هم أنفسهم بثروتهم، أما هنا فنراه ينصح لهم بأن يصنعوا بها الخير للآخرين أيضا، وأن يزدادوا سخاء للفقراء لأن ذلك سينفعهم يوما من الأيام. لاحظ هنا :

أولا : كيف يصف لنا هذا الواجب ع ١

(١) «**ارم خبزك على وجه المياه**» أو حنطة خبزك على الأراضى الواطئة كما يؤولها البعض، مشيرين الى الزارع "الذاهب ذهابا حاملا مبذر الزرع" (مز ١٢٦ : ٦) ومقتصدا هذه البذار من مؤونة عائلته، عالما أنه بغير ذلك لا يستطيع الحصول على حصاد فى العام القادم. فمحب الخير يأخذ من حنطة خبزه حنطة للبذار، يحرم نفسه لاطعام الفقراء لأنه "يزرع على كل المياه" (اش ٣٢ : ٢٠). وكما يزرع لابد أن يحصد (غل ٦ : ٧).

وفى (اش ٢٣ : ٣) نقرأ عن "حصاد نهر النيل".

تستعمل "المياه" فى الكتاب المقدس للدلالة على الكثرة (رؤ ١٦ : ٥)، وما أكثر الفقراء الذين يعيشون معنا، فاننا ان أردنا التصدق على فقير لا يحتاج الأمر للبحث عنه.

وتستعمل أيضا للدلالة على الحزانى، والفقراء رجال أحزان. يجب عليك أن تعطى الفقراء "خبزا" وهو قوام الحياة، فلا تقدم لهم كلمات طيبة فقط بل أشياء طيبة أيضا.

++

ويجب أن يكون الخبز الذى تقدمه للفقير "خبزك" الذى تحصل عليه بأمانة، فان قدمنا ما لا يملكه نكون قد أتينا شرا لا خيرا. فلنتعلم الحق أولا ثم الرحمة. دع الفقراء يشاركونك فى "خبزك" الذى خصصته لنفسك كما شاركوا أيوب (ص ٣١ : ١٧).

اعط بسخاء للفقير ولو ظهر لك أو للآخرين أن ما تعطيه قد ذهب أدراج الرياح كأنه قد ألقى **«على وجه الماء»** ارمه على وجه الماء، ودعه يسبح كما يشاء، كما يفعل التاجر ببضاعته عندما يلقيها فى عرض البحر. ارمه على وجه الماء، وثق أنه لا يغرق.

(٢) **«أعط نصيبا لسبعة ولثمانية أيضا»** أى كن سخيا فى أعمال الرحمة.

١ ـ أعط كثيرا ان كان لديك كثير لتعطيه، أعط لا جزءا زهيدا بل "نصيبا"، أعط "كيلا جيدا" (لو ٦ : ٣٨)، كن سخيا وكريما فى التوزيع كما فعل أولئك الذين فى يوم الوليمة "بعثوا أنصبة لمن لم يعد له" (نح ٨ : ١٠).

٢ ـ أعط لكثيرين **«لسبعة ولثمانية»**. ان التقيت بسبعة فقراء فاعطهم جميعا، وان التقيت بثامن فأعطهم، وان التقيت بثمانية آخرين فاعطهم جميعا أيضا. لا تعتذر عن عمل الخير بما قد فعلته فى الماضى بل استمر فيه، وفى أوقات الشدة عندما يزداد عدد الفقراء ليزداد احسانك بنسبة تلك الزيادة. فالله كريم فى احسانك بسخاء ولا يعير" ولذلك يجب علينا أن نكون رحماء وأسخياء كأبينا السماوى.

ثالثا : الأسباب التى من زجلها يحثنا على القيام بهذا الواجب.

(١) لأن جزاءنا عن فعل الخير مؤكد. فانك ولو "رميته على وجه الماء" وظهر بأنه قد ذهب أدراج الرياح وسوف لا تسمع عنه مطلقا الا أنك **«تجده بعد أيام كثيرة»** كما يجد الزارع بذاره يأتى بمحصول كثير **«بعد أيام كثيرة»** وكما يجد التاجر أن تجارته قد أتت اليه بربح عظيم. أنه لا يضيع بل يحفظ فى أمان. وهو يأتى بخيرات الله الأرضية وتعزيات ونعم روحه القدوس. ورأس المال محفوظ فى السماء لأننا قد "أقرضناه للرب" (ام ١٩ : ١٧). استطاع سينكا نفسه وهو وثنى أن يقول "انى لا أملك شيئا واثق من امتلاكه الا ما وزعته وتصدقت به" وفى موضع آخر يقول "ان ما قد تصدقت به لا أزال أملكه. وكل هذه الأموال تبقى معى فى كل أطوار الحياة وتقلباتها".

"**تجده**" قد لا تجده سريعا بل **«بعد أيام كثيرة»**. فالجزاء قد يبطئ، ولكنه مؤكد، وفى هذه الحالة يزداد ويتضاعف. فالقمح وهو أهم الحبوب يبقى فى الأرض مدة أطول، والرحلات الطويلة تأتى بفوائد أعظم.

(٢) ولأن الفرصة لفعل الخير غير مؤكدة : **«لأنك لست تعلم أى شر يكون على الأرض»** الذى قد يحرمك من ثروتك، فلا تجد فرصة لفعل الخير. ولذلك فان كان لديك أية ثروة انتهز الفرصة لتتصدق منها كما يلقى الزارع بذاره فى الأرض فى الفصول المناسبة قبل أن تأتى عوائق الفصول الأخرى. يجب أن ننتظر **«الشر على الأرض»** لأننا قد ولدنا للتعب. ونحن **«لا نعلم أى شر يكون»**. على أننا لكى نستعد له مهما كان

++
نوعه فمن الحكمة أن نكون في خير، وأن نفعل الخير فى أيام الرخاء والنجاح.

يتخذ الكثيرون هذه الكلمة حجة فى عدم التصدق على الفقراء مدعين بأنهم «**لا يعلمون أى شر يكون على الأرض**» ولذلك يجب أن يكنزوا ما عندهم ليوم الشر. ولكن الأمر بعكس ذلك فاننا بسبب ذلك يجب أن نزداد تصدقا على الآخرين حتى ان أتي يوم الشر ننتفع بما نكون قد تصدقنا به فى أيام رخائنا، ويكون لنا رجاء فى رحمة الله والإنسان، ولذلك فيجب أن نظهر الرحمة الآن. فان كنا فى فعل الخير نوقن بأننا نقرض الله، ونثق فى أمانته، فاننا نحفظه فى يد أمينة ليوم الشر.

ثالثا : كيف يوضح الاعتراضات التى قد تقام ضد هذا الواجب، واعتراضات الذين لا يميلون لفعل الخير.

(١) فالبعض يقولون ان ما يملكونه ملك شخصى لهم للإنتفاع به شخصيا. ولذلك يتساءلون قائلين لماذا نرميه هكذا على وجه الماء؟ يرددون ما قاله نابال "أ آخذ خبزى ومائى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟" (١ صم ٢٥ : ١١).

تطلع الى فوق أيها الإنسان، وتأمل كيف كنت تهلك جوعا لو كانت السحب تقول قولك بأن ما تحمله الماء هو لنفسها، ولكنك تراها «**اذا امتلأت مطرا تريقه على الأرض**» لترويها حتى تفنى وتنعدم (أى ٣٧ : ١١). فان كانت السماء تغدق من خيراتها على الأرض المسكينة التى هى دونها وأسفلها بكثير فكيف تتجاسر أنت بأن تمنع خيرك عن أخيك

+++

المسكين الذى هو عظم من عظامك ؟

أو بمعنى آخر : ان كان البعض يقولون اننا ولو أعطينا للفقراء قليلا الا أن قلبنا مملوء شفقة وحنانا لهم، فلينظروا إلى السحب فإنها "اذا امتلأت مطرا تريقه على الأرض". فان كان فى قلوبكم شئ من الشفقة والرحمة ومحبة الخير فانها لابد أن تظهر عمليا (يع ٢ : ١٥ ، ١٦). ان من ينفق نفسه للجائع (اش ٥٨ : ١٠) يمد يده اليه بكل ما فى استطاعته.

(٢) والبعض يقولون أن دائرة عملهم ضيقة، وانهم لا يستطيعون أن يعملوا ما يعمله الآخرون من الخير الذين تساعدهم ظروفهم ومراكزهم على ذلك أكثر منهم، ولهذا فهم يمتنعون مطلقا عن عمل الخير. على أن سليمان يرد عليهم قائلا انه "اذا **وقعت** الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففى الموضع حيث تقع الشجرة **هناك تكون**» لفائدة أصحابها. فكل شخص يجب أن يعمل لبركة وفائدة المكان الذى تطرحه اليه العناية الإلهية مهما كان ذلك المكان. فأينما حللنا نستطيع أن نجد عملا صالحا لنعمله أن كان فى قلوبنا ميل لفعل الخير.

أو قد يقول آخرون : ان كان البعض يقولون أن الكثيرين يطلبون الاحسان وهم لا يستحقونه ولذلك فلسنا نعلم على من يجب التصدق، فسليمان يرد عليهم قائلا لا تربكوا أنفسكم فى هذا الأمر، بل استعملوا الفطنة فى فعل الخير، ثم ثقوا بأنكم تنالون جزاءكم عنه ولو كان الذى تصنعون معه الخير لا يستحقه طالما كنتم تفعلونه بقلب طاهر، ونية سليمة، وحيثما اتجه خيركم «**نحو الجنوب أو نحو الشمال**» فستنالون جزاءه.

++

هذه تطبق عادة على الموت، فانه ان كان الموت سيأتى سريعا، ويقطعنا كما تقطع الشجرة، فنأتى إلى أبدية سعيدة أو تعسة حسبما قدمناه فى الجسد، وجب علينا أن نفعل ثمر البر كالشجرة الجيدة التى تعطى ثمرا جيدا. وكما أن الشجرة ان وقعت لا تعود تقوم إلى الأبد، هكذا نحن ان وقعنا ندخل الأبدية التى لا نهاية لها.

(٣) والبعض قد يعترضون على ما لاقوة فى سبيلهم من الصعوبات ومثبطات العزائم فى عمل الخير. انهم قد عيروا وأهينوا بسبب ما أتوه من الخير كمتكبرين وفريسيين، وانهم لا يستطيعون أن يتصدقوا بمقدار ما يتصدق به الآخرون بسبب ضيق ذات يدهم، ولهذا فصدقاتهم قد تكون محتقرة فى أعين الكثيرين، ولذلك فانهم يرون أن الأفضل أن يكنزوا شيئا من أموالهم لأولادهم بدل التصدق به، وان لديهم ضرائب لابد من دفعها، ولوازم لابد من قضائها، وأنهم لا يعلمون الوجوه التى ستنفق فيها صدقاتهم.

أما سليمان فيرد على كل هذه الاعتراضات وأمثالها بكلمة واحدة ع ٤ : «**من يرصد الريح لا يزرع**» أى لا يصنع خيرا «**ومن يراقب السحب لا يحصد**» أى لا يحصل على خير. فان وقفنا نكبر كل صعوبة صغيرة ونجبن أمامها ونقيم الصعوبات والعراقيل فى سبيلنا، ونتوهم الأخطار حيث لا توجد، يستحيل علينا التقدم فى أعمالنا، أو بالحرى السير فيها أو اتمام أى شئ منها. فان كان الزارع يكف عن الزرع بسبب السحب أو يمتنع عن الحصاد بسبب هبوب الرياح لما جنى سوى أعماله فى نهاية السنة.

والفروض الدينية لا تقل أهمية عن الزرع والحصد، وما يجرى على هذين يجرى عليها أيضا فكل ما نلقاه من الصعوبات ومثبطات العزائم ليست إلا كالرياح والسحب، ولا تضرنا بشئ، وكل من سار فى طريقه بشئ من الشجاعة والعزم لابد أن يستهين بها ويدوسها تحت قدميه.

ملاحظة : ان الذين تزعزعهم أقل الصعوبات، وتعطل سيرهم فى أعمالهم الدينية، لن يتمموا أى أمر، لأن الزوابع تهب باستمرار، والسحب تملأ الجو من حين لآخر. أن الرياح والسحب في يد الله، وهو يسمح بها لامتحاننا، ومسيحيتنا تلزمنا بتحمل الصعوبات.

(٤) والبعض يقولون اننا لا نعلم كيف يعود علينا بالربح الجزيل ما ننفقه فى أعمال الرحمة والصدقة، فإننا لا نرى أنفسنا نزداد غنى، فلماذا نتكل على مجرد مواعيد لم نختبرها فعليا.

أما سليمان فيرد على ذلك بالقول **«انك لا تعلم أعمال الله»** كما انه لا يليق بأن تعلمها. ولكن يجب أن نثق بأمانة الله لوعده ولو لم يخبرك كيف يتممه، أو أى طريق يسلكه، ولو أنه يعمل بحسب مشورته وحده المؤسسة على حكمته التى لا تفحص. انه ان فعل لا يقف معارض، وان دبر أمرا لا ينتظر مشورة أو نصيحة. فبركاته لابد أن تتم رغم كل الصعوبات والمعطلات. وأعماله لابد أن تتفق مع كلماته ومواعيده، سواء رأينا ذلك أو لم نره.

أما جهلنا بأعمال الله فيبينه سليمان فى أمرين :

++

١ ـ اننا «**لسنا نعلم طريق الريح**» (أو الروح) "لا نعلم من أين تأتى ولا أين تذهب" (يو ٣ : ٨) أو متى تعود، على أن البحارة يتوقعونها فى كل وقت حتى تعود فى مصلحتهم، كذلك يجب علينا نحن أيضا أن نتمم واجبنا منتظرين الوقت المعين للبركة.

أو قد يكون المقصود بها "الروح" البشرية، فنحن نعلم أن الله خلقنا وأعطانا هذه الأرواح، ولكننا لا نعلم كيف دخلت أجسادنا واتحدت معها، وكيف تحييها وتؤثر عليها. فان كانت الروح سرا أخفى عن نفسها فلا غرابة ان كانت «**أعمال الله**» سرا قد أخفى عنا.

٢ ـ ولسنا نعلم «**كيف العظام فى بطن الحبلى**» لا نستطيع وصف كيفية تكوين الجسم، ولا كيفية اتحاد الروح به. صحيح اننا نعلم أن هذا هو «**عمل الله**» ونسلم به ولكننا لا نستطيع أن نتتبع آثار اتمام هذا العمل. نحن لا نشك فى إتمام ولادة الطفل الذى يحبل به ولو أننا لا نعلم كيفية تكوينه، كذلك يجب أن لا نشك فى إتمام مواعيد الله ولو أننا لا نرى كيف تسير الأمور لإتمامها.

فان كنا قد علمنا أن أجسادنا خلقت هذه الخلقة العجيبة فى الخفاء بدون علم منا أو مجهود بذلناه، وان أرواحنا قد دخلت الأجساد بهذه الطريقة، وجب علينا أن نثق بأن الله يعد لنا كل ما فيه راحتنا بدون بذل أى مجهود أو مسعى من جهتنا وأنه يجازينا على أعمال الخير الذى نفعلها. ولقد استعمل مخلصنا نفس هذا التعليل لنفس هذا الغرض عندما قال أن "الحياة (أى النفس الحية التى أعطاها لنا الله) أفضل من الطعام. والجسد

(الذى خلقه لنا الله) أفضل من اللباس" (مت ٦ : ٢٥). فمن أعطانا البركات العظمى يجب أن نثق فى أنه يعطينا الصغرى.

(٥) والبعض يقولون اننا قد تصدقنا كثيرا، وأحسنا الى فقراء كثيرين، ولكننا لم نر جزاء لكل ذلك. لقد انقضت أيام كثيرة ولم نجد شيئا. أما سليمان فيرد على ذلك بقوله ع ٦ : استمر فى عمل الخير، ولا تدع فرصة تمر دون أن تنتهزها لذلك. **«فى الصباح ازرع زرعك»** أى تمم ما يطلب منك أداؤه من أعمال الخير التى تجدها فى وقت مبكر **«وفى المساء لا ترخ يدك»** ادعاء بأنك مضنى من التعب. اعمل الخير كلما سنحت لك الظروف، واستمر فى عمل الخير فى كل وقت وبأية طريقة ممكنة وطول اليوم كما يباشر الزارع زرعه من الصباح إلى المساء.

«فى صباح» شبابك أوقف نفسك لعمل الخير، أعط من القليل الذى عندك الذى بدأت به مركزك المالى. **«وفى مساء»** الشيخوخة لا تستسلم للتجربة التى يعرض اليها الشيوخ دائما، بل حتى فى هذه الحلقة الأخيرة من الحياة **«لا ترخ يدك»** ولا تعتذر عن عمل الخير لأى سبب من الأسباب، بل افعله إلى النهاية **«لأنك لا تعلم أيهما ينمو»** أى لا تعلم أى عمل من أعمال الرحمة والتقوى ينجح ويأتى بالفائدة لك وللآخرين، بل يجب أن ترجو **«أن يكون كلاهما جيدين سواء»** "لا تفشل فى عمل الخير لأنك ستحصد فى وقته" أى فى الوقت الذى عينه الله، وهو أنسب الأوقات (غل ٦ : ٩).

وهذه تنطبق أيضاً على أعمال الخير فى الأمور الروحية أى فى المجهودات

++
التى نبذلها لخير نفوس الآخرين، فإننا يجب أن نستمر فيها لأنه أن ظهر لنا بأن أتعابنا الكثيرة قد ذهبت أدراج الرياح إلا إننا قد نرى نجاحها أخيرا. فعلى خدام الله أن يزرعوا فى الصباح والمساء لأنه من يعلم أيهما ينجح ؟

٧ ـ النور حلو وخير للعينين أن تنظرا الشمس.

٨ ـ لأنه ان عاش الإنسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها، وليتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة. كل ما يأتى باطل.

٩ ـ افرح أيها الشاب فى حداثتك، وليسرك قلبك فى أيام شبابك، وأسلك فى طرق قلبك، وبمرأى عينيك، واعلم انه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة.

١٠ ـ فانزع الغم من قلبك، وأبعد الشر عن لحمك، لأن الحداثة والشاب باطلان.

هنا نرى سليمان ينصح كلا من الشبان والشيوخ بالافتكار فى الموت والإستعداد له. فهو بعد أن علمنا بتعاليمه السامية ـ التى مرت بنا ـ كيف نعيش حسنا نراه فى أواخر هذا السفر يعلمنا كيف نموت حسنا، ويذكرنا بآخرتنا.

أولا: لقد وجه حديثه للشيوخ أولا وكتب اليهم كاباء ليوقظهم للافتكار فى الموت ع ٧ ، ٨. وهنا نرى :

(١) تسليما معقولا بلذة الحياة التى يجدها الشيوخ بالاختبار «**النور حلو**» نور «**الشمس**» حلو «**وخير للعينين أن** تنظراه».

كان النور أول شئ خلق في العالم، كذلك أو ما يخلق في الجسد ـ وهو ذلك العالم الصغير ـ العينان. جميل جدا أن نرى النور، فالوثنيون لشدة اعجابهم وافتتانهم بجماله عبدوا الشمس. وأجمل ما فيه أيضا اننا نرى به باقى الأشياء.

هكذا أيضا الحال فى نور الحياة. فالنور يعبر به فى بعض الأحيان عن الحياة (أنظر أى ٣ : ٢٠، ٢٣). ولا ينكر أحد أن الحياة حلوة. فهى للأشرار لأنهم ينالون "نصيبهم فى هذه الحياة" (ص ٩ : ٩)، وهى حلوة للصالحين لأنهم فيها يستعدون لحياة أفضل. وهى حلوة للجميع، فالطبيعة نفسها تقرر ذلك، اذ ليس أحد يبتغى الموت حبا فى الموت، اللهم الا لأنهم به يسترحون من أتعاب الحياة الحاضرة ويستقبلون سعادة عتيدة. الحياة حلوة، ولذلك وجب علينا أن نزداد حذرا لئلا نحبها أكثر من اللازم.

(٢) تحذيرا للافتكار فى الموت حتى فى منتصف الحياة سيما والافتكار فى الحياة عندما تكون جميلة جدا فنميل الى أن ننسى الموت **«ان عاش إنسان سنين كثيرة فليتذكر أيام الظلمة» انها آتية**. وهنا نرى :

١ ـ يوما صافيا مفروض أن يتمتع به الإنسان ـ وهو أن الحياة تطول **«سنين كثيرة»**، وانها قد تكون مريحة وسعيدة بنعمة الله **«فيفرح فيها كلها»**. يوجد أشخاص كثيرون "يعيشون سنين كثيرة" ويأمنون من أخطار كثيرة، وينالون مراحم كثيرة، ولذلك يتوهمون أنهم لا يعوزهم شئ من الخير، ولا يصيبهم شئ من الشر وانهم لن يصيبهم فى المستقبل تلك الأخطار التى نجوا منها فى الماضى. ولكن من هم أولئك الذين **«يعيشون**

سنين كثيرة ويفرحون فيها كلها» ؟ بكل اسف لا يوجد شخص واحد، فنحن ان فرحنا ساعة نحزن شهورا. وقد يفرح البعض فى سنى حياتهم فى سنيهم الكثيرة ، أكثر من البعض الآخر.

انه ان اجتمع هذان الأمران وهما حالة النجاح والروح المبتهجة ساعدا الإنسان كثيرا على أن "يفرح فى سنيه كلها".

على أنه مهما كان ناجحا فلابد من أن يصادف كثيرا من المكدرات، ومهما كانت روحه مبتهجة فلابد من مقابلة المحزنات. فالخطاة الفرحون لهم ما يكدر صفائهم ويقلق راحتهم، والقديسون المبتهجون لهم أحزانهم المقدسة. ولذلك فان قلنا ان الإنسان "يفرح فى سنيه كلها" فليس هذا الا فرضا لأنه لا يمكن أن شخص واحد كذلك.

٢ ــ على أنه لابد أن يعقب هذا اليوم الصافى ليل مظلم متلبد سماؤه بالغيوم. «**ليتذكر** (ذلك الإنسان الهرم ذو السنين الكثيرة) أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة".

ملاحظات :

الأولى : لابد أن تأتى "أيام مظلمة"، أيام نرقد فيها فى القبر، هنالك لا ترى العينان، والشمس لا تنير، فظلام الموت هو بعكس نور الحياة، والقبر هو "أرض الظلمة" (أى ١٠ : ٢١).

الثانية : «**أيام الظلمة هذه تكون كثيرة**» فأيام رقادنا تحت الأرض ستكون أكثر من أيام حياتنا فوق الأرض. انها كثيرة ولكنها محدودة، ومهما

كانت كثيرة فانها ستنتهى عندما "لا تبقى السماوات" (أى ١٤ : ١٢). فكما أن أطول يوم لابد أن يعقبه ليل، كذلك لابد أن يعقب أطول ليل نهار.

الثالثة : وخير لنا أن "نتذكر أيام الظلمة" هذه كل وقت حتى لا نرتفع بالكبرياء، أو نستغرق فى سبات عميق بسبب زطمئناننا وعدم تذكرنا الموت، أو نحمل بشرور كثيرة بسبب أفراحنا الباطلة.

الرابعة : ورغما عن طول الحياة ومسراتها الكثيرة فعلينا أن **«نتذكر أيام الظلمة»** لأنها لأبد أن تأتى، فان افتكرنا فيها قبل أن تأتى لم نقابلها بمقدار ذلك الخوف والجزع الذى يقابلها به من لم يفكروا فيها مطلقا.

ثانيا : وبعد ذلك وجه حديثه للشبان وكتب اليهم كأبناء ليوقظ فيهم الافتكار فى الموت ع ٩ ، ١٠. وهنا نرى :

(١) تسليما تهكميا بمسرات الشباب وأباطيله : **"افرح أيها الشباب فى حداثتك»**. يظن البعض أن هذه نصيحة الملحدين والشهوانيين للشباب، ولكن سليمان قدم فى آخر هذه الآية الدواء الناجح لهذا السم القتال.

والأرجح جدا أن هذا هو كلام سليمان نفسه، ولكن بلهجة التهكم كلهجة ايليا عندما كان يخاطب كهنة البعل "ادعوا بصوت عال لأنه الة" (١ مل ١٨ : ٢٧) وكلهجة ميخا فى خطابه لأخاب "اصعد الى راموت جلعاد وافلح" (١ مل ٢٢ : ١٥) وكلهجة المسيح عندما قال لتلاميذه "ناموا الآن واستريحوا". بنفس تلك اللهجة يخاطب سليمان الشاب قائلا **"افرح**

++

أيها الشباب في حداثتك». اقض حياتك فى الأفراح والملذات واللهو واللعب «**وليسرك قلبك فى أيام شبابك**». ليسرك قلبك بأوهامه الكاذبة وآماله الباطلة، ابهج نفسك بأحلامك المسرة «**واسلك فى طرق قلبك**» افعل كل ما تشتهيه ويصبو اليه قلبك. يقول المثل اللاتينى اجعل ارادتك ناموسا لك. «**اسلك فى طرق قلبك**» واجعل قلبك يسلك «**بمرأى عينك**» افعل كل ما يحسن فى عينك، سواء حسن فى عينى الله أو قبح.

بهذه اللهجة يتكلم سليمان للشبان متهكما لكى يبين ضمنا :

١ ـ ان هذا هو ما يميل بطبيعته الى فعله، وما يتوهم أنه مصرح له، لأن فيه سعادته، ولذلك فهو يوجه نحوه قلبه.

٢ ـ وانه يود لو نصحه كل من حوله بهه النصيحة، وحببوا اليه هذه الملذات ولم ينفروه منها، وان كل من نصحه بوجوب التعقل والتقوى لهو العدو المبين.

٣ ـ شدة غباوته وجنونه بسلوكه فى هذا الطريق الفاسد، فكل من نظر الى الأمور كما هى، وحكم عليها بدون محاباة، قرر فى الحال أن من يعيشون حياة كهذه هم خارجون عن صوابهم، وهذا أمر لا يحتاج الى زيادة البرهان.

٤ ـ ولكى يبين أخيرا انه ان سلم الإنسان نفسه لهذا الطريق الفاسد لكان من العدل أن يسلمه الله اليه ويتركه لشهوات قلبه لكى يسلك بحسب ارادته الفاسدة (هو ٤ : ٧).

(٢) أما الدواء الناجع الذى يصفه لنا ازاء سموم هذه الأباطيل والملذات فهو **«اعلم انه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله الى الدينونة»** تأمل ذلك جيدا وضعه نصب عينيك، وبعد ذلك ان كنت تستطيع، أو تجسر، أن تعيش حياة الترف والتنعم فعش. بهذه العبارة يصحح ما قبلها ويكبح جماح الشباب بعد أن أطلق له العنان فى العبارة السابقة. "اعلم" وتأكد أنك ان أطلقت لنفسك العنان وهكذا سعيت نحو هلاكك الأبدى فان الهك لا يتركك بدون قصاص.

ملاحظات :

١ ـ انه توجد دينونة لابد أن تأتى.

٢ ـ أننا جميعا لابد أن نأتى أمام تلك الدينونة مهما نسينا ذلك اليوم ونحن فى حياتنا هذه.

٣ ـ وفى ذلك اليوم سنحاسب عن أفراحنا العالمية وملذاتنا الجسدية.

٤ ـ خير للمجتمع ـ وللشبان بنوع أخص ـ أن يعرفوا ذلك ويتأملوا فيه حتى لا يتمادوا فى شهواتهم الشبابية "ويذخروا لأنفسهم غضبا فى يوم الغضب" (رو ٢ : ٥).

(٣) ومن كل ذلك يستنتج كلمة تحذير ونصح ع ١٠، لينظر الشبان إلى أنفسهم، وليسلكوا بحكمة ازاء نفوسهم وأجسادهم، قلوبهم ولحمهم.

١ ـ ليحذروا من أن يرتفعوا بالكبرياء، أو يفسدوا بالغضب أو بأى عاطفة

شريرة : «**انزع الغم من قلبك**» أو الغضب وكلمة "غم" تدل في معناها الأصلي على تشويش واضطراب الفكر. الشبان يجزعون ويتذمرون من كل من يحاول صدهم عن شرهم، ويستشيطون غيظا من كل ما يقصد به كبح جماحهم واماتة شهواتهم، وقلوبهم الشريرة المتصلة تقاوم كل ما خالفها انهم لا يحصرون مجهوداتهم وأفكارهم إلا في الملذات والمسرات ولذلك فهم لا يحتملون أي شئ مغضب أو مؤلم لأنه يسبب لهم "الغم في قلوبهم". ولذلك ينصحهم سليمان قائلا تنحوا عن ذلك، واتركوا محبة العالم، ولا تضعوا اتكالكم على البشر أو أي خليقة أخرى. وبعد ذلك لا تجدون أي غم أو حزن فيما يصادفكم من الفشل ومثبطات العزائم.

يظن البعض أن المقصود "بالغم" هنا ذلك الحزن وتلك المرارة اللتان تنتهي بهما تلك الأفراح العالمية والمسرات الجسدية التي ذكرها في ع ٩، فلنبتعد عن كل ما ينتهي بالحزن والغم.

٢ ـ وليحذروا من أن تتدنس أجسادهم بالنجاسة أو الشهوات الجسدية «**ابعد الشر عن لحمك**» ولا تدع أعضاء جسدك آلات للاثم. ان ما تشتهيه الآن، وتظن أنه صالح للجسد، سيظهر لك بعد أنه ضار له، ولذلك فابتعد منه بقدر استطاعتك.

ثالثا : وأخيرا لكي يقوي سليمان ويعزز نصائحه للشيوخ والشبان يقرر تلك الحقيقة التي طالما ذكرها في هذا السفر وهي بطلان كل الأمور الحاضرة، وعدم ثباتها، وعدم كفايتها لاسعاد الإنسان.

(١) هنا يذكر الشيوخ بهذه الحقيقة ع ٨ «**كل ما يأتى باطل**» نعم ولو «**عاش الإنسان سنين كثيرة وفرح فيها كلها**». كل ما قد أتى، وكل ما سيأتى مهما كان كثيرا بحسب رجاء الناس واستنتاجهم من الظروف المحيطة ـ كل هذا باطل. "كل ما يأتى" لا يمكن أن يزيد الناس سعادة عما فعله ما قد أتى. "كل ما يأتى" فى هذا العالم باطل لأن العالم نفسه باطل.

(٢) ويذكر الشبان بها أيضا "الحداثة والشباب باطلان" كل أحوال وأعمال الحداثة والشباب تتخللها الطياشة والاثم والبطلان الشرير، الأمور التى يجب على الشبان الحذر منها. ان مسرات ومواهب الحداثة والشباب غير ثابتة وغير مريحة وغير دائمة. فهى زائلة، وان بدت لنا الآن زاهرة فانها ستذبل سريعا وتسقط.

++

* الإصحاح الثاني عشر *

فى هذا الأصحاحيختم سليمان الحكيم عظته، وهو لا يختمها كخطيب فصيح فقط بل كواعظ مقتدر أيضا، فهو يختمها بما كان يثق أن له أحسن تأثير وأبقى أثرا فى نفوس سامعيه.

هنا نرى

(١) نصيحة للشبان ليبدأوا التدين فى الوقت المناسب، ولا يؤجلوه لوقت الشيخوخة ع ١ ويعزز ذلك ببعض البراهين التى يستنتجها من مصائب الشيخوخة (ع ١ – ٥) وبالتغيير العظيم الذى سيحدثه فينا الموت (ع ٦ و ٧).

(٢) تكرار الحقيقة التى أخذ على عاتقه اقامة الأدلة والبراهين عليها فى هذا السفر ألا وهى بطلان العالم ع ٨.

(٣) تأييدا لما قد دونه فى هذا السفر وفى أسفاره الأخرى، وهو حرى بتأملنا الدقيق (ع ٩ ـ ١٢).

(٤) ختام وتلخيص الأمر كله مع وصية الجميع بضرورة التقوى الحقيقية مراعاة للدينونة العتيدة (ع ١٣ و ١٤).

١ ـ أذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر، أو تجئ

السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور.

٢ ـ قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر.

٣ ـ فى يوم يتزعزع فيه حفظه البيت وتتلوى رجال القوة وتبطل الطواحن لأنها قلت وتظلم النواظر من الشبابيك.

٤ ـ وتغلق الأبواب فى السوق. حين ينخفض صوت المطحنة، ويقوم لصوت العصفور، وتحط كل بنات الغناء.

٥ ـ وأيضا يخافون من العالي، وفى الطريق أهوال واللوز يزهر، والجندب يستثقل، والشهوة تبطل، لأن الإنسان ذاهب الى بيته الأبدى، والنادبون يطوفون فى السوق.

٦ ـ قبل ما ينفصم حبل الفضة، أو ينسحق كوز الذهب، أو تنكسر الجرة على العين، أو تنقصف البكرة عند البئر.

٧ ـ فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح الى الله الذى أعطاها.

فى هذه الأعداد نرى :

أولا : دعوة للشبان للافتكار فى الله، وتأدية واجباتهم من نحوه فى أيام

++

شبابهم : **«أذكر خالقك فى أيام شبابك»**.

(١) هذه هى كلمات سليمان الذهبية التى يختم بها تعليمه عن بطلان العالم وكل ما فيه. أيها الشاب اسمع نصيحة من قد عاركوا الدهر وخبروا العالم بتلك، اعلم بأن العالم لا يمكن أن يقدم راحة للنفس، ولذلك فلكى لا تنخدع بأباطيله، أو ترتبك بأعماله **«أذكر خالقك»** وبذلك تقيم لنفسك حارسا ضد ما ينشأ من أباطيل الخليقة من الشرور.

(٢) وهى الدواء الناجع لأمراض الشباب الخاصة ألا وهى محبة الأفراح العالمية والانغماس فى الملذات الجسدية والبطلان هذه التى يتعرض لها الشباب.

فلكى تدرأ عن نفسك أخطار كل هذه الأدواء، ولكى تشفى منها **«أذكر خالقك»**. **وهنا نرى :**

١ ـ ان سليمان يحدثنا على واجب عظيم هو أن نذكر الله كخالق لنا، ليس فقط أن نتذكر بأن الله هو خالقنا، وبأنه هو الذى صنعنا، وليس نحن الذين خلقنا أنفسنا، ولذلك فهو ربنا بحق، ونحن ملك له، ولكن ينبغى أن نؤدى له أيضا ما يستحق من الإكرام والعبادة والواجبات الأخرى كخالقنا.

ووردت لفظة "خالق" فى النص الأصلى بصيغة الجمع كما وردت أيضا كلمة "صانع" فى (أى ٣٥ : ١٠) بصيغة الجمع، ذلك لأنه الله عند خلقه

الإنسان قال "نعمل الإنسان" (تك ١ : ٢٦). "نعمل" أى الآب والإبن والروح القدس.

٢ ـ أما الوقت المناسب لهذا الواجب فهو **«فى أيام شبابك»** ابدأ فى أول أيامك بذكر ذاك الذى كان مصدر وجودك وحياتك، وسر بحسب هذه البداءة الصالحة. أذكره فى عقلك وأنت شاب، وأبقه فى عقلك طول أيام شبابك ولا تنسه أبدا. وبذلك تدفع عن نفسك غوائل تجارب الشباب.

ثانيا : أما السبب الذى يعزز به هذا الأمر فهو **«قبل ان تأتى أيام الشر أو تجئ السنون اذ تقول ليس لى فيها سرور»**.

(١) تممه بسرعة.

(١) قبل أن يأتى المرضى والموت. تممه طالما كنت حيا لأن الفرصة تكون قد ضاعت عندما يأتى الموت وينقلك من حياة الجهاد إلى حياة المجازاة. ان أيام المرض والموت هى **«أيام الشر»** لأن الطبيعة ترهبها، ولأنها حقا شر للذين نسوا خالقهم. ان "أيام الشر" هذه "ستأتى" عاجلا أو آجلا. أما المدة التى تنقضى **«قبل أن تأتى»** ففيها يتأتى الله علينا "ويعطينا زمانا لكى نتوب" (رؤ ٢ : ٢١)، فاستمرار الحياة ليس الا تأجيلا فى أجل الموت، ولذا فطالما بقينا فى الحياة، وأبطأ الموت، وجب علينا الإستعداد للموت حتى إن أتى لا نتلقيه برعبه أو ذعر.

++

(٢) وقبل أن تأتى الشخوخة، التى يمنع الموت مجيئها ستأتى فنراها انها هى المدة «**السنون التى نقول فيها سرور**» لأننا فيها لا نجد لذة فى الملذات الجسدية أو العقلية كبرزلاى (٢ صم ١٩ : ٣٥)، وفيها سيثقل كاهلنا بمصائب الشيخوخة وضعفاتها، كضعف البصر، وضعف القوى، وضعف باقى الأعضاء، وفيها لا تبقى فينا منفعة، وفيها نفترق عن كل أصدقائنا وأقاربنا، لأن الموت يفصلنا عنهم، أو لأنهم يعيون منا، وفيها نرى أنه بيننا وبين الموت قاب قوسين. ان كل ما يجئ من هذه السنين باطل وكل ما هو باق منها باطل أيضا، ولن نجد فيها أى سرور سوى فى الحياة الصالحة على الأرض وانتظار حياة أفضل فى السماء.

(٢) وفى الأعداد التالية نراه يتوسع فى شرح هذين السببين، انما يعكس الترتيب، ويبين :

(١) كيف أن مصائب الشيخوخة كثيرة، وأننا ان عشنا حتى الشيخوخة سوف لا نرى سرورا فى أيامها. ومن أجل ذلك يجب أن نقترب من الله ونعيش معه فى سلام «**فى أيام شبابنا**» ولا نؤجل إلى الشيخوخة، لأنه لا يكون هنالك فضل لنا ان تركنا ملذات الخطية عندما تتركنا هى، وان حاولنا الاقتراب من الله عندما تضطرنا الحاجة لذلك. انه من الجنون الفاضح، ونكران الجميل، الذى لا يتصور أن نعطى زهرة حياتنا للشيطان، وبعد ذلك نقدم ثمالتها وأدرانها لله، فهذا هو تقديم الاعراج والأعمى

ذبيحة للرب، الأمر الذى نهى عنه (تث ١٥ : ٢١).

وفضلا عن ذلك فانه من الغباوة والجنون أن نؤجل لوقت الشيخوخة التى تعتريها الأمراض والضعف ذلك العمل الجليل الضرورى الذى يتطلب كل قوتنا وأفضل مواهبنا. ولا يغرب عن البال أيضا اننا باستمرارنا فى الخطية وتدنيس ضمائرنا بالاثم حتى وقت الشيخوخة يستحيل علينا القيام بذلك العمل الجليل بل نحن نزيد أثقال كاهلنا ونجعل مصائب الشيخوخة أثقل حملا وأصعب من أن تحتمل. فان كانت مصائب الشيخوخة ثقيلة الحمل، كما يصفها سليمان هنا، لاحتجنا إلى ما يقوينا على احتمالها ويعزينا وسط همومها وأحزانها، ولن يستطيع أى أمر آخر تأدية ذلك سوى شهادة ضمائرنا لنا بأننا قد بدأنا ذكر خالقنا فى الوقت المناسب، ولم يبرح عن بالنا ذكره كل تلك السنوات الماضيات لأنه كيف ننتظر مساعدة الله لنا فى أيام الشيخوخة ان كنا قد تركنا عبادته فى أيام الشباب؟ أنظر (مز ٦١ : ١٧ ، ١٨).

أولا: وهنا يصف سليمان مصائب الشيخوخة وضعفاتها وصفا بلغيا بأمثلة كثيرة، قد يصعب علينا فهمها الآن لعدم المامنا بالتشبيهات والإستعارات والعبارات التى كانت تستعمل فى عصره ولغة سليمان. على أن الغرض منها بصفة عامة واضح، وهو ايضاح متاعب الشيخوخة.

++

١ ـ فى تلك الأيام ـ أيام الشيخوخة ـ **«تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم»**. تبدو مظلمة للشيوخ بسبب ضعف نظرهم. وتبدو كأنها قد أسدل عليها ستار السحب. فضلا عن أنهم لا يرون فيها شيئا من الجمال والبهجة. فقواهم العقلية، ومواهبهم ـ التى هى بمثابة الأنوار للنفس ـ تضعف. وقوة ادراكهم تضعف، وذاكرتهم تخونهم، وذهنهم لا يسعفهم بتلك السرعة الأولى، وذكاؤهم يذل. وأيام أفراحهم قد مضت. (فالنور طالما استعمل ليعبر عن الأفراح والمسرات) لأنهم لا يجدون سرورا فى أعمال النهار، أو فى راحة الليل، لأن "الشمس والقمر" قد أظلما لديهم.

٢ ـ وفيها **«ترجع السحب بعد المطر»**. فكما أن السحب يتلو بعضها بعضا عندما يكون الجو مشبعا بالرطوبة، كذلك الحال مع الشيوخ، فانهم ان تخلصوا من ألم أو مرض أصابهم مرض آخر، لأن أمراضهم تكون "كالوكف المتتابع فى يوم ممطر" (ام ٢٧ : ١٥) : ان ناموس هذا العالم هو أنه ان ولت مصيبة أقبلت مصيبة أخرى، فان "غمرا ينادى غمرا". وبسبب كل تلك الأمراض والمصائب التى تنهال عليهم ينحل جسمهم شيئا فشيئا.

٣ ـ **«وفيه يتزعزع حفظة البيت»**. فالرأس التى هى كالبرج والمرصد تتزعزع، والأذرع والأيدى التى تعمل لحفظ الجسد تتزعزع أيضا، أو تضعف كلما دنت منها الأخطار أو هاجمتها. وتلك القوى النفسية والجسدية، التى تستخدم للدفاع عن الإنسان، تضعف، ولا تستطيع تأدية

عملها. فلأقل الأسباب توهن قوى الشيوخ، ونفوسهم تخور فى داخلهم.

٤ ـ وفيه **«تتلوى رجال القوة»**. فالسيقان والأرجل، التى كانت دعامة الجسم، تتلوى وتنحنى، ولا تستطيع السير كما كانت أولا ـ بل تظهر عليها علامات التعب والتأثر فى أسرع وقت. فالشيوخ الذين كانوا فى جيلهم "رجال القوة" يضعفون وتنحنى ظهورهم من كثرة الأيام (زك ٨ : ٤). الله "لا يرضى بساقى الرجل" (مز ١٤٧ : ١٠) لأن قواهما سرعان ما تضعفان، أما "فى ياه الرب فصخر (أو قوة) الدهور" (اش ٢٦ : ٤)، لأن ذراعه أبدية.

٥ ـ وفيه **«تبطل الطواحن لأنها قلت»** أى ان الأسنان التى بها نمضغ أو نطحن الطعام، ونهيئه للهضم، تكف عن تأدية عملها "لأنها قلت". ان السوس ينخر فى عظامها فتتساقط شيئا فشيئا. وبعض الشيوخ يفقدون كل أسنانهم، والبعض يفقدون أغلبها. ان هذا المرض أشد الأمراض وطأة على الإنسان لأن الطعام لا يهضم جيدا لسبب عدم مضغه جيدا، ولذلك تنحل قوى الشيوخ.

٦ـ وفيه **«تظلم النواظر من الشبابيك»** أى ان الأعين تظلم كاسحق (تك ٢٧ : ١ واخيا ١ مل ١٤ : ٤). لقد شذ موسى عن هذه القاعدة، فانه عندما بلغ من العمر ١٢٠ سنة كان لا يزال نظره قويا. على أن القاعدة العامة هى أن نظر الشيوخ يضعف كباقى القوى والمواهب الأخرى. وياله

++

من بركة عظمى أن نرى العلم يكمل بعض ما تنقصه الطبيعة، فان الشيوخ ـ وضعيفو الأبصار ـ يستطيعون استعمال النظارات. انه من ألزم الواجبات علينا أن نعنى عناية فائقة بقوة أبصارنا طالما بقيت لنا تلك القوة، لأنه قد يزول نور العين قبل أن يزول نور الحياة.

٧ ـ «**وتغلق الأبواب في السوق**» فالشيوخ يجلسون فى عقر دارهم ويقفلون الأبواب، ولا يبالون بالذهاب إلى الخارج للتريض أو التسلية. والشفاة ـ وهى أبواب الفم ـ تغلق وقت الأكل لأن اسنانهم قد تكسرت «**فينخفض صوت المطحنة**» ولذلك فهم لا يستطيعون إجادة هضم الطعام.

٨ ـ والشيوخ «**تقوم لصوت العصفور**» انهم لا ينامون نوما عميقا كالأحداث، فأقل صوت يزعجهم حتى "صوت العصفور" وهم بوجه العموم يعتريهم السعال فى هذا الدور من السن، ولذلك فلا يشعرون براحة فى النوم، بل يستيقظون وقت الصباح الديك قبل أن يستيقظ أى حى. أو أنهم لكثرة اهتماماتهم وأفكارهم يستيقظون مبكرا جدا. أو أنهم لكثرة هواجسهم وتشاؤمهم يسييقظون لصوت العصفور، ظانين أنه غراب أو بومة لأن الكثيرين من تابعى الخرافات يظنون أنهما منذرين بالسوء.

٩ ـ ومعهم «**تحط كل بنات الغناء**» فهم ليس لهم صوت رخيم أو أذن تعشق الغناء، لا يستطيعون أن يغنوا ولا يجدون لذة فى الغناء كما كان يجد سليمان فى أيام شبابه لذة فى "المغنيين والمغنيات" (ص ٢ : ٨). فالشيوخ

++

كلما تقدموا فى الأيام زادت أسماعهم ثقلا، وأصبحوا عديمى التمييز بين الأصوات والنغمات.

١٠ ـ وهم **«يخافون من العالى»** يخافون الصعود إلى مكان عال، اما لعدم استطاعتهم الوصول إليه لضيق تنفسهم، أو لضعف أقدامهم، أو خوفا من أن يعتريهم الدوار، أو لأنهم يخشون أن يسقط عليهم ذلك **«العالى»**. **«وفى الطريق أهوال»** أنهم لا يستطيعون الركوب أو السير بشجاعتهم الأرلى، بل يخافون من كل ما يلتقون به فى الطريق لئلا يعثرهم.

١١ ـ **«واللوز يزهر»** عندما يبيض شعر رأس الشيخ تبدو كأنها شجرة لوز وقت الأزهار. وشجرة اللوز تزهر قبل أيه شجرة أخرى، ولذلك فهى أنسب ما يعبر عن سرعة مجئ الشيخوخة إلى الأنسان، فهى توقف آمالهم عند حدها، وتسرع اليهم فى وقت لم ينتظروه. فشعور رؤوسهم تبيض من وقت لآخر وهم لا يدرون.

١٢ ـ **«والجندب يستثقل، والشهوة تبطل»** الشيوخ لا يحتملون شيئا، فأقل الأشياء يثقل كاهلهم سواء من وجهة الجسد أو العقل. قد يكون **«الجندب»** طعاما خفيفا جدا وسهل الهضم. كان طعام يوحنا المعمدان "جرادا". ولكن حتى هذا الطعام الخفيف تستثقله معدة الشيوخ، ولذلك **«فالشهوة تبطل»** فان قدم اليهم طعام لا يجدون شهوة لتناوله. ومن الوجهة الأخرى أيضا أن سهواتهم تبطل "فلا يبالون بشهوة النساء" كذلك الملك

الذى ذكر فى (دا ١١ : ٣٧).

فالشيوخ لا يبالون بالشهوات الجسدية أو العقلية، ولا يجدون فيها أية لذة أو سرور.

ثانيا : من المحتمل جدا أن يكون سليمان قد كتب هذا الكلام عندما كان هو نفسه شيخا، فكتبه وهو متأثر بضعفات الشخوخة وعارفا بحقيقتها سيما وأنه لابد أن وطأتها كانت أشد على نفسه، لأنه كان قد انغمس فى الملذات الجسدية فى أيامه الأولى. صحيح أن بعض الشيوخ يتحملون فى شيخوختهم ما لا يستطيع الآخرون تحمله، ولكن أيام الشيخوخة بصفة عامة كانت ولا تزال وستستمر **«أيام الشر»** وقليلة السرور. لذلك فالواجب علينا احترام الشيوخ واكرامهم حتى بذلك تخف وطأة متاعبهم.

كل ذلك لو وضع معا لكون لنا أكبر سبب لضرورة "ذكر خالقنا فى أيام شبابنا" لكى يذكرنا هو برحمته عندما "تأتى أيام الشر" هذه، ولكى نلتذ بتعزياته عندما تبلى بل تفنى لذاتنا الجسدية والعقلية.

(٢) وهو يبين مقدار التغيير العظيم الذى سيحدثه معنا الموت. لأنه هو الذى يضع الحد الفاصل لأتعاب الشيخوخة ومصائبها. فلا شئ غيره يستطيع أن يريحنا منها أو يبعدها عنا. فان كان الموت أمامك، ولا محالة من اجتيازك له **«فأذكر خلقك فى أيام شبابك»** لأنه قد يكون بينك وبين

الموت قاب قوسين، ولأن ساعة الموت رهيبة، ولأنه يجب عليك بذل قصارى الجهد فى الإستعداد له.

١ ـ فالموت يأتى بنا الى حالة دائمة لا تتغير: **«لأن الإنسان ذاهب الى بيته الأبدى»** فليست ضعفات الشيخوخة وانحلالها سوى مقدمات ونذير لذلك الانتقال المريع. فى ساعة الموت **«يذهب الإنسان»** من هذه الحياة، ويغادر كل أعمالها ومسراتها. فى ساعة الموت يودع الإنسان هذه الحياة وداعا لا لقاء بعده. انه يذهب **«الى بيته»** لأنه ليس هنا إلا نزيلا وغريبا، فكلا الروح والجسد يذهبان إلى حيث خرجا ع ٧، انه يذهب الى **«موضع راحته»**، إلى الموضع الذى سيستقر فيه. انه يذهب **«الى بيت عالمه»** (كما يقرأها البعض) لأن هذا العالم ليس عالمه. أنه يذهب إلى **«بيته الأبدى»** (أو بيته الطويل الإقامة) لأن أيام رقاده فى القبر طويلة. انه **«ذاهب إلى بيته الأبدى»** ليس فقط إلى بيته الذى لا يعود منه إلى هذا العالم، بل الى بيته الذى يبقى فيه إلى الأبد. وهذا مما يحببنا فى الموت إننا **«ذاهبون إلى بيتنا»** لأنه لماذا لا نشتاق الذهاب إلى بيت أبينا ؟ وهذا مما يبعثنا على الإستعداد للموت إننا ذاهبون إلى بيتنا الأبدى، الى مقامنا الأبدى.

٢ ـ والموت سيسبب حزن أحبائنا : فعندما يذهب الإنسان إلى بيته الأبدى **«يطوف النادبون فى السوق»** (أو فى الطرقات) أى الحزانى الحقيقيين والمعزين الذين يطوفون معهم الطرقات بحسب عادة تلك الأيام.

فعندما نموت نخلف من بعدنا من يحزنون علينا ويتوجعون من أجلنا. الدموع فرض لابد من تأديته، ودين لابد من ايفائه للموتى، وهذا من ضمن الأمور التى تجعل الموت رهيبا ومؤلما. على أننا ان كنا "نذهب إلى بيت النوح" ونشهد "الناديين يطوفون فى السوق" دون أن يؤثر فينا ذلك، ويقادنا إلى حياة البر والتقوى والحزن الروحى المقدس، فلا فائدة منه.

٣ ـ والموت سيحل هيكل أجسادنا، وينقض بيت خيمتنا الأرضى، الذى يصفه هنا بوصف بليغ فى ع ٦. فى ساعة الموت «**ينفصم حبل الفضة**» الذى به ترتبط النفس والجسد ذلك الإرتباط العجيب، وتلك الرابطة المقدسة تنحل. وفيها «**ينسحق كوز الذهب**» الذى كان يحمل لنا ماء الحياة، «**وتنكسر الجرة**» التى اعتدنا استعمالها فى الحصول عل المياه لاعالتنا، بل تنكسر «**على العين**» فلا تعود تصلح للإستعمال، «**وتنقصف البكرة**» أى أن سائر الأعضاء التى تستخدم لتحصيل وتوزيع الغذاء تنقصف، ولا تستطيع تأدية وظيفتها بعد. الجسد كالساعة التى ان كسر الزمبلك فيها تعطلت سائر الأجزاء، كذلك الحال فى الجسم فانه عند الموت يقف القليب فيقف الدم فى سائر العروق والأعضاء.

يطبق البعض هذه الكلمات على الحلى والأوانى التى تستعمل فى هذه الحياة، فالأغنياء يجب أن يتركوا وراءهم عند الموت أوانى "الفضة والذهب"، والفقراء يجب أن يتركوا "جراتهم" الخزفية.

++

٤ ـ والموت يعيدنا إلى اصلنا ع ٧، الإنسان هو من أغرب المخلوقات، فانه مكون من شعاعة من السماء اتحدت بكلته من طين الأرض. ففى وقت الموت يعود كل من هذين النوعين إلى المكان الذى خرج منه.

(أ) فالجسد، وهو تلك الكتلة الطينية، **«يرجع إلى الأرض»**. انه مصنوع من الطين، فجسد آدم خلق من الطين ونحن ذريته. عند الموت يوضع الجسد فى الأرض، وبعد قليل يتحلل فيصير ترابا لا يمتاز عن تراب الأرض العادية حسب الحكم الذى نطق به الله "انك تراب والى تراب تعود" (تك ٣ : ١٩). ولذلك يجب علينا أن لا ننغمس فى شهوات الجسد أو نطلق له العنان لنعطيه كل ما يطلب من شراب وطعام، لأنه بعد قليل سيكون طعاما للدود، ولا "تملكن الخطية فى جسدنا المائت" (رو ٦ : ١٢) لأنه مائت وفان.

(ب) والروح، وهى تلك الشعاعة من النور، **«ترجع إلى الله»**. الذى عندما "جبله ترابا من الأرض نفخ فى أنفه نسمة حياة ليصير نفسا حية" (تك ٢ : ٧) والذى يصور نفس كل إنسان فى داخله. عندما تشتعل النار فى الخشب، يرجع الرماد "إلى الأرض" التى نشأ منها الخشب.

والروح لا تموت بموت الجسد، بل "تفدى من يد الهاوية" (مز ٤٩ : ١٥)، فهى بدون الجسد تستطيع الحياة، بل ما هو أكثر من الحياة كالشمعة التى تستطيع الإضاءة بشكل أوضح ان خرجت من مصباحها

المظلم. انها تنتقل إلى عالم الأرواح الذى تنتسب إليه، تذهب "إلى الله" الديان لتقدم عن نفسها حسابا، وتسكن أما مع "الأرواح التى فى السجن" (١ بط ٣ : ١٩) أو مع الأرواح التى "فى الفردوس" (لو ٢٣ : ٤٣) بحسب ما فعلته فى الجسد. وهذا ما يجعل الموت مخيفا للأشرار لأن أرواحهم تذهب لله كمنتقم، ومعزيا للقديسين لأن أرواحهم تذهب لله كأب حيث أودعوها فى يديه بكل اغتباط وسرور.

٨ ـ باطل الأباطيل قال الجامعة الكل باطل.

٩ ـ بقى أن الجامعة كان حكيما وأيضا علم الشعب علما ووزن وبحث واتقن أمثالا كثيرة.

١٠ ـ الجامعة طلب أن نجد كلمات مسرة مكتوبة بالإستقامة كلمات حق.

١١ ـ كلام الحكماء كالكناسيس وكأوتاد منغرزة أرباب الجماعات قد أعطيت من راع واحد/

١٢ ـ وبقى فمن هذا يا ابنى تحذر لعمل كتب كثيرة لا نهاية. والدرس الكثير تعب للجسد.

هنا يبدأ سليمان انهاء حديثه، ولكنه لم يرد أن ينتهى منه حتى يتأكد من أنه قد أصاب الغرض، وأثر فى نفوس سامعيه وقارئيه ليتطلبوا الراحة فى

الله فقط، وفى تأدية واجباتهم من نحوه لأنهم لا يستطيعون أن يجدوها فى أية خليقة أخرى.

أولا : لقد كرر الآية التى ذكرها مرارا ع ٨ : **«باطل الأباطيل الكل باطل»**.

(١) فانه بعد أن أقام على هذه الحقيقة الأدلة والبراهين الكثيرة، وبعد أن وضحها بأمثلة عديدة كررها هنا ليزيدها تأكيدا.

(٢) وأراد أن يقررها فى ذهن الآخرين، وذهنه هو نفسه، لكى يطبقوها فى كل الظروف. فان كنا نراها أمامنا كل يوم بشكل أوضح فيجب أن لا ندعها تمر دون أن ننتفع منها.

ثانيا : وهو يزيد تأكيدا ما كتبه فى هذا الموضوع بإرشاد الهى. إن كلمات هذا السفر صادقة وحقيقية، وحرية بتأملاتنا العميقة وتطبيقها على حياتنا :

(١) لأنها كلمات تائب قد تجددت حياته يستطيع أن يتكلم باختيار، ودفع فيه ثمنا غاليا عن بطلان العالم، وغباوة من ينتظر منه أمورا عظيمة. لقد كان يسمى **«الجامعة»** لأنه قد جمع من ضلاله، وجمع الى الله الذى تمرد عليه وخرج عن طاعته. "باطيل الأباطيل قال الجامعة". فكل التائبين الحقيقيين مقتنعون ببطلان العالم، لأنهم قد عرفوا ويعرفون أنه لا يستطيع

++

أن يعمل لهم شيئا ليريحهم من ثقل الخطية الذى يئنون منه.

(٢) ولأنها كلمات شخص «**كان حكيما**» أحكم من أى شخص، وأعطى مقدارا وافرا من الحكمة أكثر مما أعطى أو يعطى لأى شخص عادى، واشتهر بها بين جيرانه الذين كانوا يسعون للمثول بين يديه "ليسمعوا حكمته". ولذلك فحكمه فى هذا الأمر هو الحكم الفصل، لأنه لم يكن حكيما كملك فقط بل كان حكيما كواعظ أيضا. فما أشد حاجة الوعاظ إلى الحكمة لربح النفوس.

(٣) ولأنه كان شخصا قد جعل شغله الشاغل عمل الخير، واستخدام الحكمة فى طريقها الحقيقى. انه اذ "كان حكيما" لم ير أن حكمته لنفسه بل «**علم الشعب علما**» علمهم ذلك العلم الذى وجده نافعا لنفسه، وكان يرجو أن يكون نافعا لهم أيضا. انه من مصلحة الملوك والحكام أن يكون رعاياهم متفهمين فى الدين، وليس من العيب أو ذلة النفس أن يعلموهم هم بأنفسهم معرفة الرب، وعليهم فوق ذلك أن يشجعوا أولئك الذين يقومون بتعليمهم (٢ أى ٣٠: ٢٢). يجب على الحكماء والعلماء أن لا يحتقروا عامة الشعب، أو يظنوا أنهم لا يستحقون التعليم، أو لا يستطيعون قبوله، وان لا يتغافلوا حتى عن تعليم العلماء منهم، لأنهم لايزالون فى حاجة إلى التعليم لكى يزدادوا علما.

(٤) ولأنه قد أجهد نفسه كثيرا فى فعل الخير، رغبة منه فى أن «**يعلم**

الشعب علما». أنه لم يحتقرهم ولم يتهاون بأمر تعليمهم لكونهم من عامة الشعب الجهلاء، بينما كان هو حكيما جدا، ولكنه اذ كان يشعر بقيمة النفس التى يعلمها، وبقيمة التعاليم التى يعلمها **«وزن وبحث»** وزن كان يقرأه ويسمعه من الآخرين لكى بعد أن يزود نفسه بمعلومات كثيرة "يخرج من كنزه جددا وعتقاء". أنه **«وزن»** ما كان ينطق به هو نفسه ويكتبه، ولذلك فقد "اتقن" كل ما خرج من فمه أو قلمه.

١ ـ انه توخى أنسب الطرق للتعليم والكرازة، بأمثال وعبارات قصيرة يمكن تعليقها فى الذهن بسهولة أكثر من العبارات والجمل الطويلة.

٢ ـ وهو لم يكتف بأمثال أو حكم قليلة ويكررها من وقت لآخر، ولكنه نطق "بأمثال كثيرة" تبحث فى مختلف الشئون، لكى يستطيع أن يجد ما ينطق به فى كل فرصة.

٣ ـ وهو لم يدون فى هذه الأمثال ملاحظات عامة ظاهرة وواضحة، ولكنه **«بحث»** وتعمق فى البحث فى أعماق العلم والمعرفة، لكى يخرج الأسرار والمكنونات.

٤ ـ وهو لم يدون فى هذه الأمثال ما كان يخطر بباله فقط أو ما كان يصادفه منها عرضا، ولكنه بعد البحث الدقيق "اتقنها" لكى لا تنقصها قوة أو جمال.

(٥) وهو قد ألبس أقواله ثوبا يحبب فيها الجميع فهو «**طلب أن يجد كلمات مسرة**». كان يحرص لئلا تصاغ هذه المادة البليغة فى أسلوب ردئ فيشوهها. فعلى خدام الله أن يسعوا لا وراء الكلمات الضخمة أو المنفعة بل وراء "الكلمات المسرة" التى يسر منها الناس ويجدون فيها خيرهم وبنيانهم (١ كو ١٠ : ٣٣). وعلى الذين يريدون ربح النفوس أن يسعوا لكى تكون كلماتهم "مقولة فى محلها" (ام ٢٥ : ١١).

(٦) وان ما كتبه لتعليمنا لاشك فى حقيقته وحرى بكل تأملنا فكل كلماته «**مكتوبة بالإستقامة**» وبإخلاص ومن كل قلبه. «**وكلمات حق**» أى تمثل تماما ما كتبت عنه. فليتأكد كل من يسترشدون بهذه الكلمات انهم لا يضلون السبيل. فماذا تنفعنا "الكلمات المسرة" ان لم تكن "مكتوبة بالإستقامة وكلمات حق"؟ ان أغلب الناس يميلون لسماع الكلمات الناعمة التى تقال لتملقهم أكثر من سماع "كلمات الحق" التى تقال لإرشادهم (اش ٣٠ : ١٠) أما الذين يعرفون أنفسهم جيد المعرفة، ويقدرون مصالحهم حق التقدير فيرون دائما أن "كلمات الحق هى كلمات مسرة".

(٧) وما كتبه هو والقديسون الآخرون نافع لنا جدا.

لاحظ هنا :

١ ـ أن الحقائق الإلهية متى فسرت تفسيرا حقيقيا، وطبقت واستعملت

في مناسباتها أتت لنا بفوائد مضاعفة، فهى "نافعة للتعليم والتوبيخ، للتقويم والتأديب الذى فى البر" (٢ تى ٣ : ١٦).

انها نافعة لنا :

أولاً : لا حياء الرغبة فينا وتحريضنا على إتمام واجبنا. انها ضرورية لنا **«كالمناسيس (١)»** للثور الذى يجر المحراث فانها تدفعه إلى الأمام، وتنشطه أن لحقه توان أو كسل. ان الحقائق الإلهية "تنخس الناس فى قلوبهم" (اع ٢ : ٣٧)، وتبعثهم على فحص أنفسهم والتأمل فى حالتهم عندما يرتكبون الشر، وتنشطهم فى عملهم. فطالما كانت محبتنا عرضة للبرودة والفتور فنحن فى حاجة مستمرة لهذه "المناسيس" (أو المناخس).

ثانياً : لتبعثنا على الإستمرار فى أداء واجبنا. فهى **«كأوتاد»** للمتزعزعين وغير الثابتين، لتربطهم بكل ما هو صالح. انها "كالمناسيس" للأغبياء والرجعيين "وكأتاد" للمتسرعين وغير الثابتين، أنها وسائط لبنيان القلب وتثبيت المبادئ الصالحة والعزائم القوية فيه لكى لا نهمل فى واجباتنا أو نتشاغل عنها.

٢ ـ وهناك طريقتان للحصول على هذه الحقائق الإلهية والإنتفاع بها.

أولا : بواسطة الكتب المقدسة، التى عبر عنها بأنها **«كلام الحكماء»** أى

---

(١) "كالمناخس" حسب ترجمة اليسوعيين، ومفردها منخاس.

+++

كلام الأنبياء الذين دعاهم المسيح "حكماء" (مت ٢٣ : ٤٣). وهذه مكتوبة أمامنا بحبر وورق يمكننا الحصول عليها والرجوع اليها فى كل وقت، واستعمالها كالمناسيس والأوتاد. بها نستطيع أن نعلم أنفسنا. فان أفسحنا لها المجال لتدخل النفس بقوتها استطاعت "أن تحكمنا للخلاص" (٢ تى ٣ : ١٥).

ثانيا : بالخدمة والكرازة. فلكى تكون "كلمات الحكماء أكثر نفعا لنا يجب أن تكون مرتبطة "بأرباب الجماعات" (أو رؤساء الاجتماعات). ان عقد الإجتماعات الخشوعية للعبادة ترتيب إلهى قديم الغرض منه تمجيد الله وبنيان كنيسته. وهى لا تنفع لهذا الغرض فقط، بل هى لازمة له ولا يمكن الاستغناء عنها.

ويجب أن يكون لهذه الجماعات "أرباب" الذين هم خدام المسيح، وهؤلاء يجب أن يرأسوها، ليكونوا فما لله لدى الشعب وفما للشعب لدى الله. وخدمتهم هى أن يربطوا "كلام الحكماء" ويدقوه "كالأوتاد"، وفى هذا السبيل نجد كلمة الله "كمطرقة" (ار ٢٣ : ٢٩).

(٨) ان ما قد كتب انما هو من أصل إلهى، فلو أنه قد وصل الينا بواسطة أيد كثيرة، بواسطة "حكماء" كثيرين "وأرباب جماعات" كثيرين، الا أنه "قد أعطى من راع واحد" من "راعى اسرائيل الذى يقود يوسف كالضأن" ٠ مز ٨٠ : ١). أن الله هو ذلك "الراعى الواحد" الذى بوحى روحه القدوس

قد كتبت الكتب المقدسة، وبارشاده يفتح "أرباب الجماعات" شفاههم وينطقون. "وكلام الحكماء" هذا هو أقوال الله الحقيقية، التى فيها يجب أن تجد النفس راحتها.

فمن هذا الراعى الواحد يجب على كل الخدام أن يأخذوا رسالتهم التى يوصلونها لشعبهم، وبنور كلمته يجب أن يتكلموا.

(٩) هذه الكلمات المقدسة التى كتبت بالهام روح الله القدوس فاذا استعملناها كانت كافية أن توصلنا إلى طريق السعادة الحقيقية، ولما احتجنا، لاجهاد النفس للتفتيش فى كتب أو كتابات أخرى ع ١٢ : **«وبقى»** لم يبق لى أن أخبرك به سوى أنه **«لعمل كتب كثيرة لا نهاية»**.

١ ـ أى لكتابة كتب كثيرة. فان كان ما كتبته لا يكفى لاقناعك ببطلان العالم. وبضرورة التدين والتقوى، فلن تقتنع لو كتبت كتبا كثيرة. فلو كانت تلك الكتب المقدسة التى أنعم بها الله علينا لا تفى بالغرض فلن يفى بهذا الغرض أضعاف تلك الكتب، بل أضعاف أضعافها مما لا "يسعه العالم نفسه" (يو ٢١ : ٢٥).

"ولدرس الكثير" فيها لا يزيدنا الا اضطرابا وارتباكا، بل هو "تعب للجسد" فضلا عن أنه لا يفيد الروح. لقد أعطانا الله من هذه الكتب المقدسة ما رآه مناسبا ليعطينا، وما رآه مناسبة لنا، وما رآنا أهلا له. هذا فضلا عن أن من لا

+++

"يتحذر" بهذه لا يتحذر بأي كتب أو كتابات أخرى. فمهما كتبوا حتى أتعبوا أنفسهم بالدرس الكثير، فلن يستطيعوا أن يخرجوا تعاليم أسمى من تلك التى نجدها فى كلمة الله.

٢ ـ أو لشراء كتب كثيرة لكي نلم بها الماما كافيا وبكل ما جاء فيها بالدرس الكثير. ولكننا حتى بذلك لا نسد أطماعنافى كثرة الدرس وحب الاطلاع. صحيح ان قراءة الكتب الكثيرة فيها تسلية عظيمة وفائدة أعظم ـ من الوجهة العالمية ـ ولكن ان كنا لا «**نتحذر**» بهذه الكتب من بطلان العالم ومن العلوم البشرية، وان كانت لا تكفى لمنحنا السعادة الحقيقية بدون التقوى «**فلا نهاية**» ولا منفعة حقيقية فيها بل هى «**تعب للجسد**» ولا تعطى النفس راحة حقيقية. ولقد أيد هذه الحقيقة ذلك الرجل العظيم المستر سلدن Mr. Selden عندما اعترف بأنه لم يجد من بين الكتب الكثيرة التى قرأها لم تجد نفسه راحتها فيه سوى الكتاب المقدس، وبنوع أخص ما جاء فى (تيطس ٢ : ١١ و ١٢).

"فمن هذه ينبغى لنا أن نتحذر"..

١٣ ـ فلنسمع ختام الأمر كله : اتق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله.

١٤ ـ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى ان كان

خيرا أو شرا.

كان غرض سليمان الوحيد من هذا السفر هو الإجابة على ذلك السؤال الهام الذى عرضه على بساط البحث فى (ص ٢ : ٣) "ما هو الخير لبنى البشر حتى يفعلوه" ؟، وما هو الطريق الحقيقى للسعادة الحقيقية، وما هى أنسب الطرق للوصول الى غايتنا العظمى ؟ لقد وجد فى البحث عن هذه الإجابة بين تلك الأمور التى يعشقها أغلب البشر، ولكن كل أبحاثه ومساعيه ذهبت ادراج الرياح. على أننا نراه هنا قد توصل اليه أخيرا بعد الاسترشاد بذلك السر الذى كشفه الله للإنسان قديما (أى ٢٨ : ٢٨)، وهو أن التقوى الحقيقية هى الطريق الوحيد للسعادة الحقيقية : "فلنسمع ختام الأمر كله" اسمعوا نتيجة ذلك البحث الدقيق فسألخص لكم كل ما كنت أصبو نحوه فى كلمتين :

لم يقل "اسمعوا" بل "لنسمع". لأن الوعاظ يجب أن يستمعوا للكلمة التى يكرزون بها للآخرين، يجب أن يستمعوا اليها كما من الله. فالذين يعلمون الآخرين دون أن يعلموا أنفسهم يكونون قد أتموا نصف مهمة التعليم (رو ٢ : ٢١).

ان كل كلام الله نقى وعظيم الأهمية، على أنه توجد بعض كلمات تستدعى اهتماما والتفاتا خاصا كهذه الكلمات، ولذلك وضع لها سليمان

+++

مقدمة كأنه يأمرنا عن طرف خفى بزيادة الالتفات اليها قائلا "فلنسمع ختام الأمر كله". لاحظ هنا :

(١) ملخص الديانة. فلكى تكون متدينا ابتعد من كل المناقشات والمباحثات **«واتق الله واحفظ وصاياه»**.

١ ـ ان جوهر التدين هو أن يملك على القلب خوف الله، والإحترام لعظمته، والخضوع لسلطته، والخوف من غضبه. **«اتق الله»** أى أعبده وقدم له الإكرام اللائق لاسمه فى كل ظروف عبادتك الداخلية والخارجية. أنظر (رؤ ١٤ : ٧).

٢ ـ وقانون التدين هو ناموس الله المعلن لنا فى الكتاب المقدس . فخوفنا (أو تقوانا) لله يجب أن نتعلمه من وصاياه (اش ٢٩ : ١٣) . وهذه يجب أن نحفظها، وندقق فى السير بموجبها. فطالما كان خوف الله مالكا فى القلب ملأه الإحترام لوصاياه. وباطلا ندعى بأننا نتقى الله ونخشاه ان كنا لا نبالى بتأدية واجبنا من نحوه.

(٢) أهميتها العظمى : "هذا هو الإنسان كله" هذا هو كل عمله وهذا هو كل بركته. فيها ينحصر كل واجبنا، وعليها تتوقف كل عزيمتنا. هذه هى مصلحة كل إنسان ويجب أن تكون موضوع اهتمامه الوحيد. هذه هى مصلحة كل البشر ويجب أن يقضوا كل وقتهم فيها. انه لا يهم مطلقا أن

يكون الإنسان غنيا أو فقيرا، من أصل رفيع أو وضيع، ولكن كل ما يهمه أن يتقى الله ويفعل كما يأمره.

(٣) ومن أقوى ما يعزز ذلك ما ذكره فى ع ١٤، أننا لو تأملنا فى الحساب الذى سيقدمه كل واحد منا لله عن نفسه قريبا لعرفنا أهمية التدين ونتيجته. لقد استعمل سليمان تلك الحجة فى (ص ١١ : ٩) للبرهان على ضرورة ترك حياة الشر والفساد، وهنا يستعملها للبرهان على ضرورة التمسك بحياة التقوى : **«لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة»**.

ملاحظات :

١ ـ توجد دينونة عتيدة أن تأتى، فيها سيحدد نهائيا مصير كل إنسان الأبدى.

٢ ـ وإبن الله نفسه سيكون هو الديان، لا لأنه له حق الدينونة فقط بل لأنه أهل لها فان حكمته لا تحد وعدله لا يحصى.

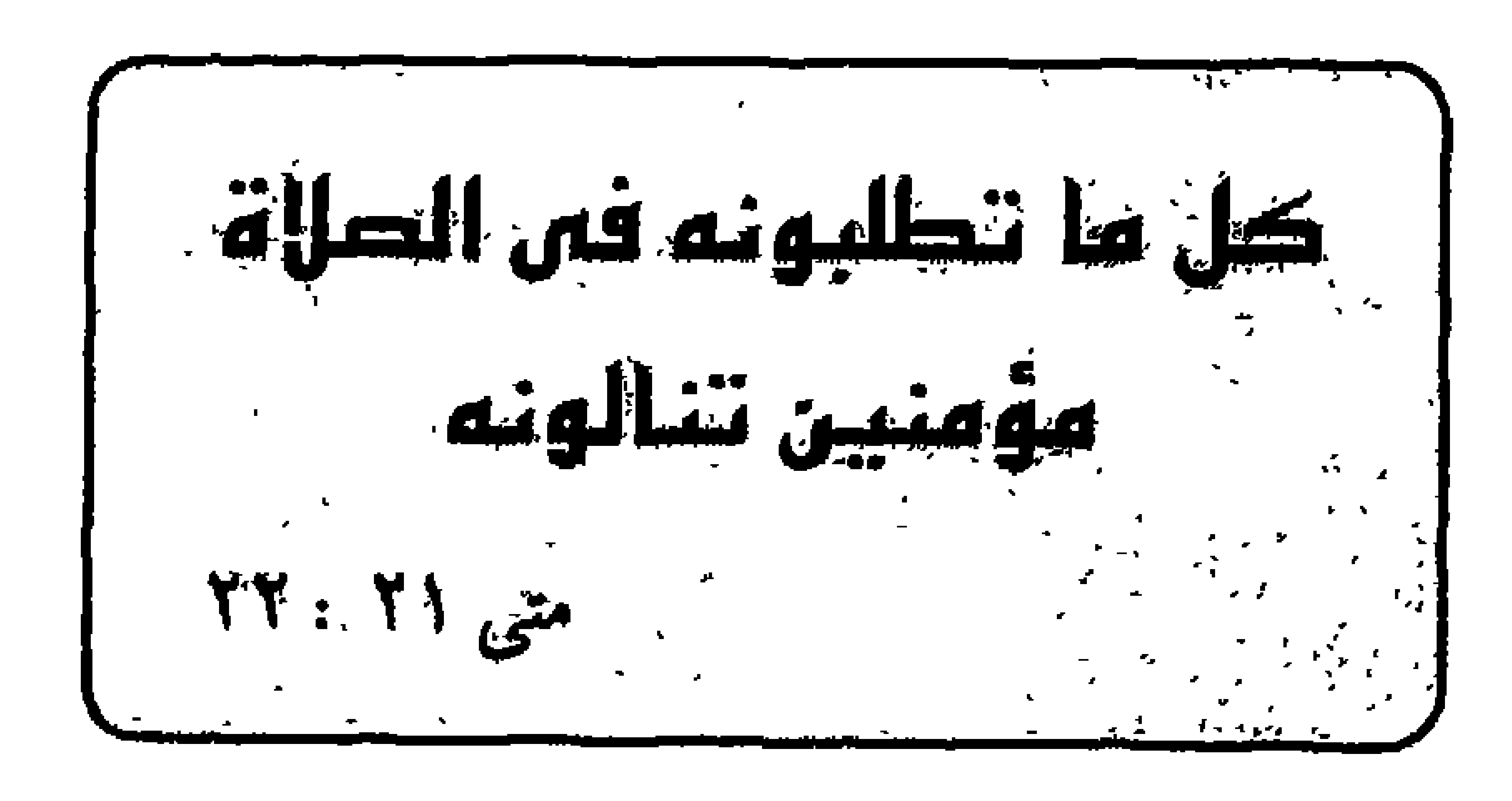
٣ ـ فى ذلك اليوم **«يحضر كل عمل إلى الدينونة»** سيناقش فيه الإنسان الحساب. في ذلك اليوم سيذكر كل ما فى الجسد.

٤ ـ والأمر الذى سيدان عليه "كل عمل هو هل **«كان خيرا أو شرا»**، وهل هو مطابق لإرادة الله أم مخالف لها.

++

٥ ـ وحتى «**كل خفي**» ـ ان كان خيرا أو شار ـ سيتوضح بالنور، ونحاسب عنه في ذلك اليوم العظيم (رو ٢ : ١٦). فلا يوجد عمل صالح أو شرير قد أخفي الا ويظهر في ذلك اليوم.

٦ ـ وازاء هذه الدينونة العتيدة وصرامتها يجب علينا أن ندقق كل التدقيق في السير مع الله لكي نؤدي حسابنا بفرح.


كل ما تطلبونه فى الصلاة
مؤمنين تنالونه
متى ٢١ : ٢٢

++

فهرست الكتاب صفحة


الجامعة

الأصحاح الأول

الأصحاح الثاني

مكتبة المحبة :
٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت وفاكس : ٥٧٥٩٢٤٤ (٢٠٢) - ٨
تليفون : ٥٧٥٨٢٦٢ (٢٠٢) - ٣٢

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
10999524